مرکز القائمیة اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تأليف

عبود الشالجي

موسوعة العذاب

المجلد السابع

بسم الله الرحمن الرحیم

موسوعة العذاب

كاتب:

عبود الشالجی

نشرت في الطباعة:

دار احياء الكتب العربيه

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

موسوعه العذاب المجلد 7 8

اشارة 8

اشارة 8

الباب الخامس عشر : القتل بالجوع والعطش 12

اشارة 12

الفصل الأول: التعذيب بالعطش 14

الفصل الثاني: التعذيب بالجوع 20

الفصل الثالث: التعذيب بالجوع والعطش 24

الباب السادس عشر: القتل بصنوف العذاب 36

اشارة 36

الفصل الأول: القتل بالتفزيع 38

الفصل الثاني: القتل بالبرد 40

الفصل الثالث: القتل بالفصد 44

الفصل الرابع: القتل بقصف الظهر 46

الفصل الخامس: القتل ببقر البطن 48

الفصل السادس: القتل بدق المسامير في الآذان 50

الفصل السابع: القتل بطرح الإنسان للسباع 52

الفصل الثامن: القتل بالطرح من شاهق 58

الفصل التاسع: القتل بتحطيم الرأس 66

الفصل العاشر: القتل بتمزيق البدن 68

الفصل الحادي عشر: القتل بتقطيع الأوصال 70

الفصل الثاني عشر: القتل والتعذيب بالسلخ 74

الفصل الثالث عشر: القتل بالنشر بالمنشار 82
الفصل الرابع عشر: القتل بألوان اخري من العذاب 84
الباب السابع عشر: الانتحار 100
اشارة 100
انتحار الحيوان 130
الباب الثامن عشر: المثلة 134
اشارة 134
الفصل الأول: ألوان من المثلة 138
الفصل الثاني: المثلة بسحب الجثث 166
الفصل الثالث: المثلة بصلب الجثة 172
الباب التاسع عشر: المرأة 180
اشارة 180
الفصل الأول: أول من عذب النساء في الاسلام 188
الفصل الثاني: قتل المرأة بالسيف 190
الفصل الثالث: قتل المرأة خنقا 206
الفصل الرابع: قتل المرأة شنقا 210
الفصل الخامس: ألوان أخري من القتل 212
الفصل السادس: الخوارج والمرأة 224
الفصل السابع: تعذيب المرأة بالنار 232
الفصل الثامن: تعذيب المرأة بقطع الأطراف والتعرض للجوارح 236
الفصل التاسع: ألوان أخري من العذاب 238
الفصل العاشر: تعذيب المرأة بالتعرض للعورة 244
الفصل الحادي عشر: تعذيب المرأة بالاسترقاق 248
الفصل الثاني عشر: تعذيب المرأة بالضرب 252
الفصل الثالث عشر: تعذيب المرأة بالحبس 264

الفصل الرابع عشر: اشهار النساء 274

الفصل الخامس عشر: انتحار المرأة 276

تعريف مركز 284

موسوعه العذاب المجلد 7

اشارة

موسوعه العذاب

تاليف: عبود الشالجي

مشخصات: 7ج

الدارالعربيه للموسوعات

بيروت - لبنان

ص: 1

اشارة

الباب الخامس عشر : القتل بالجوع والعطش

اشارة

الجوع : اسم للمخمصة ، ونقيضه الشبع ، الذي هو الاكتفاء من الطعام . والعطش : الحاجة إلي الماء ، ونقيضه الري .

وربما ذكر الجوع والعطش، كناية عن الشوق ، قال الشاعر :

وإني إلي اسماء عطشان جائع

وكان من أعظم ما يعير به العربي ، أن يشبع ، وصاحبه جائع ، قال الشاعر :

وشبع الفتي لؤم إذا جاع صاحبه

وقال :

تبيتون في المشتي ملاء بطونكم****وجاراتكم غرثي يبتن خمائما

وكان، وما يزال ، إطعام الطعام ، من التقاليد العربية المتمكنة ، وفيما يتعلق بالتقاليد العربية في احكام الطعام ، راجع كتابنا « المائدة في الإسلام » وقد اثبتنا نتفا منه في بحث و المائدة ، في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، في القصة رقم 125/3 ، وفي كتاب الفرج بعد الشدة ، للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة 464)

والتعذيب بالجوع والعطش ، لون قديم من ألوان العذاب ، ويكاد يكون به علي الأكثر – مقصورا علي قتل من يراد قتله مع تجنيبه الإهانة .

ص: 5

وقد قتل بهذا اللون من العذاب ، خلفاء ، وسلاطين ، وأمراء، ووزراء ، وقواد وعلماء .

فمن قتل من الخلفاء : المعتز بن المتوكل .

ومن السلاطين : السلطان غياث الدين بن السلطان حسين .

ومن الأمراء : العباس بن المأمون .

ومن الوزراء : أبو علي بن مقلة ، ومن قبله محمد بن عبد الملك الزيات .

ومن القواد : الإفشين ، وعجيف ، وإيتاخ ، ومحمد بن إبراهيم المصعبي ، وزهمان بن هندي ، وعماد الدين بن المشطوب ، والأمير سلار ، وكان من الغني علي درجة عظيمة ، وقد حبسه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ومنع عنه الطعام ، حتي أكل خفه من شدة جوعه .

ومن العلماء : عبد الصمد عبد الأعلي ، وأخوه عبد الرحمن ، وشهاب الدين السهروردي ، صاحب القصيدة المشهورة :

أبدأ تحن اليكم الأرواح ****ووصالكم ريحانها والراح

ويشتمل هذا الباب علي ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القتل بالعطش ، ويكون بإطعام المعذب طعامة مالحة ، ومنع الماء عنه .

الفصل الثاني : القتل بالجوع ، يمنع الطعام وحده عن الأسير .

الفصل الثالث : القتل بالجوع والعطش معا ، وهو اللون الأكثر شيوعا .

الفصل الأول: التعذيب بالعطش

أول من مارس هذا اللون من العذاب ، في الإسلام ، معاوية بن أبي سفيان في حرب صفين ، فإنه نزل بجيشه منزلا احتوي فيه علي الشريعة ، وصفت عليها قواده ، وجنده ، ومنعوا أصحاب الإمام علي من الماء ، ونضحوهم بالنبل ، وطاعنوهم بالرماح ، وحالوا بينهم وبين الشريعة ، فدعا الإمام علي ، صعصعة بن صوحان ، وقال له : ائت معاوية ، وقل له انا سرنا مسيرنا هذا إليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار اليكم ، وإنك قدمت إلينا خيلك ، ورجالك ، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكف حتي ندعوك ، ونحتج عليك ، وإنكم حلتم بين الناس وبين الماء ، فابعث إلي أصحابك ، فليخلوا بين الناس وبين الماء ، ويكفوا حتي ننظر فيما قدمنا وقدمتم له ، فقال معاوية للرسول : سيأتيك رأيي ، وبعد عودة الرسول ، أمر معاوية بمنع أصحاب علي من الوصول الي الماء ، فحاربه أصحاب علي ، وطردوا أصحاب معاوية عن الشريعة ، واستولوا عليها ، ومنعوا أصحاب معاوية من الماء ، فأمر الإمام علي أصحابه بأن يأخذوا من الماء حاجتهم ، وأن يخلوا بين الشريعة وبين من يريد أن يستقي منها (الطبري 571/4– 572 وابن الأثير 283/3 –284).

ومارس هذا اللون من العذاب ، من بعد معاوية ، عبيد الله بن زياد أمير العراق ليزيد بن معاوية ، ففي السنة 61 لما أقبل الإمام الحسين عليه السلام

ص: 7

الي كربلا ، كتب عبيد الله بن زياد ، إلي قائد جيشه عمر بن سعد، أن يحول بين الحسين وأصحابه ، وبين الماء ، لا يذوقوا قطرة ، فبعث عمر بن سعد خمسمائة فارس نزلوا علي الشريعة ، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، وصاح عبدالله بن أبي حصين الأزدي ، بالإمام الحسين : يا حسين ، ألا تنظر إلي الماء كأنه كبد السماء ، والله لا تذوق منه قطرة حتي تموت عطشا (الطبري 412/5 ، وابن الأثير 53/4).

وقتل هشام بن عبدالملك ، عبد الصمد بن عبد الأعلي ، مؤدب الوليد بن يزيد ، وأخاه عبد الرحمن بالعطش ، إذ أن عبد الصمد نظم شعرا يستعجل فيه ملك الوليد ، فغضب، وكتب الي الوليد يقول له : انك قد اتخذت عبد الصمد خدنا وأليفة ومحدثا ونديما ، وقد صح عندي أنه علي غير الإسلام ، فحقق ذلك ما يقال فيك ، فاحمل عبد الصمد مع رسولي مذمومة مدحورة ، فأشخصه الوليد الي هشام ، فأمر هشام بإنفاذه إلي يوسف بن عمر ، أمير العراق ، ومعه أخ له اسمه عبد الرحمن ، فبني لهما يوسف بيتا ، وجعلهما فيه ، وطين بابه ، وصير فيه كوة ، يرمي إليهما الطعام منها ، ثم اعطشهما حتي هلكا (العيون والحدائق 116/3 -117).

وفي السنة 223 تـأمر بعض القواد علي المعتصم ، وبايعوا العباس بن المأمون ، ولما حقق المعتصم في الأمر، اعترف له العباس بذلك ، فلما نزل المعتصم منبج ، وكان العباس جائعة ، وهو معتقل في يد الإنشين ، قدم إليه طعام كثير ، فأكل ، ثم منع عنه الماء ، وأدرج في مسح ، فمات (الطبري 76/9 وتجارب الأمم 501/6 وابن خلدون 265/3).

وكان عجيف بن عنبسة ، أحد القواد المتآمرين مع العباس بن المأمون علي عمه المعتصم، حبسه المعتصم عند محمد بن إبراهيم بن مصعب، فسأله المعتصم يوما : يا محمد ، لم يمت عجيف ؟ فقال : يا سيدي ، اليوم يموت ، ثم جاء إلي مضربه ، فقال لعجيف : يا أبا صالح ،

أي شـيء تشـتهي ؟ قـال : اسـفيدباج وحلوي فـالوذج ، فـأمر بأن يعمل له من كل طعام ، فأكل ، وطلب الماء ، فمنع ، فلم يزل يطلب وهو يسوق ، حتي مات (الطبري 77/9).

وفي السنة 235 قتل المتوكل القائد إيتاخ الخزري ، بأن أمر أمر بغداد اسحاق بن إبراهيم المصعبي بقتله ، وعندما مر إيتاخ بغداد ، عائدة من الحج ، في ثلثمائة من أصـحابه وغلمانه ، استقبله اسحاق ، وعبر الجسر ، فوقف بإيتاخ علي باب قصر خزيمة بن خازم ، في الجانب الشرقي من بغـداد علي دجلـة ، وهو المنزل المعـد لإيتاخ ، فنزل إيتاخ ودخل المنزل ، وقد فرشت له الدار ، ومنع غلمانه من دخولها معه ، إلا أربعة منهم ، وأخذت عليه الأبواب ، وأمر بحراسـته من ناحية الشط ، وكسـرت كل درجة من درجات قصـر خزيمة ، ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا علي أخذه ، ثم حمله اسـحاق في حراقة، بعد أن أخذ سـيفه ، فأدخل إلي دار اسحاق ، وقيد بقيد ثقيل ، في عنقه ورجليه، ثمانين رط ، وأخذ ابناه منصور ومظفر ، وكاتباه سـليمان بن وهب وقدامـة بن زياد النصـراني ، فحسـبوا ببغداد ، وكانت وظيفة إيتاخ في الحبس رغيفا واحدا من الخبز وكوز مـاء ، أمـا ابنـاه فكـانت وظيفتهمـا خواناً فيه سـبعة أرغفـة وخمس غراف من الوان الطعام ، ومات إيتاخ في الحبس ، بأن اطعم ، فاستسـقي ، فمنع الماء حتي ماء عطشـة ، وبقي ابناه في السـجن حتي مات المتوكل، فأخرجهما المنتصـر لما آل إليه الأمر في السـنة 247 فمات المظفر بعد إطلاقه بثلاثة أشهر ، أما منصور فعاش بعده (الطبري 168/9 ـ 170)

وفي السنة 236 كان محمـد بن إبراهيم بن مصـعب ، يلي فارس ، وكان متنكرة لابن أخيه محمـد بن اسـحاق بن إبراهيم ، فولي محمـد بن اسحاق فارس ، فبعث خليفة له عليها ، الحسين بن اسماعيل ، وأمره بأن يحتال لقتل

عمه ، فلما صار إلي فارس ، أهدي إلي محمد بن إبراهيم هدايا في النيروز ، من جملتها حلواء ، فأكل محمد منها، ثم دخل عليه الحسين ، وقدم له حلوي ، فأكل منها أيضاً ، فعطش ، فاستسقي، فمنع الماء ، ورام أن يخرج ، فحيل بينه وبين الخروج، فعاش يومين وليلتين، فمات (الطبري (الطبري 183/9 – 184)

وبعث القاسم بن عبيد الله، وزير المكتفي ، بالكاتب محمد بن غالب الأصبهاني، إلي المسمعي بإصبهان ، وكتب إليه بإهلاكه، فأطعمه المسمعي ، ومنع عنه الماء ، فمات عطشا .

أقول : أبو عبدالله محمد بن غالب الأصبهاني الكاتب ، كان علي ديوان الرسائل بالحضرة، ثلاثين سنة ، واتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير المعتضد، وبولده القاسم بن عبيد الله ، وزير المعتضد والمكتفي ، ثم بلغ القاسم أن الإصبهاني يرشح نفسه للوزارة ، فأوقع به وبأثنين معه من الكتاب ، هما محمد بن بشار وابن منارة الكاتب وأوثقهم بالحديد، وأحدرهم الي البصرة ، علي ما جاء في مروج الذهب 528/2 وسير الإصبهاني إلي إصبهان، علي ما جاء في الوافي بالوفيات 308/4 وكتب الي المسعي بإهلاكه ، فأحضره مائدته ، وأطعمه كوامخ وسمكا ، ثم أدخله بيتا وأغلقه ، فمات عطشا ، وذكر أحمد بن أبي طاهر ، في تاريخ بغداد ، أنه قتله بالجوع والتدخين .

وفي السنة 295 طالب الجند بمكة ، بجائزة بيعة المقتدر ، وهاجوا بمني ، فقاتلهم أمير مكة عج بن حاج ، وقتل منهم جماعة ، وهرب الناس إلي بستان ابن عامر ، وانتهب الجند مضرب أبي عدنان ربيعة بن محمد أحد أمراء القوافل، وأصاب الحاج المنصرفين من مكة ، في طريقهم، من القطع ، والعطش ، أمر غليظ ، حتي مات منهم من العطش جماعة ، وذكر

أن بعضهم كان يبول في كفه ويشربه (الطبري 10/ 139 وابن الأثير 11/8 -12)

ولما توفي الصاحب بن عباد، وزير فخر الدولة البويهي ، سنة 385 وزر بعده أبو العباس الضبي ، وأبو علي بن حمولة ، فأخذا في مصادرة الناس ، وانفذا أبا بكر بن رافع إلي استراباذ ونواحيها، فجمع الوجوه ، وأرباب الأموال ، وأخر الإذن لهم حتي تعالي النهار ، واشتد الحر ، ثم اطعمهم طعاما أكثر ملحه ، ومنعهم الماء عليه وبعده ، وقدم إليهم الدواة والكاغد ، وطالبهم ، بكتب خطوطهم بما يصححونه ، ولم يزل يستام عليهم ، وهم يتلهفون عطشاً ، إلي أن التزموا له عشرة آلاف ألف درهم . (معجم الأدباء 71/1 -72).

وفي السنة 403 ورد الخبر بأن أبا فلتيه ابن القوي ، سبق الحاج الي واقصة ، في ستمائة رجل ، فنزح الماء من مصانع البرمكي ، والريان ، وغورها، وطرح في الآبار الحنظل ، وأقام يرصد ورود الحاج ، فلما وردوا العقبة ، اعتقلهم ، ومنعهم الإجتياز ، وطالبهم بخمسين ألف دينار ، فامتنعوا، وبلغ منهم العطش كل مبلغ ، فهجم عليهم ، واحتوي علي الجمال والأموال والأعمال ، وهلك من الحاج خمسة عشر ألف إنسان ، فخرج علي بن مزيد ، أمير الكوفة في طلب المعتدين ، فلحق بهم وقد قاربوا البصرة ، فأوقع بهم ، وقتل كثيرة منهم ، وأسر أبا فليته بن القوي ، والأشتر ، وأربعة عشر رجلا من وجوه بني خفاجة ، واستعاد من الأموال ما أمكن استعادته ، وعاد إلي الكوفة ، وبعث بالأسري إلي بغداد ، فشهروا ، وأودعوا الحبس ، ثم أجيعوا ، وأطعموا المالح ، وتركوا علي دجلة ، يشاهدون الماء ، وماتوا عطشاً هناك . (المنتظم 260/7 -261).

ص: 11

الفصل الثاني: التعذيب بالجوع

لما قتل محمد بن عبدالله بن الحسن العلوي بالمدينة في السنة 145 عاث فيها جند المنصور ، فوثب سودان أهل المدينة فقتلوا بعض الجند ، وطردوا باقيهم ، واجتمع سودان المدينة ، وقلدوا امرهم واحدا منهم اسمه (أويتوا) ومنحوه لقب أمير المؤمنين ، ثم تفرق عنه أصحابه، فحبس ، وأثقل بالحديد ، ومنع عنه الطعام ، فمات جوعا (العيون والحدائق 250/3).

وكانت سياسة صاحب الزنج في البلاد التي يفتحها القتل والإستئصال ، فكان يقتل حتي النساء والأطفال والشيوخ (مروج الذهب 2/ 470) وكان ما صنعه المهلبي ، أحد قواده بالبصرة ، مضرب المثل ، حيث اشتهر من بعد استباحة صاحب الزنج البصرة ، المثل المشهور : بعد خراب البصرة ، فإن المهلبي ، بعد أن فتح البصرة وقتل من قتل، وأحرق ما أحرق ، ونهب ما نهب ، جمع الباقين في الجامع ، ووضع فيهم السيف ، فمن ناج ، ومن قتيل، ومن غريق ، واختفي كثير من الناجين في الدور والآبار ، فكانوا يظهرون بالليل ، فيأخذون الكلاب والسنانير والفيران . فيأكلونها، فأفنوها، حتي لم يقدروا منها علي شيء ، فكانوا إذا مات الواحد منهم ، أكلوه ، ويراعي بعضهم موت بعض ، ومن قدر منهم علي صاحبه ، قتله وأكله ، وذكر أن امرأة منهم ، كانت تنازع ، وحضرتها اختها، وقد احتوشوها ينتظرون موتها ليأكلوها ، فلما ماتت عجلوا عليها فقطعوها ، وأكلوها ، ورأوا اختها تبكي

ص: 13

فسألوها عن سبب بكائها ، فقالت : إنهم تقاسموا لحم أختها ، فلم يعطوها منها شيئا ، إلا رأسها (مروج الذهب 478/2 – 479).

وفي السنة 322 قتل الراضـي ، وزيره ابن مقلة بالجوع ، بأن قطع عنه الخبز ، فمات في حبسه بدار الخلافة ، ودفن حيث مات، وكان قبل قطع الخبز عنه ، قد قطع يده ولسانه (تجارب الأمم 389/1 – 390).

وفي السنة 364 مرض الوزير ابن بقية ، وزير بختيار البويهي ، فبادر أبو نصـر بن السـراج ، أحد المتصرفين، فضمن لبختيار من جهة ابن بقية أموالا ، ثم عوفي ابن بقية ، وبلغه ما حصل ، فأمر ابن الراعي ، وهو احد اتباعه ، أن يضـمن ابن السـراج ، فضـمنه بمائة ألف دينار، وتسلمه ، وبسط عليه المكاره ، وأصناف العذاب ، وحبسه في صندوق، ومنع عنه الطعام ، فمات أقبح ميتة (تجارب الأمم 358/3– 359).

وفي السنة 478 عشـقت فتاة ببغـداد ، جارة لأهلها ، وأحس بها أبوها ، فأراد قتلها ، فهربت ، ثم اخذها وحبسـها في داره ، في بيت ، وسـد عليها الباب ، حتي ماتت جوعا (التنظيم 16/9 –17).

وفي السنة 480 قبض الخضر بن إبراهيم ، ملك ما وراء النهر ، علي أبي المعالي محمد بن محمد الحسيني ، الملقب بالمرتضي ، طمعا في أمواله ، ومنع عنه الطعام ، حتي مات جوعا ، ثم قتل ابنه من بعده (المنتظم 41/9 والوافي بالوفيات 143/1).

أقول : جاء في المنتظم 41/9 ان ابا المعالي هـذا، كان يرجع إلي عقل كامل، وفضل وافر ، ورأي صائب، حدث ، وصـنف ، وكانت له دنيا وافرة ، وكان ينفذ زكاته إلي جميع البلدان ، ويصـرف أمواله في البر ، بعث اليه ملك ما وراء النهر : إني أريد أن أحضر بستانك ، فقال للرسول : لا سبيل إلي ذلك ، لأني عمرته من المال الحلال ، ليجتمع فيه عندي أهل

الدين ، فلا أمكنه من الشـرب فيه ، فغضب الأمير ، وعاود الطلب ، فأعاد الجواب ، فقبض عليه ، واسـتولي علي أمواله وأملاكه ، ثم منع عن الطعام حتي مات .

وفي السنة 528 خرج شـمس الملوك صاحب دمشق للصـيد، فحاول إيليا غلام طغتكين جد شـمس الملوك ، أن يغتاله، وضـربه بالسـيف ضربتين، فلم تعمل فيه ، وقبض عليه شـمس الملوك وقتله ، وقتل معه آخرين ، ثم اتهم أخاه سونـج بأنه وراء المؤامرة، فتركه في بيت ، وسـد عليه الباب فمات جوعا (عيون التواريخ 283- 284).

وفي السنة 617 اعتقل الملك الأشـرف ، الأمير عماد الدين المشطوب ، وألقاه في جب ، فمات بالقمل والجوع (الذيل علي الروضتين ص 121).

وفي السنة 710 حبس الملك الناصـر ، الأمير سـلار ، ومنع عنه الطعام ، فمات جوعا ، بعـد أن أكل أخفافه (بدائع الزهور 155/1 وفوات الوفيات 87/2)

الفصل الثالث: التعذيب بالجوع والعطش

و لما عزم الوليد علي أن يخلع أخاه سليمان من العهد، وأن يعهد إلي ولده ، أطاعه كثير من الأشراف ، طوعا وكرها ، وامتنع عمر بن عبد العزيز ، وقال له : في أعناقنا بيعة لسليمان ، وصمم ، فطين عليه الوليد ، أي أنه أدخله حجرة ، وشد جميع منافذها بالطين ، ثم شفع فيه بعد ثلاث ، فأدركوه وقد مالت عنقه . (تاريخ الخلفاء 230).

وذكر إدريس بن محمد بن يحيي ، أن الرشيد، قتل جده يحيي بن عبد الله ، في الحبس ، بالجوع والعطش . (مقاتل الطالبيين 483) .

ولما اعتقل المعتصم ، الإفشين ، في السنة 225 بني له سجنا خاصا ، مقدار مجلس الرجل ، وأمر المعتصم بمنع الطعام عنه ، فكان يعطي في كل يوم رغيفة ، حتي مات ، فأخذ إلي دار إيتاخ ، وصلبوه ، ثم طرح بباب العامة ، مع خشبته ، ثم أحرق ، وطرح الرماد في دجلة (الطبري 114/9)

وبعث المعتصم إيتاخ ، إلي الافشين ، وقال : قل له ، يا عدو الله ، فعلت ، وصنعت ، فكيف رأيت صنع الله بك ؟.

فقال الإفشين لإيتاخ : يا أبا منصور ، قد ذهبت بمثل هذه الرسالة ، إلي عجيف بن عنبسة ، فقال : يا أبا الحسن ، قد ذهبت بمثل هذه الرسالة

إلي علي بن هشام ، فقال لي : أنظر من يأتيك بها ، وأنا أقول لك الآن : أنظر من يأتيك بها .

فما مرت إلا أيام قلائل، حتي حبس إيتاخ ، وقتل (لطائف المعارف 143)

أقول : الأفشين ، بفتح أوله ، وبكسره ، لقب ملوك أشروسنة ، أحد أقاليم ما وراء النهر ، كما أن كسري لقب ملوك فارس ، وقيصر لقب ملوك الروم ، وخاقان لقب ملوك الترك ، وقد لقب به الإفشين لأن آباءه كانوا ملوك أشر وسنة ، وهو أبو الحسن خيذر بن كاوس بن خانا خره بن خرابغره ، أسر هو وأبوه في أيام المأمون ، في حملة عسكرية قادها أحمد بن أبي خالد وزير المأمون ، بأمر منه علي بلاد ما وراء النهر ، وحمل خيذر وأبوه إلي المأمون ، فأسلم خيذر ، واتصل بالمعتصم لما كان أميرة في عهد أخيه المأمون ، فأختصه ، وقوده ، ولما اضطربت أحوال مصر ، وكان المعتصم يليها للمأمون ، ويبعث إليها نائبا ، سير إليها الأفشين في السنة 215 فحارب الثائرين بها ، وقهرهم ، ولما استخلف المعتصم ، عقد له في السنة 220 علي الجبال ، وولاه حرب الثائر الفارسي بابك الخرمي الذي كان قد بدأ بثورته منذ السنة 201 وكانت ثورته تقوي وتتسع سنة بعد سنة ، حتي أصبحت تهدد الدولة بأعظم الأخطار ، فجد الإفشين في محاربته ، وظفر به ، وحمله إلي سامراء أسيرة ، حيث جري أعدامه باحتفال عظيم ، ولما بلغ المعتصم ظفر الأفشين ببابك ، أخذ يبعث إليه ، من يوم فصل من برزند ، إلي أن وافي سامراء ، في كل يوم فرسا وخلعة ، ولما وافي سامراء ، ألبسه المعتصم التاج ، وقلده وشاحين من الجوهر ، ووصله بعشرين ألف ألف درهم ، وعقد له علي السند ، وأدخل إليه الشعراء فامتدحوه ، وفي ديوان أبي تمام قصيدة من ستة وثلاثين بيتا ، امتدح بها الأفشين ، وذكر أسلافه ، ووصفه بفحل المشرق ، قال :

بد الجلاد البفهو دفين****ما إن به إلا الوحوش قطين

قد كان عذرة مغرب فأفتضها****بالسيف فحل المشرق الأفشين

فأعادها تعوي الثعالب وسطها**** ولقد تري بالأمس وهي عرين

الاقاهم ملك حباه بالعلي**** خرا وخانا خرة الميمون

وذكره أبو تمام في قصيدة أخري ، امتدح بها أبا دلف ، فقال :

وقد علم الأفشين وهو الذي به**** يصان رداء الملك من كف جاذب

وذكره في قصيدة أخري ، تحدث فيها عن ثورة بابك ، فقال :

فرماه بالإفشين بالنجم الذي**** صدع الدجي صدع الرداء البالي

وأثني في قصيدة أخري علي شجاعته ورأيه في الحرب ، فقال :

وقد لبس الأفشين قسطلة الوغي**** محشا بفصل السيف غير مواكل

وجود من آرائه حين أضرمت**** له الحرب حد مثل حد المفاصل

وسارت به بين القنابل والقنا ****عزائم كانت كالقنا والقنابل

ورافق الأفشين المعتصم في فتح عمورية ، ولما انكشفت مؤامرة بعض القواد علي المعتصم ، من أجل خلعه واستخلاف ابن أخيه العباس بن المأمون بدلا منه ، لم يأتمن علي العباس غير الأفشين ، فإنه أسلمه إليه ، فحبسه أياما ، ثم قتله ، وبلغت منزلة الأفشين لدي المعتصم ، لما تزوج ابنه الحسن بن الأفشين ، باترنجة بنت آشناس، أن أعرس بها في قصر المعتصم ، وحضر عرسه عامة أهل سامراء ، وكان الخليفة المعتصم بنفسه يباشر تفقد من حضرها ، وهذا شيء لم يصنعه الخليفة مع أحد من الناس ، وكان الأفشين خشن المواجهة ، وإذا سكر عربد، وكانت مواقفه في نصرة الدولة العباسية ، والعناية الفائقة التي نالها من المعتصم ، والعطايا الجزيلة التي أفاضها عليه ، زادت في خشونته وكبريائه ، فأثار حفيظة جماعة من رجال الدولة ، وحاشية الخليفة ، علي رأسهم الأمير عبد الله بن طاهر ، وقاضي القضاة

أحمد بن أبي دؤاد ، وهما من العقل والدراية ، عناية المعتصم بهما ، بالموضع الذي لا يرقي إليه أحد، وانضاف إليهما الوزير محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات ، وجماعة من القواد ، فأوهموا المعتصم إنه يريد الخروج علي الدولة ، فأمر باعتقاله ، وحبس في الجوسق ، محبس الأمراء وكبار رجال الدولة ، ثم بني له حبسا خاصا مرتفعة، أشبه شيء بالمنارة ، وجعل له في وسطها مقدار مجلسه ، وكان الرجال يدورون حولها ، يتناوبون علي حراسته ، وحوكم الأفشين محاكمة علنية ، كان قضاته فيها خصومه ، وكان المحقق الذي استجوبه هو قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد ، ورئيس المحكمة الوزير ابن الزيات ، والمستمعون جماعة من كبار القواد والكتاب ، وقد حفظ لنا التاريخ ما جريات تلك المحاكمة ، ولم يقم ضده من الأدلة ما يستوجب الحكم الذي صدر عليه بالإعدام ، ولكن لما كان خصومه هم قضاته ، فقد كان القرار معروف ، وليس عجيب أن يرد الأفشين هذا المورد ، فإن ارتفاعه إلي الدرجة التي ارتفع إليها، كانت تؤذن بهذا الإنحدار ، شأنه شأن البرامكة من قبله وغيرهم من الوزراء وكبار رجال الدولة ، وقد أثبت المؤرخون نصوص الأسئلة التي وجهت للأفشين كما حفظ لنا أجوبته عليها، وكان أول ما سئل عنه ، أنه كان قد ضرب إمام جامع في أشروسنة ومؤذن ألف سوط ، فاعترف بأنه أمر بضربهما، واحتج لنفسه بأنه كان بينه وبين ملوك السغد عهد وشرط أن يترك كل قوم علي دينهم ، وقد وثب هذان الرجلان علي بيت كان فيه أصنام أهل اشروسنة ، فأخرجاها ، واتخذا من المكان مسجد ، فضربهما لتعديهما، واتهم بأنه وجد في بيته كتاب محلي بالذهب والجوهر والديباج ، فيه ما يخالف اعتقاد المسلمين من الكفر بالله ، وكان جوابه ، إن هذا الكتاب ورثه عن آبائه ، فيه أدب من آداب العجم ، فكان يستمتع منه بالأدب ، ويترك ما سوي ذلك ، وقد وصل إليه من أسلافه ، وهو محلي ، فلم تضطره الحاجة إلي تجريده من حليه ، وهو أشبه بكتاب كليلة ودمنة ، والاحتفاظ به لا يخرج من احتفظ به من الإسلام ، وشهد

عليه الموبذ، بأنه يأكل المخنوقة ، وكان جوابه إن هذا الموبذ مجوسي ، فهل هو عدل مقبول الشهادة عند المسلمين ؟ فقالوا : لا، قال : فما معني قبولكم شهادة من لا تعذلونه ولا تثقون به ، وذكر عنه أن أتباعه في أشروسنة ، يكتبون ليه ما ترجمته : إلي إله الآلهة من عبده فلان ، فاعترف بذلك ، وقال : إن هؤلاء القوم جرت عادتهم أن يكتبوا بذلك إلي أبي وجدي ، وألي قبل أن أدخل في الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسي دونهم ، فتفسد علي طاعتهم ، وادعي المازيار ، أن أخا الأفشين ، كتب ألي أخيه (أخي المازيار) يدعوه للمخالفة والخلع ، لكي يتوجه إليه الأفشين ، فيتفقان علي قلع الإسلام وإعادة المجوسية ، وكان جواب الأفشين : إن هذه دعوي علي أخي وعلي أخي المازيار ، فهي دعوي لا ـ تجب علي ، وكانت آخر التهم الموجهة اليه ، للإستدلال علي كفره ، أنه لم يختن ، وكان جوابه : إنه لو فرضنا أن ذلك كان صحيحة ، فإن إغفال الختان ، لا يعني الخروج من الإسلام ، وإني خفت أن أقطع ذلك من جسدي فأموت ، فقيل له : أنت تطعن بالرمح ، وتضرب بالسيف ، وتخوض المعارك ، وتجزع من قطع قلفة ؟ فأجاب : تلك ضرورة تعنيني فأصبر عليها ، وهذا شيء أستجلبه ، فلا آمن معه خروج نفسي ، هذا وقد ظهر من بعد ذلك أنه كان مختونة ، ولكن كبرياءه ، واعتداده بنفسه ، منعه من دفع التهمة ، خشية أن يكلفه قضاته بأن يكشف عن عورته ، فيكون ذلك سبة عليه، وكان الأفشين طيلة المرافعة ، رابط الجأش ، حاضر الذهن ، رغم علمه بما ينتظره ، وأجوبته التي أجاب بها في المرافعة ، تنطق برباطة جأشه ، وحضور ذهنه ، ولما خاشنه اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، صاحب الشرطة ، التفت إليه ، وقال له : يا أبا الحسن ، هذه تنورة قرأها عجيف علي علي بن هشام ، وانت تقرؤها علي ، فأنظر غدا من يقرأها عليك ، أراد بأن رجال الدولة لما أرادوا قتل علي بن هشام ، بعثوا إليه بعجيف ، ثم قتلوا عجيفة ، وهم الآن يريدون قتله (الأفشين) فبعثوا بك إلي ، وسوف يقتلونك من بعد ذلك ، ولما زجره القاضي أحمد بن ابي دؤاد ، قال له الأفشين : أنت

يا أبا عبد اله ، ترفع طيلسانك بيدك ، فلا تضعه علي عاتقك ، حتي تقتل به جماعة ، وعندما أنهي القاضي استجواب الأفشين ، وأصدر حكمه بأن قال للقائد بغا : عليك به ، وضرب بغابيده علي منطقة الأفشين ، قال الأفشين : قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم ، ولما أعيد إلي محبسه ، بعث إلي المعتصم برسالة ، قال فيها: يا أمير المؤمنين ، إنك أحسنت إلي ، وشرفتني، وأوطات الرجال عقبي ، ثم قبلت في كلاما لم يتحقق عندك ، ولم تتدبره بعقلك كيف يكون ، وإنما مثلي ومثلك ، مثل رجل ربي عجله ،

حتي أسمنه وكبر ، وحسنت حاله ، وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه ، فعرضوا له بذبح العجل ، فلم يجبهم إلي ذلك ، فاتفقوا جميعا علي أن قالوا له ذات يوم : لم تربي هذا الأسد ، هذا سبع ، وقد كبر ، والسبع إذا كبر يرجع إلي جنسه ، فقال لهم : ويحكم هذا عجل بقر ، ما هو سبع ، فقالوا : هذا سبع ، سل عنه من شئت ، وتقدموا إلي جميع من يعرفونه ، أن يقولوا : هذا سبع ، فكلما سأل الرجل إنسانة عنه ، قال له : هذا أسد، هذا سبع ، فأمر بالعجل ، فذبح ، وأنا ذلك العجل ، كيف أقدر أن أكون أسد ، الله ، الله في أمري ، وأسأل الله أن يعطف قلبك علي ، ولم تنجع الرسالة في المعتصم فإن خصوم الأفشين ، كانوا قد أفسدوا رأي المعتصم فيه ، فأمر بمنع الطعام عنه ، فمات جوعا ، وحمل ميتأ إلي بيت إيتاخ ، ثم أخرج فصلب عارية ، ثم أحرق وذري رماده في دجلة ، وكان ذلك في السنة 226 ، وكما كان للشعراء ، مواقف في مدح الأفشين ، لما كان الخليفة راضية عنه ، كانت لهم معه مواقف أخري غيرها لما غضب عليه ، وحبسه ، واستأصله ، وبعد أن كان « فحل المشرق » و « تضيء المكرمات إذا بدا » وكان « نجما يصدع الدجي ، وكان « به يصان رداء الملك من كفت جاذب ، قال فيه أبو تمام :

جالت بخيذر جولة المقدار**** فأحله الطغيان داربوار

كم نعمة الله كانت عنده ****فكأنها في غربة و إسار

مازال سر الكفر بين ضلوعه**** حتي أصطلي حر الزناد الواري

صلي لها حيا وكان وقودها**** ميتا ويدخلها مع الفجار

قد كان بوأه الخليفة جانبا ****من قلبه حرم علي الأقدار

فإذا ابن كافرة ير بكفره ****وجدأ كوجد فرزدق بنوار

ومن جملة ما عذب به ابن الزيات لما اعتقل في السنة 233 أنه سوهر ، ومنع من النوم ، وكان ينخس بمسلة ، ثم أدخل في تنور من خشب فيه مسامير حديد قيام ، فمكث أياما ، ثم بطح وضرب بطنه خمسين مقرعة ، ثم قلب فضرب علي استه مثلها ، ومات وهو يضرب ، وهم لا يعلمون ، ولم يأكل طول مدة حبسه سوي رغيف . (الطبري 160/9).

في السنة 255 طالب الجند المعت بأرزاقهم ، فلم يجد ما يعطيهم ، فدخل عليه بعض خلفاء القواد ، وجروا برجليه إلي باب الحجرة ، وتناولوه بالضرب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرق من مواضع ، وأثار الدم علي منكبيه ، وأقاموه في الشمس في وقت شديد الحر فظل يرفع قدما ويضع أخري من حرارة الموضع ، وأخذ بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ، ثم أدخلوه سردابا ومنع الطعام والشراب ، حتي مات وهو ابن 24 سنة (الطبري 390/9)

وفي السنة 289 واقع أبو سعيد القرمطي ، بني ضبة ، وظفر بهم ، وأخذ منهم خلقا ، وبني لهم حبسا عظيما جمعهم فيه ، وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فمكثوا شهرة ، ثم فتح عليهم ، فوجد أكثرهم موتي ، ويسيرا بحال الموتي ، قد تغذوا بلحوم الموتي ، فخصاهم ، وخلاهم ، فمات أكثرهم (أتعاظ الحنفا 164).

وذكر صاحب العيون والحدائق ج 4 ق 1 ص 205 أن عمرو بن الليث

الصـفار مات في حبسه في السنة 289 بالجوع والعطش ، فإن الناس اشـتغلوا بيوم بيعـة المكتفي وأهملوا أمر تقـديم الغـذاء لعمرو ، فمات جوعا .

وأحس القاسم بن عبيد الله بن سليمان، وزير المكتفي ، أن الحسين بن عمرو ، كاتب المكتفي قبل الخلافة ، اتفق مع فارس ، داية المكتفي ، علي استيزار إبراهيم بن حمدان الشيرازي ، وعلي أن تكون الدواوين جميعها إلي الحسين بن عمرو ، وأن يعزل القاسم من الوزارة ، فتوصل القاسم إلي المكتفي ، فأرضاه ، وتسـلم الحسين بن عمرو ، وإبراهيم الشيرازي ، واستصفي أموالهما ، ثم أنفذهما إلي الأهواز ، فجعلا هناك في بيت ، وسد، ومنع من دخول الماء والطعام إليهما، حتي ماتا، راجع تفصـيل القصة في كتاب نشوار المحاضـرة للتنوخي ، في القصة رقم 171/3.

وبلغ الوزير علي بن عبيسي ، وزير المقتدر في السنة 315، أن في بغداد رجلا شيرازيا، علي مذهب القرامطة ، وأنه يكاتب أبا طاهر بالأخبار ، فأحضره ، وسأله ، فأعترف ، وقال : صحبت أبا طاهر بعد أن صح عندي أنه علي الحق ، وأنت وصاحبك كفار ، تأخذون ما ليس لكم ، فقال له : قد خالطت عسـكرنا وعرفتهم ، فمن فيهم علي مذهبك ؟ فقال له : أنت بهذا العقل تدبر الوزارة ؟ كيف تطمع مني أن أسلم قوم مؤمنين إلي قوم كافرين يقتلونهم ، لا أفعل ذلك ، فأمر به ، فضرب ضربة شديدة ، ومنع الطعام والشراب ، فمات بعد ثلاثة أيام (ابن الأثير 174/8).

أقـول : ذكر ابن الجوزي في المنتظم 210/6 أن الشـيرازي هذا ، صـفع ، وضرب بالمقارع ، وقيد ، وغل ، وجعل في فمه سلسلة ، وحبس ، فلم يأكل ولم يشرب ثلاثا ، فمات .

وأمر الحاكم الفاطمي ، صاحب مصر ، فسدت حجرة من حجر

قصره ، علي جماعة من الجواري فيه اثنتان من محظياته (النجوم الزاهرة 63)

وفي السنة 389 قتل زهمان بن هنـدي ، الـذي كان صاحب خانقين ، بالجوع والعطش ، وسـبب ذلك : أن أبا الفتح محمد بن عناز ، احتال علي زهمان فاعتقله هو وأولاده الثلاثة دلف ، ومقداد ، وهندي ، وسجنهم في قلعة البردان ، وبعد مدة ، ثار أولاد زهمان في القلعة ، وكسروا قيودهم ، وحـاولوا الفتـك بـالموكلين ، فتجمع عليهم حماة القلعـة ، وقتلوا الأولاد الثلاثـة بحضـرة أبيهم ، وأخـذوا الأب زهمان إلي بيت ، وسدوا عليه بابه ، وأبقوا كوة كانوا يلقون إليه منها قرصا من الشعير ، وقليل ماء ، فبقي أياماً ومات (تاريخ الصابي 8/ 339).

وروي التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ج 5 ص 250 – 253 رقم القصة 131/5 قصة عن أعرابي شيخ حاول أن يقتل رفيقا له في الطريق ويستولي علي ماله ، ولكن رفيقه أحس به، وحبسه في ناووس ، وتركه ، حتي مات جوع وعطشا .

ولما اسـتولي محمد بن سـعد، المعروف بابن مردنيش ، علي مرسية وأعمالها ، بالأندلس ، تنكر له أكثر رعيته ، فقتل من قواده جماعة بأنواع القتـل ، ومنهم من بني عليه في حائـط وتركه حتي مـات جوعا وعطشـة ، إلي غير ذلك من ضـروب القتل ، واسـتدعي النصاري الإفرنـج ، وأسـتعان بهم في حكم رعيته المسلمين، ومات ابن مردنيش هذا ، وهو محاصر في مرسية ، حاصره الموحدون في السنة 567 . (المعجب للمراكشي 322) .

وفي السنة 587 تضافر قوم من أهالي حلب علي الشـيخ شهاب الدين السهروردي واتهموه بفساد العقيدة ، وكتبوا إلي السلطان صلاح الدين ، بأنهم يخشون أن يفسد عقيدة الملك الظاهر ولده صاحب حلب، فكتب الناصر إلي

ولده الظاهر ، يأمره بقتله، وشدد عليه في ذلك ، فخيره في الميتة التي يرتضيها ، فاختار أن يحبس في مكان ، ويمنع من الأكل والشرب ، إلي أن يموت ، ففعل به ذلك . (شذرات الذهب 292/4 وعيون الأنباء 167/2 ومعجم الأدباء 270/7).

وكان السلطان محمد بن محمد بن محمد النصري ، سلطان غرناطة ، المخلوع سنة 708 والمقتول سنة 710 عظيم القسوة ، اعتقل طائفة من مماليك أبيه ، فسجنهم في مطبق الأري بحمراء غرناطة ، وأقفل عليهم الأبواب ، ومنعهم القوت ، فمكثوا أياما يصرخون من الجوع ، حتي خفتت أصواتهم بعد أن اقتات آخرهم موتا من لحم من سبقه، وحملت الشفقة حارس كان برأس المطبق علي أن طرح لهم خبز يسيراً ، تنغص عليه أكله مع مباشرة بلواهم، ونمي إلي السلطان ذلك ، فأمر به ، فذبح علي حافة الجب ، فسالت عليهم دماؤه (الاحاطة 555 و 556).

ولما اعتقل الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في السنة 710 الأمير سلار ، أمر أن يبني عليه أربعة حيطان في مجلسه ، وألا يطعم ولا يسقي ، فبقي سبعة أيام لا- يطعم ولا يسقي ، وهو يستغيث من الجوع ، ثم أرسل إليه السلطان ثلاثة أطباق مغطاة بسفر الطعام ، ففرح ، ولما كشفوها كان في أحد الأطباق ذهب ، وفي الثاني فضة ، وفي الثالث لؤلؤ وجواهر ، وبقي علي حالته هذه اثني عشر يوما ومات ، فجاءوا إليه فوجدوه قد أكل ساق خفه ، وقد أخذ السرموجة (الحذاء) وحطها في فيه ، وعض عليها بأسنانه ، وهو ميت . (النجوم الزاهرة 18/9).

وفي السنة 710 مات الأمير بكتوت بدر الدين الفتاح ، من كبار الأمراء بمصر ، في سجن الإسكندرية ، وكان موته بالجوع والعطش ، وكان قد اختص بالمظفر بيبرس لما تسلطن ، وسار معه إلي الصعيد ، ولما عاد الناصر محمد بن قلاوون إلي السلطنة ، وقتل بيبرس ، قدم بكتوت علي الناصر

طائعة ، فأكرمه ، ثم قبض عليه وسجنه بالإسكندرية ، وترك أحد عشر يوما بلا مأكول ولا مشروب ، فمات (الدرر الكامنة 23/2) .

وفي السنة 710 اعتقل السلطان الملك محمد بن قلاوون ، الأمير برلغي الاشرفي ، وضيق عليه ، ومنع من دخول الطعام والشراب إليه ، حتي يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع ، ثم مات (النجوم الزاهرة 17/9 و216).

ولما استولي تيمورلنك علي هراة، حبس سلطانها السلطان غياث الدين بن السلطان حسين ، ومنع عنه الطعام والشراب حتي مات جوعا وعطشاً (اعلام النبلاء 489/2) .

ص: 27

الباب السادس عشر : القتل بصنوف العذاب

اشارة

يحتوي هـذا الباب ، علي أخبار القتل الـذي تم بألوان من العذاب ، غير ما سبق أن فضـلناه من القتل بالسيف، وبأنواع السـلاح الأخري، وبالنار ، وبكتم النفس.

ويشتمل هذا الباب ، علي أربعة عشر فص؟ :

الفصل الأول : القتل بالتفزيع .

الفصل الثاني : القتل بالبرد .

الفصل الثالث : القتل بالفصد .

الفصل الرابع : القتل بقصف الظهر .

الفصل الخامس : القتل ببقر البطن .

الفصل السادس : القتل بدق المسامير في الأذان .

الفصل السابع : القتل بطرح الإنسان للسباع .

الفصل الثامن : القتل بالطرح من شاهق .

الفصل التاسع : القتل بتحطيم الرأس .

الفصل العاشر : القتل بتمزيق البدن .

الفصل الحادي عشر : القتل بتقطيع الأوصال .

الفصل الثاني عشر : القتل والتعذيب بالسلخ .

الفصل الثالث عشر : القتل بالنشر بالمنشار .

الفصل الرابع عشر : القتل بألوان أخري من العذاب .

ص: 29

ويحصل بتخويف المعذب ، والتهويل عليه ، وإحضاره في الوقت الذي يعذب فيه غيره من الناس .

وموست هذه العقوبة ، علي فاطمة ابنة يعقوب بن الفضل الهاشمي ، وعلي خديجة زوجة يعقوب ، فإن المهدي العباسي اتهمهما بالزندقة ، وقعتا بأن ضرب علي رأسيهما بشيء يقال له : الرعبوب ، فماتتا فزعاً . (الطبري 191/8)

ولما سيطر أحمد بن طولون علي مصر ، كان علي البريد بها شقير الخادم، فاتفق شقير مع أحمد بن المدبر، عامل الخراج بها، وسعية باحمد بن طولون إلي الخليفة ، وبلغ احمد ذلك ، فاعتقل شقيرة ، وأحضره، وأمر بأن يجلد ، فأخذه الذعر ، فمات (المكافأة 114).

وقد مارس المحسن بن الفرات في السنة 312 ذلك علي محمد بن نصر ، وكيل أبي الحسن علي بن عيسي بن الجراح ، فإنه أدخل إلي ديوانه ، فرأي ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسن، فمات من الفزع . (تجارب الأمم 132/1).

ص: 31

الفصل الثاني: القتل بالبرد

ومن ألوان العذاب ، أن يعزي المعذب ، ويصب عليه الماء البارد ، في الشتاء ، أو أن يحرم من الدثار ، ويترك في الجو البارد حتي يموت .

وأول من مارس هذا النوع من العذاب ، علي ما بلغنا ، الوليد بن عبد الملك الأموي ، فإنه في السنة 88 أمر بهدم حجر أزواج الرسول صلوات الله عليه ، وإضافتها إلي المسجد، فلما شرع في ذلك ، غضب خبيب بن عبدالله بن الزبير ، وصاح: اليوم محيت آية من كتاب الله تعالي ، يريد بذلك الآية الكريمة : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (4 م الحجرات 49)، فكتب بذلك صاحب البريد إلي الوليد ، فأمر الوليد بأن يجلد خبيب مائة سوط ، وأن يصب علي رأسه قربة ماء بارد ، فضرب في يوم بارد ، وصب علي رأسه الماء ، فمات (العيون والحدائق 4/3).

وفي السنة 236 توقي أبو سعيد محمد بن يوسف المروزي فجأة ، وكان في عسكره بالكرخ ، قد عقد له علي اذربيجان وأرمينية ، يريد السفر إليها ، فمات فجأة لبس أحد خفيه ، ومد الأخر ليلبسه، فسقط ميتا ، فوتي المتوكل ابنه يوسف بن محمد ما كان وليه أبوه من الحرب وأضاف إليه الخراج ، فشخص إلي عمله، ووجه عماله، وفي السنة 237 قبض علي أحد بطارقة أرمينية ، وقيده وبعث به إلي سامراء ، فاجتمع عليه بطارقة أرمينية ، وحصروه ، وقتلوه ومن قاتل من جنده ، أما من لم يقاتل، فقالوا لهم: ضعوا

ثيابكم ، وانجوا عرايا ، فطرحوا ثيابهم ، ونجوا عراة حفاة ، فمات أكثرهم من البرد ، ونجا بعضهم وقد سقطت أصابعهم . (الطبري 187/9).

وفي السنة 252 خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد، وقيده ، وضربه أربعين مقرعة ، وحبسه ، وقتله بالبرد ، بأن وضعه في ثلاجة ، حيث أجلسه في حجرة ، ونضدت عليه حجارة الثلج ، فجمد برد ، ومات (الطبري 362/9وابن الأثير 172/7).

أقول : وقد عذب المعتز عند خلعه وقتله ، بعكس ما عذب به أخاه ، فإنه حقن بماء مغلي، فورم جوفه، ومات (مروج الذهب 462/2). أما الشريشي شارح مقامات الحريري ، فذكر أن المعتز لما خلع أدخل حماماً وأغلق عليه فمات من حره (شرح المقامات الحريرية 226/1)، أما صاحب تاريخ الخلفاء ، فذكر أن الأتراك هجموا علي المعتز ، وجروا برجله ، وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف ، وهم يلطمون وجهه ، ويقولون له إخلع نفسك، فخلع نفسه ، وبعد خمس ليال من خلعه ، أخذه الأتراك فأدخلوه الحمام ، ومنعوه الماء ، ثم سقوه ماء بثلج ، فسقط ميتا (تاريخ الخلفاء 360).

وذكر الشريشي في كتابه : شرح المقامات الحريرية 226/1 أن ابن المعتز ، لما قبض عليه المقتدر ، أمر به فرمي في صهريج فيه ماء، فمات من شدة البرد ، وقال : إن من العجائب أن أباه المعتز، لما خلع عن الملك ، أدخل حمامة ، وأغلق عليه ، فمات من حره .

وفي السنة 403 قتل شمس المعالي قابوس بن وشمگير بالبرد ، تآمر عليه قواده ، وذلك إنه كان عنيفاً معهم ، يقتل علي الذنب اليسير ، فتأمروا عليه واعتقلوه ونصبوا ولده مكانه ، وحملوه إلي قلعة جناشك ، وتركوه حتي إذا دخل إلي المرحاض أخذوا ثيابه ، وتركوه ، وكان الزمان شتاء ، والبرد

شديدا ، فجعل يستغيث ، ويصيح : أعطوني ولوجل دابة ، فلم يفعلوا ، فمات من شدة البرد . (ابن الأثير 239/9 وفيات الأعيان 81/4).

وفي السنة 514 خرج جوسـلين الإفرنجي صاحب الرها، فأغار علي النقرة والأحص ، وقتل ، وسبي ، وأحرق، ثم قصد تل باشر ، وصنع بها كما صـنع بالنقرة والأحص ، وأخذ المشايخ والعجائز والضعفاء ، فنزع عنهم ثيابهم، وتركهم في البرد عراة ، فهلكوا بأجمعهم (أعلام النبلاء 437/1).

وفي السنة 534 قبض الوزير البر وجردي ، علي ثابت بن حميد المسـتوفي فحبسه في سـرداب بهمذان في الشـتاء بطاق قميص ، فمات من البرد ، وأخذ من ماله ثلثمائة ألف دينار. (المنتظم 87/10).

ص: 35

الفصل الثالث: القتل بالفصد

والعذاب بالفصد ، من أخف ألوان العذاب ، وأقلها أذي ، ولا يتأتي إلا بمزيد من العناية .

وممن اختار القتل بالفصد ونزف الدم ، عبد يغوث بن صلاءة بن ربيعة ، من قحطان ، قائد قومه من بني الحارث ، فإنه أسر في بعض الوقائع، وخير كيف يرغب أن يموت ، فاختار أن يشرب الخمر صرفاً، ويقطع عرقه الأكحل ، فمات نزف . (الأعلام 337/4).

ولما أراد الخليفة المعتضد، أن يقتل أستاذه ونديمه ، الفيلسوف أبا العباس احمد بن الطيب السرخسي ، في السنة 286 ، بعث إليه يقول : لك سالف خدمة ، فاختر أي قتلة تحب أن أقتلك ؟ فاختار أن يفصد ، ويترك فصاده من دون شد، فقتل بتلك القتلة (الوافي بالوفيات 6/7).

وغضب زيادة الله بن الأغلب ، صاحب إفريقية (ت 304) ، علي طبيبه إسحاق بن عمران ، الملقب بسم ساعة ، فأمر به ففصد في ذراعيه جميعا ، وسال دمه حتي مات ، ثم صلبه علي جذع ، فطال مقامه مصلوبا حتي عشش في جوفه صقر لطول مقامه (طبقات الأطباء والحكماء لأبن جلجل 85-86).

وفي السنة 669 قتل عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي ، من الفلاسفة

القائلين بوحدة الوجود ، ونسبت إليه أقوال مخالفة للشريعة ، فصد بمكة ، وترك دمه يجري، حتي مات نزفا . (الأعلام 51/4).

ولما اعتقل السـلطان علي بن عثمان المريني ، سلطان المغرب ، أخاه عمر ، وأحضره إلي فاس في السنة 734 قتله فصداً وخنقاً . (الاعلام 214/5 ونفح الطيب 155/5-156).

ص: 38

الفصل الرابع: القتل بقصف الظهر

في السنة 126 تسلم يوسف بن عمر الثقفي ، أمير العراق لهشام وللوليد بن يزيد، خالد بن عبدالله القسري ، سلفه في حكم العراق ، وعذبه ، وقتله بأن وضع قدميه بين خشـبتين ، وعصرهما حتي انقصفتا، ثم رفع الخشبتين إلي ساقيه ، وعصرهما حتي انقصفا، ثم إلي وركيه ، ثم إلي صلبه ، فلما انقصف صلبه مات ، وهو في كل ذلك لا يتأوه ، ولا ينطق (وفيات الأعيان 229/2).

وفي السنة 283 قتل السلطان أحمد بن هولاكو، بقصف ظهره (الحوادث الجامعة 436).

أقول : تسلطن أحمد عند وفاة أخيه أباقا بن هولاكو، في السنة 980 ، وكان اسمه تكودار ، فلما تسلطن أعلن إسلامه ، وتسمي بأحمد . فتغير عليه بعض قواده لما أسـلم ، وخرج عليه أرغون بن أبانا أخيه ، وكان أرغون علي خراسان ، فانتصـر أحمد ، وأسر أرغون ، ولكنه أهمل التوثق منه ، فأطلقه بعض القواد ، وقصدوا أحمد، ففر منهم ، وقبضوا عليه ، وقتلوه ، فكانت سـنه لما قتل بضـعة وعشـرين سـنة . (تاريخ أبي الفداء 16/4 –17 وشذرات .الذهب 381/5) .

الفصل الخامس: القتل ببقر البطن

البقر : الفتح ، والشق ، والتوسيع، ويصرف إلي شق البطن ، والبقير من النوق : التي شق بطنها عن ولدها .

وأول ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ، مارسه عبيدالله بن زياد ، بميثم التمار ، أحد رجال الشيعة ، إذ أمر به فعلق علي خشبة ، ثم أمر به أن يلجم ، ليحول بينه وبين الكلام ، وفي اليوم الثالث ، أمر به فبقرت بطنه بحرية ، فسال أنفه وفمه دما ، ومات . (تاريخ الكوفة 284-287).

وأغار الجحاف وأصحابه علي بني تغلب ، فقتل الرجال ، وبقر بطون الحوامل ، وقتل من لم تكن حاملا، راجع تفصيل ذلك في هذا الكتاب في الباب التاسع عشر « المرأة ، الفصل الخامس و الوان أخري من القتل .

ومارس هذا اللون من العذاب ، من بعده ، أسد القسري ، أمير خراسان ، فإنه بعث إلي أهالي التبوشكان جندة ، بقيادة الكرماني ، فنزلوا علي حكمه ، فحكم ببقر بطون خمسين منهم ، وألقاهم في نهر بلخ (الطبري 337/7).

وفي السنة 130 تصدي ابنا جمانة المراديان باليمن ، لعبد الملك بن محمد بن عطية ، أحد قواد مروان الجعدي ، وقتلاه ، فقصدهم الوليد بن عروة ، ابن أخي عبد الملك ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون النساء ،

وقتل الصبيان ، وحرق بالنار من قدر عليه منهم (ابن الأثير 391/5 - 392ـ 402)

وفي السنة 315 هجم قوم من جنـد مرداويـج ، عليه ، وكان في الحمام ، فقاتلهم بكرنيب فضة كان في يده ، فشق بعض الأتراك المهاجمين بطنه ، ولما خرجت حشوته ، ظن أنه قتله ، فلما خرج إلي أصـحابه ، قالوا له : اين رأسه ؟ وعادوا لـح رأسه ، فوجـدوه قد قام بين سـريرين في الحمام ، ورد حشوة بطنه وأمسكها بيده ، وكسر جامة الحمام ، وأعانه قيم الحمام ، وهم بالخروج من ذلك الموضع إلي سطح الحمام ، فحوا رأسه (تجارب الأمم 163/1).

وقتل الحاكم الفاطمي ، بمصر ، ركابية له ، بحربة في يده ، وتولي شق بطنه بيده (النجوم الزاهرة 58).

وفي السنة 620 قتل جنـديان أخوان، ببغداد طبيب الخليفة الناصـر ، واسـمه صاعد بن هبة الله ، فأخذا إلي موضع الجريمة وشق بطناهما ، وصلبا (تاريخ الحكماء 213- 214).

الفصل السادس: القتل بدق المسامير في الآذان

ومن ألوان العذاب التي تدل علي القسوة ، دق المسامير أو الأوتاد في الأذان .

وأول من مارس هـذا اللون من العـذاب ، علي ما بلغنا عمرو بن الليث الصـقار ، فإنه انتبه ذات ليلة ، فوجد أحد غلمانه ، من الحراس ، واقفا وقد أغفي ، فجعل مرفقه علي صـماخ أذنه ، وغمز عليه حتي قتله، راجع تفصـيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي في القصة رقم 66/3).

وعذب ابن السلار ، الموفق ، بأن دق في أذنه مسمارة ، فقتله ، وتفصيل القصة أن أبا الحسن علي بن السلار ، الملقب بالملك العادل ، وزير الظـافر الفـاطمي ، كان قبل الوزارة ، من آحاد الأجناد ، فـدخل يوما إلي الموفق ، أبي الكرم التنيسـي ، وكان يتولي الـديوان ، فشـكا إليه من غرامـة ألزم بها ، فقال له الموفق : إن كلامك هـذا ما يـدخل في اذني ، فحقـدها عليه ، وطلبه لما اسـتوزر ، حتي ظفر به ، فأمر بإحضار لوح خشب ومسـمار طويل ، وأمر به فألقي علي جنبه ، وطرح اللوح تحت أذنه ، ثم ضـرب المسمار في الأذن الأخري ، وصار كلما صرخ يقول له : دخل كلامي في أذنك أم لا ؟ حتي مات . (وفيات الأعيان 417/3).

وكان الأمير سيف الدين الناصري (ت 738) مشد الدواوين بمصر ، يعذب الناس بضرب الأوتاد في آذانهم . (الوافي بالوفيات 348/9) .

ص: 43

الفصل السابع: القتل بطرح الإنسان للسباع

كان هذا اللون من العذاب ، يمارس منذ أقدم الأزمنة ، بطرح الأسير للسباع ، تفترسه ، أو للكلاب. تنهشه ، أو للفيلة ، تعذبه أو تقتله .

وأقدم ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ، ما كان يجري في حفلات الرومان التي يجمعون فيها بين الحيوانات المفترسة ، وبين الأسري .

أما في العهد الإسلامي ، فإن أول من مارس هذا اللون من العذاب ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، السيء الصيت ، فإنه حبس الزاهد ، ابراهيم بن يزيد التيمي ، ومنع عنه الطعام، ثم أرسل عليه الكلاب في السجن تنهشه ، حتي مات (اللباب 190/1).

ويروي أن الرشيد، قتل يحيي بن عبدالله العلوي ، بأن أجاع السباع ثم طرحه إليها ، فأكلته (مقاتل الطالبيين 482).

وجيء للمعتصم ، برجل قد رمي ببدعة ، فأمر به فألقي للسباع ، (مروج الذهب 445/2).

وأمر بحكم ، أمير الأمراء ، بأن يطرح أربعة أشخاص ، للسباع ، فطرحوا إليها في البركة التي بناها بالنجمي، ببغداد في الجانب الغربي . (الأوراق للصولي ، اخبار الراضي والمتقي 144).

وغضب المعتضد علي أحد وزرائه ، لما ظهر عليه أنه تعشق فتاة ، فأغري بعض الشهود ، فشهدوا بأنه قد تزوجها، فأمر المعتضد بصلب الشهود ، وأن يوضع الوزير في جلد ثور طري السلخ ، وأن يضرب بالمزارب حتي يختلط عظمه بلحمه ، ثم مر أن يرمي للسباع ، فألقي إلي النمور ، فأكلت لحمه ، ولعقت دمه (تحفة المجالس للسيوطي 311 - 314) .

وفي السنة 367 حمل ابن بقية ، وزير عز الدولة بختيار ، إلي عضد الدولة ، وكان ناز بالزعفرانية ، فشهر في العسكر علي جمل، ثم طرح بباب حرب إلي الفيلة ، وأضربت عليه ، فقتلته ، وصلب علي شاطيء دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي ثم نقل إلي الجانب الغربي بحضرة البيمارستان العضدي (تجارب الأمم 380/2 ووفيات الأعيان 119/5).

وفي السنة 369 أخذ عضد الدولة ، عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي ، أسيرة ، وكان قد قصد البصرة ليستولي عليها ، فثار به أصحاب عضد الدولة ، وأسروه وشهر بالبصرة ، وعوقب ، ثم أنفذ إلي بغداد ، فشهر منصوبا علي نقنق في سفينة ، وعلي رأسه برنس ، ثم طرح الي الفيلة ، فخبطته ، وصلب إلي جانب ابن بقية . (تجارب الأمم 414/2) .

وذكر التنوخي ، في نشوار المحاضرة ، في القصة المرقمة92/8 أن الفيل في الهند ، يقوم مقام الجلاد ، فإذا أرادر الملك قتل إنسان ، سلمه إلي الفيل ، فيكلمه الفيال في أن يقتله ، فيقتله بألوان من القتل ، منها : أنه ربما لف خرطومه علي رجل الرجل، ويضع إحدي يديه علي ساق الرجل الأخري ، ثم يعتمد عليه ، فإذا هو قد خرق الرجل بنصفين ، من أوله إلي آخره ، وربما ترك الرجل ، وأستعرضه بالعرض ، ثم وضع يده علي بطنه ، فيسحقه .

ووصف ابن بطوطة ، كيفية حصول ذلك ، فذكر أن ثمة فيلة تدرب علي ذلك ، وتكسي أنيابها حدائد مسنونة ، تشبه سكك الحرث ، ولها أطراف

كالسكاكين ، ويركب الفيال علي الفيل ، فإذا رمي بالرجل بين يديه ، لفت خرطومه عليه ، ورمي به في الهواء ، ثم يتلقفه بنابيه ، ويطرحه بعد ذلك بين يـديه ، ويجعل يده علي صدره ، ويفعل به ما يأمره به الفيال ، علي حسب ما أمره به السـلطان ، فإن أمره بتقطيعه ، قطعه الفيل قطعاً بتلك الحدائد ، وإن أمر بتركه ، تركه مطروحا ، فسلخ (مهذب رحلة ابن بطوطة 101/2).

وفي السنة 449 توجه السـلطان طغرلبك السـلجوقي ، إلي نصـيبين ، وبعث هزارسب في ألف من جنـده ، فحارب الأعراب ، وقتل منهم ، وأسـر ، وحمل الأسـري إلي السـلطان ، فلما أحضروا بين يديه ، قال لهم : هل وطئت لكم أرض ، أو أخذت لكم بلدأ ؟ قالوا : لا ، قال : لم أتيتم لحربي ؟ ، وأحضر لهم الفيل فقتلهم جميعا ، إلا صبيا أمرد امتنع الفيل عن قتله ، فعفا عنه السلطان . (ابن الأثير 628/9).

وفي السنة 488 جرح السـلطان بركياروق ، جرحه سـجزي كان ستريا علي بابه ، فأخذ الجارح ، وأقر علي رجلين آخرين ، فأحضرا ، وقررا ، فأعترفـا ، ولم يقرا علي من أمرهمـا بـذلك ، فترك أحـدهما تحت يـد الفيل ، ثم قتلوا . (التنظيم 86/9 و87 والكامـل لابن الأثير 251/10 و252).

ولما خالف الأمير عين الملك ، علي السـلطان محمـد بن تغلق ، سـلطان الهنـد ، وأنكسـر جيشه ، ووقع أسـيرة في يد السـلطان ، أحضـره السـلطان بعـد المغرب ، وجيء باثنين وستين رجلا من كبار أصـحاب عين الملك ، وجيء بالفيلـة ، فطرحوا بين أيـديها ، فجعلت تقطعهم بالحدائـد الموضوعة علي أنيابها، وترمي بعضـهم إلي الهواء، ثم تتلقفه ، والأبواق ، والأنقار (النقارات) والطبول ، تضـرب عند ذلك ، وعين الملك ، واقف يعاين مقتلهم ، ويطرح من أشلائهم عليه ، ثم أعيد إلي محبسه . (مهذب رحلة ابن بطوطة 2/ 110).

ص: 47

وحدث أن تأمر ابن أخت الوزير خواجه جهان ، مع أمراء آخرين ، علي قتل خاله ، والفرار إلي الشريف الثائر ببلاد المعبر، وانكشف أمرهم ، فبعث بهم الوزير إلي السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، فأفرد السلطان ابن اخت الوزير عن رفاقه وبعث به إلي خاله ، أما الباقون فطرحوا للفيلة «المعلمة قتل الناس فقتلتهم، أما ابن أخت الوزير ، فإن خاله أمر به فطرح للفيلة ، ثم سلخ جلده ، وحشاه تبنا (مهذب رحلة ابن بطوطة 101/2 و169).

وفي السنة 741 أفسد المعازبة ، بالتهائم ، في اليمن ، فهاجمهم السلطان المجاهد، صاحب اليمن ، وقتل منهم عدة مستكثرة ، ورمي بعضهم للفيلة ، وغرق الباقين ، في البحر ، ثم آل أمرهم ألي أن شيخ عليهم امرأة يقال لها : بنت العاطف ، وكساها ، فكانت تركب دابة من الحمر ، أو ناقة ، وتقود المعازبة بأسرهم (الضوء اللؤلؤية 69/2).

وفي السنة 745 مات زين الدين البدوي ، وهو أموي النسب ، ولد سنة 685 وذكر عنه أنه كان بالمستنصرية ببغداد ، واتهمه ملك التتار بمكاتبة المصريين ، فألقاه وآخر من أصحابه إلي الكلاب ، فأكلت الكلاب رفيقه ، ولم تؤذه ، فأطلقوه ، ثم قدم دمشق ، واتفقت له كائنة ، فسجن بقلعة دمشق ، وكان الشيخ ابن تيمية قد سجن فيها، وأقام مسجونا بعده خمس سنين ثم أطلق (الدرر الكامنة 257/3 و 258).

وفي السنة 803 حصر تيمورلنك دمشق ، وانتشرت عساكره في ظاهرها، تتخطف الناس ، وكان تيمور يلقي من ظفر به تحت أرجل الفيلة (شذرات الذهب 7/ 64) .

وفي السنة 803 قتل تيمورلنك الأمير سودون ، قريب الظاهر برقوق ، وكان نائب السلطنة بالشام ، فلما استولي تيمورلنك علي دمشق ، أحضره ، ووبخه لأنه قتل رسول تيمورلنك إليه ، ثم أمر بتعذيبه ، وأمر بإلقائه تحت الفيلة فقتل ولم يتعد الثلاثين من عمره (الضوء اللامع 284/3) .

ولما ثار الأمير علي قلي خان زمان ، علي السلطان أكبر ، سلطان الهند، وحاربه أكبر ، وانتصر عليه ، أمر بالاسري من جيش قلي خان ، فطرحوا للفيلة ، فمزقنهم ، وكانت هذه عادة متبعة في الهند. (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 69).

وذكر أن السلطان جهانكير سلطان الهند، كان يتلهي ، بأن يحضر بعض الرجال ، ثم يطلق عليهم السبع ، ولا يبرح المكان حتي يظفر برؤية الرجل مقطعة إربا . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 89).

وروي القبطان هوكز الانكليزي ، أن السلطان جهانكير ، سلطان الهند 1014- 1037 (1605 - 1627 م) كان شديد القسوة ، وكان مما يسر له أن يري الأفيال ، وهي تقطع المحكوم عليهم إرباً . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 89).

وكان سنتاجي ، مستشار دولة الماهراتا في الهند ، قوي الشخصية شديد التمسك بالنظام ، وكان يأمر بمن ارتكب أقل هفوة ، فيلقي تحت أرجل الفيلة . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 162).

ص: 49

الفصل الثامن: القتل بالطرح من شاهق

التعذيب بالطرح من شاهق ، لون من ألوان العذاب التي مارسـها المتسـلطون من القديم ، وأول ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ما صنعه النعمان ، أحد ملوك العرب ، بسنمار ، فقد بني له قصرة لا مثيل له ، وخشي النعمان أن يبني مثله لغيره ، فأمر به فألقي من أعلي القصر، فقال الناس ، في مقابلة الحسنة بالسيئة : جازاه جزاء سنمار ، وذهبت مثلا .

وقد مارس هذا اللون من العذاب ، عبيد الله بن زياد ، فإنه رمي قيس بن مسهر ، من أعلي القصر ، فتقطع (تاريخ الكوفة 273) .

أقول : لما قصد الحسـين العراق في السنة 60 بعث في مقدمته قيس بن مسـهر الصـيداوي رسولا ، فأخذ وحمل إلي ابن زياد ، فقال له عبيد الله بن زياد : إصـعد إلي القصـر ، وسب الكذاب بن الكذاب ، فصعد ، وقال : أيها الناس ، إن الحسين بن علي ، خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، وأنـا رسوله إليكم ، فأجيبوه ، ولعن عبيـد الله بن زياد وأباه ، فأمر به عبيـد الله فألقي من أعلي القصـر ، فتقطع ومات ، وعلم الحسـين بخبره من مجمع بن عبد الله العائذي . من أهل الكوفة ، لما أخبره بحقيقة حال أهل الكوفة ، فقال : أما أشـراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهـم ، يسـتمال ودهـم ، وتستخلص نصيحتهم ، فهـم إلب واحد عليك ، وأما سائر الناس بعد ، فإن افئدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم غدا مشهورة عليك ، أما رسولك

قيس بن مسهر ، فقد أخذه الحصين بن تميم ، فبعب به إلي ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلي عليك وعلي أبيك ، ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا إلي نصرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به ابن زياد، فألقي من طمار القصر (الطبري 405/5).

وظفر عبيد الله بن زياد ، في السنة 60 برسول آخر بعث به الحسين إلي الكوفة ، لما قصد العراق ، وهو أخوه من الرضاعة ، عبد الله بن بقطر ، فأخذه الحصين بن تميم بالقادسية ، وبعث به إلي ابن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعد فوق القصر ، والعن الكذاب بن الكذاب ، ثم انزل حتي أري فيك رأيي ، فصعد ، فلما أشرف علي الناس ، قال : أيها الناس ، إي رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ، لتنصروه ، وتؤازروه ، علي ابن سمية الدعي ، فأمر به عبيد الله ، فألقي من فوق القصر إلي الأرض ، فكسرت عظامه ، وبقي به رمق ، فأتاه عبد الملك بن عمير اللخمي ، فذبحه ، فلما عيب ذلك عليه ، قال : إنما أردت أن أريحه (الطبري 398/5)

ولما أسر عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل ، أحضره أمامه ، وقال له : قتلني الله أن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد من الناس في الإسلام ، ثم أمر به فأصعدوه إلي أعلي القصر ، حيث رمي به من شاهق ، فقال فيه الشاعر : (مقاتل الطالبيين 107 و108 وابن الأثير 35/4 و 36).

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري**** إلي هانيء في السوق وابن عقيل

إلي بطل قد هشم السيف وجهه**** وآخر يهوي من طمار قتيل

وكان عبيد الله بن زياد ، إذا غضب علي رجل ، ألقاه من فوق قصر الكوفة . (أنساب الاشراف 84/2/1).

وقدم ابن عائشة (المغني) من عند الوليد بن يزيد بالشام ، فدعا به

إبراهيم بن هشام المخزومي ، أمير المدينـة ، وسأله المقام عنده ، فأجاب ، فلما أخذوا في شـربهم ، أخرج المخزومي جواريه، فنظر إلي ابن عائشـة وهو يغمز جاريـة منهن ، فقال لخادمه ، إذا خرج ابن عائشـة يريد حاجته ، فآرم به ، فلما قام ليبول ، رمي به الخادم من فوق السـطح ، فمات . (الاغاني 236/2) . والوافي بالوفيات 182/3).

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، من أقسي الناس قلبا ، غضب علي غلام له ، وهو جالس في غرفة بإصبهان ، فأمر بأن يرمي به منها إلي أسـفل ، ففعل به ذلك ، فسـقط ، وتعلق بـداربزين كان علي الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسك بها ، فقطعت ، وخر الغلام يهوي ، حتي بلغ الأرض ، فمات . (الاغاني 232/12 ومقاتل الطالبيين 163).

وفي السنة 250 رمي أبو العبر محمد بن أحمد العباسـي من فوق سـطح ، فقتل ، وكان شديد الميل علي العلويين والهجاء لهم ، قتل بقصر ابن هبيرة ، وقد خرج لأخذ أرزاقه من هناك ، فسـمعه قوم من الشيعة يتنقص علي عليه السلام ، فرموا به من فوق سطح فمات (معجم الأدباء 271/6) .

وطولب محمـد بن جعفر بن الحجـاج ، ونصب علي دقل ، وجعل في رأس الـدقل بكرة ، فيها حبل ، وشـدت يـدا ابن الحجاج في الحبل، ورفع إلي أعلي الدقل ، ثم أرسل مرة واحدة فسقط علي الشخص القائم بتعذيبه ، فقتله (الوزراء للصابي 138).

وفي السنة 316 اسـتولي أسفار الديلمي علي طبرستان ، ثم استولي علي قزوين وآذي أهلها ، فدعوا عليه في الصحراء ، فسمع مؤذن الجامع يؤذن ، فأمر به فألقي من المنارة إلي الأرض . (ابن الأثير 193/8).

وفي السنة 342 اتهم صاحب قلعة سميرم ، طباخة خاصة بالمرزبان

صاحب أذربيجان ، وكان معتق عنده ، فأمر بالطباخ ، فرمي من قلة القلعة ، فهلك (تجارب الأمم 151/2).

وفي السنة 382 أوجس أبو علي بن مروان ، من أهالي ميافارقين شرا ، وكانوا قد استطالوا علي أصحابه ، فأمسك عنهم إلي يوم العيد ، فخرجوا إلي الصحراء ، فلما تكاملوا خارج البلد ، أخذ أبا الصقر شيخ البلد وألقاه من أعلي السور ، وقبض علي من كان معه ، وأغلق أبواب البلد ، وأمر أهل ميا فارقين ، أن ينصرفوا حيث شاءوا ، ولم يمكنهم من العودة إلي البلدة ، فذهبوا كل مذهب (ابن الأثير 72/9).

ولما حاصر أبو الفضل بن العميد، قلعة خست ، بنواحي نيسابور ، جد المحصورون في محاربته ، فأسر منهم خمسين رجلا ، وأراد أن يقتلهم قتلة يرهب بها من في القلعة ، فأمر بالأساري ، فرمي بهم من رأس الجبل الذي عليه القلعة ، فكان الواحد منهم يصل إلي القرار قطعاً ، راجع التفصيل في القصة 397 من كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، وكيف نجا من هؤلاء غلام ما بقل وجهه ، رماه من الجبل مرتين فلم يلحق به مكروه .

وفي السنة 490 فتح الصليبيون القدس ، فجمعوا اليهود في الكنيس وأحرقوهم ، أما المسلمون فقد قتلوا منهم سبعين ألفاً ، رموا قسما منهم من أعالي البروج والبيوت ، وذبحوا الباقين . (خطط الشام 282/1).

وفي السنة 507 تسلطن بحلب ، ألب أرسلان بن رضوان بن تتش السلجوقي ، فاستأصل الباطنية ، واستصفي أموالهم ، ورمي قسماً منهم من أعلي القلعة (اعلام النبلاء 415/1) .

وفي السنة 529 اتهم الأمير حسن بن الحافظ الفاطمي أحد الأستاذين من خدم أبيه الحافظ ، بالتآمر عليه ، فأمر به فأصعد إلي أعلي القصر الغربي ورمي به فقتل (خطط المقريزي 18/2).

وفي السنة 538 أخذ ببغداد رجل يقال أنه فسق بصبي ، فحبس في جب ، ثم رقي إلي رأس منارة سعادة، ثم رمي به إلي الأرض ، فهلك (المنتظم 108/10).

وفي السنة 550 ثار أهالي غزنة علي سيف الدين الغوري ، رغم إحسانه إليهم ، وأسروه ، وصلبوه ، بعد أن سودوا وجهه ، وأشهر وه راكبا علي بقرة ، فتجهز علاء الدين الحسين ، ملك الغور ، أخو سيف الدين ، وقصد غزنة ، وفتحها عنوة ، وأخذ الذين أعانوا علي أخيه ، فعاقبهم بألوان من العقوبات ، وألقي بعضهم من رؤوس الجبال (ابن الأثير 11/ 164 - 170)

وذكر ابن الأبار ، في تحفة القادم ، أن إبراهيم بن أحمد بن همشك (ت 572) ، كان قد ملك في الفتنة جيان ، وشقورة ، وكثيرا من أعمال غرب الأندلس ، وكان يعذب الناس بالتعليق ، والتحريق ، ولا يتناهي عن منكر فعله من رميهم بالمجانيق ، ودهنهتهم كالحجارة من أعالي النيق ، فقال فيه الشاعر : (الوافي بالوفيات 214/1) .

همش ضم من حر**** فين من هم وشك

فعين الدين والدنيا ****لإ مرته أسئ تبكي

وإبراهيم هذا ، هو إبراهيم بن أحمد بن مفرج ، وكان مفرج نصرانية من قشتالة ، أسلم علي يد أحد بني هود ، وكانت إحدي أذنيه مقطوعة ، فكان الأسبان ، إذا رأوه في المعركة ، عرفوه من أذنه المقطوعة ، وقالوا بالاسبانية : همشك ، أي المقطوع الأذن ، وآتصل إبراهيم بيحيي بن غانية ، وأستقل بحصن شقوش ، وتغلب علي شقورة ، وصاهر محمد بن مردنيش ، تزوج آبنته ، ثم خدم الموحدين ، وقدم مراكش في السنة 571 وأقام بمكناس حتي مات ، وكان جبارة قاسية ، عظيم العبث بالخلق ، يحرقهم بالنار ، ويطرحهم

من الشواهق ، لزيادة التفصيل راجع ما كتبناه عنه في الفصل العاشر من هذا الكتاب . (الاعلام 5/10) .

ولما استولي الصليبيون علي بيت المقدس ، ارتكبوا جرائم لم يسبق لها نظير ، دفعهم إليها التعصب الأعمي ، إذ كانوا يكرهون المسلمين علي إلقاء أنفسهم من أعالي البيوت والبروج ، ويجعلونهم طعاما للنار ، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ، ويجرونهم في الساحات ، ثم يقتلونهم (خطط الشام 282/1)

في السنة 642 قبض بدمشق علي قاضي القضاة أبي حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل ، الملقب برفيع الدين ، وحمل إلي بعلبك علي بغل بغير أكاف ، ثم بعث به إلي مغارة في جبل لبنان ، من ناحية الساحل ، وأرسل إليه شاهدا عدل ببيع أملاكه ، وأوقف علي رأس القلعة ، فقال : دعوني حتي أصلي ركعتين ، فأطال ، فرفسه داود سياف النقمة ، فوقع ، فما وصل إلي الماء ، إلا وقد تقطع (شذرات الذهب 215/5) .

وعزم السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، علي الإنتقال من دهلي ، فاشتري من أهليها جميعا دورهم ، ومنازلهم ، وأمرهم بالإنتقال عنها ، وعين لهم موعدا ثلاثة أيام ، وبعد انتهاء المهلة ، أمر بالبحث عن بقي من أهليها، فوجد عبيده في أزقتها رجلين ، أحدهما مقعد ، والأخر أعمي ، فأتوه بهما فأمر بالمقعد فرمي به في المنجنيق ، وأمر أن يجر الأعمي من دهلي إلي دولة آباد ، مسيرة أربعين يوما ، فتمزق في الطريق ، ووصل منه رجله (رحلة ابن بطوطة طبعة صادر 479) .

وفي السنة 978 حبس الزيديون في السجن بحصن حب باليمن ، قاضي رومية (عثمانيا) وشفلوت حبجيا ، وكان موضع حبسهما قريبة من مخزن البارود ، فحاولا إتلاف البارود ، وعمدا إلي هرة ، فربطا في ذنبها فتيلة في

آخرها (شـقاقة) وأشـعلوا الشقاقة ، وألقوا بالهرة في مخزن البارود ، فأحترق ، وهد جانبا من القلعة ، وأدرك صاحب القلعة إن ذلك كان من صنعهما، فأمر بهما ، فكتفا ، ثم ألقي بهما من أعلي الحصن ، فتكسرت عظامهما، وتمزقت أشلاؤهما (البرق اليماني 439) .

وفي عهد السلطان أكبر شاه ، سلطان الهند (حكمه 963 - 114)، ارتكب أدهم خان ، ابن مربيته ، جريمة قتل شمس الدين ، رئيس وزراء أكبر ، أمام السلطان ، فأمر بأن يحمل وأن يرمي به من أعلي البناء ، فقتله (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 66).

ص: 57

الفصل التاسع: القتل بتحطيم الرأس

ويحصل بكسر عظام الرأس ، حتي ينتشر الدماغ ، إما بضرب الرأس بالأرض ، أو بتحطيمه بالحجارة ، وهذا اللون من العذاب ، يدل علي قسوة بالغة ، وهو لون قليل الممارسة .

وأول ما بلغنا عنه ، إن قوما من كرمان ، يقال لهم القفص والبلوص كانوا يمارسون تحطيم رؤوس أسراهم ، بعد الاستيلاء علي موجوداتهم ، ذكر ذلك المقدسي (ت 380) في أحسن التقاسيم (ص 488 و489) فقال : إن في بلاد كرمان ، قوماً يقال لهم القفص ، لا خلاق لهم ، وجوههم وحشة ، وقلوبهم قاسية ، لا يبقون علي أحد ، ولا يقنعون بالمال حتي يقتلوا من ظفروا به بالأحجار ، كما تقتل الحيات ، تراهم يمسكون رأس الرجل علي بلاطة ، ويضربونه بالحجارة حتي ينصدع ، وقد سألتهم عن ذلك ، فقالوا : لا تفسد سيوفنا ، ولا يفلت منهم أحد، إلاماندر ، وكان البلوص أشد منهم ، حتي أبادهم عضد الدولة ، وأنكي في هؤلاء أيضا ، وهم إذا أسروا الرجل ، أمروه بالعدو (الركض) معهم نحو عشرين فرسخا ، حافي القدم ، جائع الكبد ، وسمعت من جماعة من التجار : إن هؤلاء عندهم أن ما يظفرون به من أموال التجار ، حق لهم ، لأنهم لا يزكون أموالهم .

ووصف الوزير أبو شجاع الروذراوري (ت 488) في كتابه ذيل تجارب الأمم (ص 58) كيفية تخلص عضد الدولة من القفص والبلوص ، فقال :

إن عضد الدولة حين أوغل في بلاد كرمان ، في السنة 364 لتنظيفها من القفص والبلوص ، انتهي إليه إن قوما منهم بيوتهم من وراء جبل ، بحيث لا يمكن الوصول إليهم ، إلا بعد سلوك مضيق إذا وقف فيه عدد قليل منهم ، منع عسكرا كثيرة ، فلما أيس من الوصول إليها بالقوة ، أعمل الفكر في الحيلة ، وراسلهم ، بأني لا أنصرف عنكم إلا بإتاوة ، فقالوا : ما لنا مال نؤديه إليك ، فقال : أنتم أصحاب صيد، وأريد من كل بيت كلبأ ، فهان عليهم ذلك ، فأنفذ من عد بيوتهم ، فأخذ منهم كلابأ بعددها ، ومن شأن الكلب أن يلوذ بصاحبه ، ويبصبص له ، وحوله ، ويحتك به ، ويألف بيته ، حتي أنه إذا أفلت من فراسخ كثيرة ، عاد إلي مربضه ، فأمر أن يشد في أعناقها حلق النفط الأبيض ، وتجتمع عند مضيق الجبل ، ثم تضرب النار في النفط ، ويخلي سبيلها ، ويتبعها العسكر ، ففعلوا ذلك ، وأسرعت الكلاب عدوا ، وأحس القوم بركوب العسكر ، فلقوهم في المضيق ، وطلب كل كلب صاحبه ، لائذا من حرق النار ، فكلما احتك برجل سرت النار إليه ، وأفرجوا عن الطريق ، والكلاب تتبعهم ، وتعدت النار إليهم ، فاحترق عدد كثير منهم ، وهجمت الكلاب علي البيوت ، فخلا أهلها ، وأسرع العسكر وراءهم ، ووضعوا السيف فيهم ، وأستأصلوا شأفتهم.

وفي السنة 602 قتل ابن الدباغ ، ببغداد ، أمه ، وسبب ذلك أنها كتبت له دارا ، فطلب منها الكتاب ، فلم تسلمه إليه ، فظل يضرب رأسها بالأرض حتي ماتت ، فأخذ، وتسلمه الشحنة ، وحمل إلي باب الأميرية ببغداد ، وضرب رأسه بالأرض ، وهو يستغيث ، حتي مات (الجامع المختصر 167).

وبلغ السلطان قطب الدين ، سلطان الهند (ت 607) أن بعض الأمراء ، علي الخلاف عليه ، وتولية ابن أخيه خضر ، وهو صبي له عشرة أعوام ، فأمسك قطب الدين بالصبي ، وضرب برأسه الحجارة ، حتي نثر دماغه . (مهذب رحلة ابن بطوطة 43/2) .

الفصل العاشر: القتل بتمزيق البدن

ويتم هـذا اللون من العـذاب ، بأن يربط البـدن ، من طرفيه ، ثم يجـذب كل طرف إلي جهـة ، جذب عنيفة ، فتتمزق أوصال البدن تبعا لقوة الجذب .

وأول من مارس هذا اللون من العذاب ، طاهر بن الحسين ، القائد المعروف ، فإن حمزة الخارجي ، دخل في السنة 180 إلي بوشنج ، وهي بلدة طاهر بن الحسـين ، فانتهي إلي مكتب فيه ثلاثون غلاما ، فقتلهم ، مع معلمهم ، فغضب طاهر ، وكان يلي بوشنج ، فأتي بلدة فيها قعدة الخوارج ، فقتلهم ، وكان يشد الرجل منهم في شجرتين يجمعهما، ثم يرسلهما ، فتذهب كل شجرة بجزء منه (ابن الأثير 151/6).

وكان من جملـة ألوان العـذاب التي يعـذب بها إبراهيم بن محمـد بن همشك ، صاحب شـقورة ، رعاياه ، أن يربط الواحد مهم إلي أغصان شجرتين مضموتين ، ثم يطلقهما، فتذهب أغصان كل شجرة بقسم من الاعضاء .

أقول : ذكر الوزير لسان الـدين بن الخطيب ، إبراهيم هـذا ، في كتابه الإحـاطـة في أخبار غرناطـة (305-311) وقـال عنه : إنه كـان رئيسا ، جريئا ، شجاعا ، مقداما ، شديد الحزم ، سديد الرأي ، عارفاً بتدبير الحروب ، حمي الأنف ، عظيم السطوة ، مرتكب للعظائم ، وكان جبارة

قاسية ، فظا ، غليظ ، شديد النكال ، عظيم الجرأة ، والعبث بالخلق ، كان يعذب ، ويحرق بالنار ، ويقذف الناس من الشواهق والأبراج ، ويخرج الأعصاب والرباطات عن الظهور ، وكان يضم أغصان الشجر العادي، بعضها إلي بعض ، ويربط الإنسان بينها ، ثم يطلقها، فيذهب كل غصن بقسم من الأعضاء ، وفي السنة 556 حصر غرناطة ، وفتحها عنوة ، وأسر من جندها جماعة ، فأفحش فيهم المثلة ، بمرأي من إخوانهم المحصورين ، ثم نهد إليه جيش من مراكش، فطرده عن غرناطة، ثم حاربه صهره الأمير محمد بن مردنيش، بعد أن طلق ابنته ، فآنكسر ابراهيم ، ولاذ بالموحدين في السنة 565 وأقام بمكناسة إلي أن مات .

وأمر هولاكو المغولي ، بالملك الناصر يوسف الأيوبي ، صاحب حلب فجمعت له نخلتان ، وربط بينهما ، ثم أطلقتا ، فراحت كل نخلة بشطر منه (الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي 136/2).

وكان والي القاهرة علاء الدين البرواني ، المتوفي سنة 740 ظالما عسوفا ، وكان يعلق الرجل بيديه، ويعلق الأثقال في رجليه ، فتنخلع أعضاؤه ويموت (النجوم الزاهرة 323/9).

وقد مارس هذا اللون من العذاب ، بعض الأشقياء الفجار في كركوك بالعراق ، في السنة 1379 (1959 م) فربطوا قوما من أهالي البلدة ، كل اسير ألي سيارتين سارتا في اتجاهين مختلفين ، فذهبت كل سيارة بشطر من البدن .

ص: 62

الفصل الحادي عشر: القتل بتقطيع الأوصال

العذاب بتقطيع الأوصال بالسكين ، من أشد أنواع العذاب ، وأقواها دلالة علي القسوة .

وقد مارس هذا اللون من العذاب ، سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، عامل البصرة للمنصور العباسي ، لما قتل عبد الله بن المقفع ، فإنه أمر بتنور فسجر ، ثم أمر بابن المقفع فقطعت أوصاله عضو عضواً ، وألقاها في التنور وهو ينظر ، حتي أتي علي جميع جسده (وفيات الأعيان 153 - 151/2)

أقول : قتل سفيان بن معاوية ، عامل البصرة للمنصور ، عبد الله بن المقفع ، أمره بذلك المنصور العباسي ، والسبب في ذلك إنه كتب كتاب الأمان لعبد الله بن علي ، عم المنصور ، لما لجأ عبد الله إلي أخويه عيسي وسليمان بالبصرة ، وكان ابن المقفع يكتب لهما ، فكان من جملة ما أثبته في الأمان : ومتي غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ، أو أبطن غير ما أظهر ، أو تأول في شيء من شروط هذا الأمان ، فنساؤه طوالق ، ودوابه حبس، وعبيده وإماؤه أحرار ، والمسلمون في حل من بيعته ، فاشتد ذلك علي المنصور لما وقف عليه ، وسأل : من الذي كتب الأمان ؟ فقيل له : عبد الله بن المقفع كاتب عميك عيسي وسليمان ، فكتب المنصور الي عامله بالبصرة سفيان بن عيينة ، يأمره بقتله ، وكان سفيان واجدة علي ابن المقفع ، لأنه كان يعبث

به ، ويضحك منه دائما ، معتمدا علي صلته بعمي الخليفة ، وكان ابن المقفع قد عبث به مرة ، فغضب منه وافتري عليه ، فرد عليه ابن المقفع ردا فاحشأ ، وقال له : يا ابن المغتلمة ، فلم يتمكن منه سفيان ، لأنه كان ممتنعة ومعتصمة بعيسي وسليمان ولدي علي العباسيين ، عمي المنصور ، فلما كاتبه المنصور في أمره ، عزم علي قتله ، واستأذن عليه جماعة من أهل البصرة ، فأذن لابن المقفع قبلهم ، وعدل به إلي حجرة في دهليزه ، وجلس غلامه بدابته ينتظره علي باب سفيان ، فأدخل ابن المقفع الحجرة ، وسفيان ينتظره فيها ، وعنده غلمانه ، ونورنار يسجر ، فقال له سفيان : أمي مغتلمة ، إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد، ثم قطع أعضاءه عضوا عضوا ، وألقاها في النار ، وهو ينظر إليها ، حتي أتي علي جميع جسده ، وأطبق التنور عليه ، وخرج إلي الناس ، فلما فرغ مجلس سفيان ، ولم يخرج ابن المقفع ، مضي غلامه وأخبر عيسي وأخاه سليمان بحال سيده ، فخاصما سفيان ، فحجد دخوله إليه ، وشكياه إلي المنصور ، فتراخي في مساءلته ، وضاع دمه (شرح نهج البلاغة 2698 و 270).

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، خرج علي الرشيد ، ولبس البياض ، وتغلب علي بلاد ما وراء النهر ، وذلك في السنة 190 وحاربه عامل خراسان ، علي بن عيسي بن ماهان ، فكان الظفر لرافع ، فخرج إليه الرشيد في السنة 193، فلما بلغ طوس ، اشتد به المرض ، وأدخل عليه أخو رافع أسيرة ، ومعه آخر من قرابته ، فدعا الرشيد بقصاب ، وقال له : لا تشحذ مديتك، وفضله عضوا عضوة ، وعجل لئلا يحضرني أجلي ، وعضو من أعضائه في جسده ، ففضله ثم جعله أشلاء، فقال له : عد ما فصلت منه ، فأذا هو أربعة عشر عضو ، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة 308.

وفي السنة 282 قتل أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، صاحب

مصر والشام ، بدمشق ، تأمر عليه بعض خدمه ، وذبحوه وهو نائم ، وقبض علي جميع من ساهم في فعل القتل ، فمنهم من قتل وصلب ، ومنهم من شرحوا لحم أفخاذه وعجيزته ، وأكله السودان من مماليك أبي الجيش خمارويه (مروج الذهب 506/2).

وبعث الحاكم الفاطمي في السنة 397 جيشة بقيادة قائده ينال الطويل ، القتال الثائر أبي ركوة ، فانتصر أبو ركوة ، وأسر ينال الطويل ، فأحضره ، وقال له : آلعن الحاكم، فبصق ينال في وجه أبي ركوة ، فأمر به أبو ركوة فقطع إربا إربا . (النجوم الزاهرة 216/4).

وفي السنة 500 تقدم أحد الباطنية ، للوزير فخر الملك بن نظام الملك ، وناوله قصة ، ثم ضربه بسكين ، فقتله ، فأخذ الباطني ، وفصل علي قبر فخر الملك ، عضوا ، عضوة . (النجوم الزاهرة 194/5).

وفي السنة 566 لما توفي المستنجد، وبويع ولده المستضيء ، استدعي وزير المستنجد أبو جعفر بن البلدي ، للمبايعة ، فلما دخل إلي دار الخلافة ، صرف إلي موضع ، وقطع قطعة ، وألقي في دجلة . (ابن الأثير 362/11)

وفي السنة 652 جرت محاربة بين أصحاب الشيخ عدي بن مسافر (اليزيدية) وبين أصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وانتصر أصحاب بدر الدين لؤلؤ ، وقتل من أصحاب الشيخ عدي جماعة ، وأسر جماعة ، فصلب بدر الدين منهم مائة ، وذبح مائة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم ، وتعليقها علي أبواب الموصل (الحوادث الجامعة 272).

وفي السنة 748 جيء إلي أرنون شاه الناصري ، بدمشق، بنصراني رمي مسلما بسهم فقتله ، فأمر بتفصيل القاتل ، فقطعت يداه من كتفيه ، ورجلاه من فخذيه ، وحر رأسه ، وحملت أعضاؤه علي أعواد ، وطيف بها ، فأرتعب

الناس من ذلك ، وقال الصفدي : (الوافي بالوفيات 353/8) .

الله أرغون شاه**** كم للمهابة حصل

وكم بسيف سطاه**** من ذي ضلال تنضل

ومجمل الرعب خلي**** بعض النصاري مفضل

وفي السنة 782 قبض علي الأمير خليل بن عرام ، نائب الإسكندرية ، وأحضر إلي القاهرة ، فسجن ، وحضر والي القاهرة ، وعاقبه طول الليل ، وعصره في كعابه ، ثم أحضر أمام الأتابكي برقوق ، فحمل علي حمار إلي القلعة ، وجرد من ثيابه ، وضرب بالمقارع، ستة وثمانين شيبة ، ثم أن الأتابكي برقوق رسم بتسميره ، عقوبة له لقتله الأمير بركة ، وهو يقول : ما قتلته إلا بأمر برقوق ، ولكن المرسوم سرق مني ، ودقت المسامير الحديد في كفوفه ، وأركبوا علي جمل ، ونزلوا به من القلعة ، وطيف به ، فلما وصل إلي باب السلسلة ، أحاط به مماليك الأمير بركة ، وأنزلوه عن الجمل ، وقطعوه بالسيوف ، فقطع بعضهم رأسه ، ومنهم من شق بطنه وأخرج قلبه ، وجعل يمضغه بأسنانه ، وبعضهم قطع أذنيه وأكلهما . (بدائع الزهور 275/2/1)

وفي السنة 850 حاصر جهان شاه بغداد ، وفتحها ، فاستسلم له حاكم بغداد شيخوبك وأمراءه ، وكان جهان شاه يحقد عليهم لأنهم قتلوا الأمير بايزيد بسطام جاكيري وآخرين معه من أصحابه ، فأمر جهان شاه بقتلهم جميعا ، وأمر بتسليم شيخوبك ، وجلاده المعروف بابن العربية ، إلي نساء الأمير بايزيد ، فعذبنهما بأن سحبنهما علي الشوك ، وقطعن لحومهما بالسكاكين حتي ماتا ، كما تم قتل باقي الأمراء شر قتلة (التاريخ الغياثي 286)

الفصل الثاني عشر: القتل والتعذيب بالسلخ

السلخ : (بفتح السين) كشط الجلد .

والسلخ : (بكسر السين) جلد المسلوخ .

والتعذيب بسلخ الجلد ، من أشد ألوان العذاب ، وقد مارسه أناس عظيم القسوة .

وأول ما بلغنا من أخبار هذا اللون من العذاب ، ما ذكره صاحب أنساب الاشراف 239/5 عما عذب به اين كامل، أحد قواد المختار الثقفي ، زياد بن رقاد الجنبي ، أحد من شارك في مقاتلة الحسين وأصابه في معركة الطفت في السنة 60، وكان زياد هذا قد رمي فتي من آل الحسين، كـانت يـده علي جبهته ، فأثبت يـده في جبهته، ثم رماه بسـهم آخر ، ففلق قلبه ، ثم عاد فنزع أسـهمه منه ، وهو ميت ، فبعث إليه المختار ، قائـده ابن كامـل في جماعـة ، فأحـاطوا بـداره ، فخرج إليهم مشـهرة سـيفه ، فقـال ابن كامـل : لا تضـربوه ، ولا تطعنوه ، ولكن أرموه بالنبل والحجـارة ، ففعلوا ذلـك حتي سـقط ، ودعـا له ابن كامل بنار فأحرقه بها ، ويقال أنه سـلخ جلـده وهو حي ، حتي مات (أنساب الاشـراف 239/5).

وممن سلخ جلده ، أبو نخيلة الراجز ، دس إليه المنصور العباسي ، أن ينظم شعرا في تقديم المهدي لولاية عهده ، وتنحية عيسي بن موسي ، فنظم رجزا ، ودخل علي المنصور وعيسي بن موسي حاضر ، وأنشده :

دونك عبد الله أهل ذاكا****خلافة الله التي أعطاكا

إنا ننظرنا لها أباكا ****ثم انتظرنا بعده إياكا

أسند إلي محمد عصاكا****فابنك ما استرعيته كفاكا

ثم أنشده رجزأ آخر منه :

ليس ولي عهدها بالأسعد****عيسي فزحلقها إلي محمد

فقد رضينا بالهمام الأمرد**** فرده منك رداء يرتدي

وبادر البيعة ورد الحشد****حتي تؤدي من يد إلي يد

فلما أنشدها المنصور ، سر وفرح ، وكتب لأبي نخيلة بمائة ألف درهم علي الري ، فخرج إلي الري لأخذها ، فوجه إليه عيسي بن موسي مولي له اسمه قطري ، فظفر به بساوة ، دخل عليه وهو في بيت خمار ، وقد ثمل، وقال له ، وقد أضجعه ليذبحه : يا ابن الموسة ، هذا أوان صر الجندب ، ثم ذبحه ، وسلخ وجهه ، وهرب غلمانه بماله ودوا به (الهفوات النادرة 85 – 89 والأوراق للصولي 314).

أقول : إن كان الذبح قبل السلخ ، فالقصة يشملها بحث المثلة ، وإن كان السلخ قبل الذبح فهي داخلة في هذا الباب .

وقد وصف لنا التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة ،

كيفية سلخ الجلد ، وفقا لما مارسه المعتضد في قرطاس ، أحد رماة صاحب الزنج وهو رام بالسهم ، مشتهر بإصابته ، ومن اسمه اشتقت القرطسة ، أي الإصابة الدقيقة ، يقال : رماه فقرطسه ، وقد رمي قرطاس ، الموفق، والد المعتضد بسهم فأصاب ثندوءته ، وقال له : خذها مني وأنا قرطاس ، فذهبت مثلا ، وحمل الموفق صريعا في حد التلف ، ونزع السهم مقطنة، فبقي الزج في مكانه ، وجمع ، وانتفخ ، وأمد (جمع مدة) وأجمع الأطباء علي بط الجرح ، والموفق لا يمكنهم ، ثم احتالوا عليه فبطوه ، ونجا الموفق ، فلم

يزل المعتضد، ابن الموفق يجهد نفسه ، حتي وقع قرطاس في يده ، فأخذه ، فقد من أصابعه الخمس أوتارة ، بأن قلع أظفاره ، وسلخ جلد أصابع كفه من رؤوسها ، إلي أكتافه ، وعبر بها صلبه وكتفيه ، إلي آخر أصابعه الأخري ، وجلد بني آدم غليظ ، فخرج له ذلك ، فأمر بأن تقتل أوتارا ، وصلب بها قرطاس راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة ج 1 ص 153 - 155 رقم القصة 78/1 .

وفي السنة 341 أسر معبد بن حرز الزناتي بالمغرب ، وجيء به إلي المنصورية ، وطيف به وبأبنه ، وقد أشهرا ، وقطعت يدا ولده ورجلاه وهو يري ذلك في باب أبي الربيع ، ثم صلب ، أما معبد فقد سلخ جلده وهو حي ، فلم يتحرك ، وحشي جلده تبنا (العيون والحدائق ج 4 و 28 ص 195) . (ت

ا وأحضر المعز لدين الله الفاطمي (ت365)، أبا بكر النابلسي، وقال له : بلغنا أنك قلت إذا كان مع المسلم عشرة أسهم ، وجب أن يرمي في الروم سهما واحدا ، وفينا تسعة ، فقال : لم أقل ذلك ، فظن أنه رجع عن قوله ، وقال له : كيف قلت؟ قال : قلت إذا كان معه عشرة أسهم ، وجب عليه أن يرميكم بتسعة ، ويرميكم بالعاشر أيضاً ، فأمر به ، فشهر في اليوم الأول ، وضرب بالسياط في اليوم الثاني ، وأخرج في اليوم الثالث ، فسلخ جلده ، فمات (المنتظم 82/7).

وفي السنة 386 عصي أهل صور علي الحاكم الفاطمي ، وأقروا عليهم رجلا ملاحاً اسمه علاقة ، فقصده جيش من مصر ، بقيادة أبي عبدالله الحسين الحمداني ، فاستنجد علاقة بملك الروم ، فسير إليه عدة مراكب مشحونة بالرجال ، فالتقوا بمراكب المسلمين علي صور ، فانهزم الروم ، وملك المسلمون البلد ، بعد أن قتل منهم كثير ، وملك الفاطميون البلد ،

وأخذ علاقة أسيرة ، فحمل الي مصر ، حيث سلخ ، وصلب بها (ابن الأثير 121-120/9)

أقول : الذي في ذيل تجارب الأمم ص 226 إن ما تقدم حدث في السنة 381.

وكان جبق التركماني ، قد استولي علي حصن زياد ، من ترجمان ملك الروم ، وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر صاحبه رومي اسمه فرنجي كان يقطع الطريق ، ويكثر قتل المسلمين ، فهاداه جبق وصاحبه ، حتي وثق به ، فبعث إليه جبق أن يرسل اليه اصحابه ليستعين بهم في عمل ، فلما أرسلهم إليه أوثقهم ، وحملهم إلي الحصن ، وقال لأهل الحصن : والله ، لئن لم تسلموا إلي فرنجي ، لأضربن اعناق هؤلاء جميعا ، ففتحوا له الحصن ، واسلموا إليه فرنجي ، فسلخه (ابن الأثير 427/1 - 428).

وفي السنة 494 قتل ابو المحاسن الدهستاني ، وزير السلطان بركياروق السلجوقي ، وكان الوزير قد قتل أبا سعيد الحداد ، فوثب عليه شاب أشقر قيل إنه من غلمان أبي سعيد الحداد، فجرحه عدة جراحات ، وتركه بآخر رمق ، فأمر السلطان بركياروق ، بالغلام ، فسلخ وعلق (النجوم الزاهرة 167/5 وابن الأثير 335/10).

وفي السنة 500 حصر السلطان محمد السلجوقي ، قلعة شاه دز بأصبهان ، وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، وولده وكان من فيها من الباطنية ، يقطعون الطريق ، ويأخذون الأموال ، ويقتلون من قدروا عليه ، وفرضوا علي جميع الناس ضرائب يؤدونها ، ومشي أمرهم للخلف الحاصل بين السلاطين ، ودام ذلك اثنتي عشرة سنة ، ثم حصرها السلطان محمد حصرة شديدة ، واقتحم أصحابه القلعة ، بعد أن ظهر من الباطنية صبر عظيم ، وشجاعة زائدة ، وأخذ ابن عطاش أسيراً ، فترك أسبوعا ، ثم أمر به

فشهر في جميع البلد ، وسلخ جلده ، فتجلد حتي مات ، وحشي جلده تبنا وحمل رأساهما إلي بغداد ، وألقت زوجته نفسها من القلعة (ابن الأثير 433/10 - 434 والمنتظم 151/9 و تاريخ الخلفاء 429).

ولما توفي بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل في السنة 656 خلفه ولده الملك الصالح اسماعيل ، وتحالف مع الملك الظاهر ضد هولاكو، فبعث اليه هولاكو في السنة 160 جيشا حاصر الموصل ، وفتحها ، وأخذ الملك الصالح إلي هولاكو ، فأمر به، فسلخ وجهه وهو حي (الحوادث الجامعة 337-346-347)

وثار (هار بلاديفا) في ولاية (ديفاجيري) علي قطب الدين مبارك شاه (حكمه 716- 720) فحاربه قطب الدين ، وأسره ، فسلخه حيا ، ثم قتله (الإسلام والدول الإسلامية في الهند 15).

وممن مارس العذاب بسلخ الجلد ، القائد عماد الملك سرتيز الهندي ، مملوك السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (725- 750) وكان الأمير قيصر الرومي ، قد عصي علي السلطان ، وتحضن بسيوستان ، فحصره عماد الملك ، فطلب وأصحابه الأمان ، فأمنهم، ولما نزلوا علي أمانه غدر بهم ، وأخذ قسما منهم ، فسلخ جلودهم، ثم حشاها تبنا ، وعلقها علي سور المدينة (رحلة ابن بطوطة 6/2 و 7).

ولما ثار الأمير كشلوخان ، أمير السند ، علي السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، خرج لمحاربته ، فانكسر كشلوخان ، وقتل في المعركة ، ودخل السلطان مدينة قلتان ، وقبض علي قاضيها كريم الدين ، وأمر بسلخه ، فسلخ (مهذب رحلة ابن بطوطة 98/2).

ولما ثار الأمير هلاجون، بمدينة لاهور ، علي السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، خرج إليه الوزير خواجه جهان ، فحاربه ، وكسره ،

ودخل مدينة لاهور ، فسلخ بعض اهلها ، وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل (مهذب رحلة ابن بطوطة 102/2).

وخالف اهالي مدينة كمال بور ، علي سلطان الهند محمد بن تغلق ، فحاربهم وزيره خواجه جهان ، ولما دخل الي المدينة ، أحضر بين يديه القاضي بها والخطيب ، وأمر بسلخ جلديهما، فتوسلا إليه أن يقتلهما بغير هذه القتلة ، فقال لهما : بم استوجبتما القتل ؟ قالا : بمخالفتنا أمر السلطان ، فقال لهما : فكيف أخالف أنا أمره، وقد أمرني أن أقتلكما بهذه القتلة ؟ وقال للمتولين لسلخهما : أحفروا لهما حفرة تحت وجهيهما، يتنفسان فيها ، فإنه إذا سلخا ـ والعياذ بالله – يطرحان علي وجهيهما. (رحلة ابن بطوطة. طبع صادر بيروت ، ص 483).

وفي السنة 824 قتل الشيخ عماد الدين علي النسيمي الصوفي ، بأن سلخ جلده ، وكانت التهمة الموجهة اليه الزندقة ، هذه التهمة التي يحتج بها كل حاكم متسلط ، لقتل خصومه السياسيين ، أو من يخاف منه لسبب من الأسباب ، وكان النسيمي علي علاقة بعلي باك ذي الغادر (ذي القدر) وأخيه ناصر الدين ، وعثمان قرايلوك ، وكان هؤلاء خصوم الملك الظاهر ، سلطان مصر والشام ، والظاهر أن السلطان أراد أن ينتقم منهم بقتل عماد الدين ، فأوعز بأن يحاكم أمام القضاة بحلب ، وتصدي لأتهامه ابن الشنقشي الحنفي ، فادعي عليه بالزندقة ، فقال الأمير يشبك نائب السلطنة : إن أنت لم تثبت ما تقول ، فإني اقتلك ، فأحجم ونكص عند سماعه ذلك ، هذا والنسيمي يكرر التلفظ بالشهادتين ، وينفي التهمة الموجهة إليه ، فحضر شهاب الدين بن هلال وأفتي في المجلس بأن النسيمي زنديق ، وأنه يجب قتله ، وكتب بذلك فتوي ، فلم يوافقه القضاة علي ذلك ، وامتنع الأمير يشبك من تأييد الفتوي ، وكتب إلي السلطان بقصته، فكتب إليه السلطان يأمره بأن يشهره بحلب سبعة أيام ، وينادي عليه ، ثم يسلخ جلده ، وتقطع اعضاؤه ويرسل قسم منها

العلي بك ذي الغادر وأخيه ناصر الدين، وقسم لعثمان قرايلوك ، ففعل ذلك (أعلام النبلاء 15/3 -16).

وفي السنة 858 أمر السلطان بفصل البدوي ، وابن عم له ، فضربا بالمقارع وسمرا ، وسلخت جلودهما ، وحشيت (تبنا)، وكان فصل يقطع الطرق ، وكان شجاعا شديد البأس ، وأعيا الحكام أمره ، ثم قدم بنفسه تائبا ، فأمنه السلطان ، وأقام بالقاهرة مدة ، كان الناس خلالها يتجمعون للتفرج عليه ، فكان يضحك منهم ، ثم عاد إلي بلده ، فاحتال عليه الأستادار ، واستقدمه بالأمان ، وطلع به الي السلطان ومعه ابن عم له، فأمر نضربهما بالمقارع ، وتسميرهما ، وسلخهما ، وحشو جلديهما ، ففعل بهما ذلك كله، وطيف بهما الشرقية (الضوء اللامع 171/6).

ومن جملة مظالم الأمير يشبك الدوادار ، في السنة 874 في صعيد مصر ، أن سلخ جلود جماعة من العربان (بدائع الزهور 116/2).

وفي السنة 894 سلخت في القاهرة، جلود اثنين من أهل حلب ، أب وابنه ، وهما محمد بن الديوان ، وولده أحمد، وسبب ذلك أن أحمد الإبن كان من أعيان الناس الرؤساء بحلب ، وكان من أخصاء سلطان مصر والشام ، فقيل عنه إنه كاتب السلطان العثماني في شيء من أخبار المملكة ، وكانت الخصومة إذ ذاك علي أشدها بين السلطان العثماني وسلطان مصر والشام ، فأمر السلطان بهما فأحضرا الي القاهرة، وسلخت جلودهما (اعلام النبلاء 100-99/3)

وفي السنة 903 قبض في القاهرة علي إنسان ينبش القبور ، ويسرق أكفان الموتي ، فأمر السلطان به ، فسلخ وجهه وهو حي ، إلي رقبته ، وأرخي علي صدره ، فصار عظم رأسه ظاهرة ، وطيف به في القاهرة ، وعلق بباب النصر حتي مات (بدائع الزهور 341/2) .

ص: 73

وكان الناصر ، محمد بن قايتباي (قتل سنة 904) ، مجنونا ، أهديت له جارية ، فسلخها بيده ، وحشي جلدها تبنأ ، لكي يظهر استاذيته في السلخ (شذرات الذهب 23/8).

وفي السنة 1008 قتل إمام اليمن عامر بن علي ، بأن سلخ جلده ، إذ أسرة الأتراك ، وأشهروه في كوكبان وشبام ، وأرسله علي بن شمس الدين ، أمير كوكبان مع جماعة من الترك إلي الكتخدا سنان في حمومة ، فأمر به الكتخدا ، فسلخ جلده ، وصبر ، فلم يسمع له أنين ولا شكوي، الا قراءة قل هو الله أحد، ثم أن سنانا ملا جلده تبنأ ، وحمله علي جمل إلي الوزير حسن باشا في صنعاء ، فشهر جلده علي الدهابر ، ودفن سائر جسمه بحمومة، ثم نقل إلي خمر (خلاصة الأثر 264/2).

الفصل الثالث عشر: القتل بالنشر بالمنشار

النشـر : التفريق وهو خلاف الطي والمنشار : وجمعه مناشير ، آلة ذات اسنان ينشر بها الخشب ونحوه. والنشارة : ما يسقط من الخشب عند النشر .

ونشر الإنسان بالمنشار ، لون من ألوان العذاب ، يدل علي قسوة بالغة .

وأقـدم ما بلغنا من أخبار هـذا اللون من العذاب ، ما رواه المؤرخون عن مقتل النبي زكريا، فإنه عندما قتل ولده يحيي ، فر الي بسـتان، ولجأ إلي شجرة فيها فنشر خصومه الشجرة ، وهو فيها ، فقتل (الطبري 601/1 وابن الأثير 306/1).

وفي السنة 723 بلغ السـلطان غازان ، أن الشيخ محمود ديوان ، صاحب زاوية تبريز ، وكان عظيما عند المغل مسموع الكلمة ، عمل سماعة ، ورقص ، فجـذب اليه شابـا من أولاد الملوك ، وألبسه طاقيـة كانت علي رأسه، وقال له : أعطيتك السـلطنة ، فأمر السـلطان بـذلك الشاب ، فضـربت عنقه بين يديه ، وأحضـر الشيخ محمود ، فلما رآه ، قال له : أهلا بالشيخ الذي يوئي المملكة بطاقية ، وأمر به فشد بين دفتين ، ونشر بالمنشار الي نصفين (الدرر الكامنة 113/5).

وفي السنة 928 توفي بالقاهرة خايربك الجركسي ، كافل حلب للسلطان

الغوري ، ثم نصــبه الســلطان ســليم العثماني ، كافلا بمصر لما فتحها ، ولما كان بحلب ، أحضر أمامه شخص من المفسدين ، فأمر به فنشر بدنه بالمنشار، فلقيه الحلبيون بالنشار (اعلام النبلاء 429/5).

ص: 76

الفصل الرابع عشر: القتل بألوان اخري من العذاب

وقد سجل لنا التاريخ ، حوادث ، ذكر فيها قتل اشخاص بالعذاب ، ولكنه لم يذكر ألوانها وأصنافها ، وهي من الكثرة بحيث لا يتسع مؤلف الاستيعابها، ولكني أذكر في هذا البحث ، أمثلة منها .

أمر الحجاج بن يوسف الثقفي ، بأحد عماله، وهو آزاد مرد بن الفرند ، فحمل إلي معد ، صاحب عذابه ، فدق يده ، ودهقه ، ودق ساقه ، وحمل علي بغل معترضاً ، يدار به في الدروب ، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج 1 ص 136- 147 رقم القصة 69/1).

وفي السنة 97 قتل في العذاب ، جميع الرجال من آل الحجاج الثقفي ، آل أبي عقيل، منهم محمد بن القاسم الثقفي ، أمير السند، والحكم بن أيوب الثقفي ، وهو إبن عم الحجاج ، كان الحجاج قد زوجه أخته زينب ، وولاه البصرة ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة ، أمر صالح بن عبد الرحمن ، عامل واسط ، وكان الحجاج قد قتل أخاه آدم ، أن يجمع آل الحجاج جميعهم ، وأن يعرضهم علي العذاب، فجمعهم ، وبسط عليهم العذاب ، حتي قتلهم جميعا ، نالهم شؤم الحجاج ، وكان الحكم ومحمد بن القاسم ، من جملة من مات تحت العذاب . (ابن الأثير 588/4 و 589 والاعلام 294/2- 225/7).

وأمر يزيد بن عبد الملك ، بعزل عامل المدينة عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، وبسط العذاب عليه ، وسبب ذلك إنه خطب فاطمة بنت الحسين الشهيد ، فردته، وقالت : لا أريد النكاح ، فألح عليها ، وحلف لئن لم تفعل سيجلدن أكبر بنيها، وهو عبدالله بن الحسن ، في الخمر ، فكتبت الي يزيد بن عبد الملك تشكو أمرها ، ولما أخذ يزيد الكتاب ، وقرأه ، جعل يضرب بخيزرانة في يده ، وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحاك ، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب، وأنا علي فراشي ، ثم كتب إلي عبد الواحد بن عبدالله النضري ، وهو بالطائف ، بأنه قد ولاه المدينة ، وأمره بأن يغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار ، وأن يعذبه حتي يسمع صوته وهو علي فراشه ، فلما ورد بريد دمشق ، ولم يدخل علي ابن الضحاك ، أوجس خيفة ، ودفع إلي حامل البريد ألف دينار ، فأخبره بكتاب الخليفة، فخرج ابن الضحاك إلي الشام ، واستجار بمسلمة بن عبد الملك ، فأجاره ، وكلم أخاه يزيد ، فأبي أن يعفيه ، ورده إلي المدينة ، حيث ألبسه النضري جبة صوف ، وعذبه وغرمه (الطبري 12/7 – 14).

وفي السنة 126 اعتقل يوسف بن عمر ، عامل العراق، سلفه خالدا القسري، وبسط عليه العذاب ، وكان هشام قد عزل خالدأ بيوسف بن عمر ، وأمره بأن يعذبه علي أن لا يصل به إلي حد القتل ، فحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهرا ومعه أخوه اسماعيل ، وابنه يزيد ، وابن أخيه المنذر بن أسد الذي كان عاملا علي خراسان ، ولما قتل خالد القسري قال الشاعر (الطبري 256 -254/7)

ألا إ بحر الجود أصبح ساجي**** أسير ثقيف موثقا في السلاسل

فإن تسجنوا القيسي لم تسجنوا اسمه**** ولم تسجنوا معروفه في القبائل

وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل الوليد بن القعقاع علي قنسرين ، وعبد الملك أخاه علي حمص ، فضرب الوليد يزيد بن عمر بن هبيرة مائة

سوط ، فلما قام الوليد بن يزيد ، هرب بنو القعقاع منه ، فعادوا بقبر يزيد بن عبدالملك ، فبعث اليهم ، فدفعهم إلي يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان قد ولاه قنسرين، فعذبهم ، فمات الوليد وعبد الملك ورجلان معهما من آل القعقاع في العذاب (الطبري 237/7).

قال يوسف بن عمر الثقفي ، لهمام بن يحيي : يا فاسق ، أخربت مهرجان قذق ، فقال : أنا لم أكن عليها ، وإنما كنت علي ماه دينار فلم يزل يوسف يعذبه، ويقول له : أخربت مهرجان قذق ، حتي قتله . (المحاسن والمساويء 143/1).

وكان سهيل بن سالم من أشراف اهل البصرة ، وكان من عمال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب . (الأغاني 330/14).

كان المتوكل يحقد علي محمد بن عبد الملك الزيات أمورة، فلما ولي الخلافة ، قبض عليه وعذبه في تور كان ابن الزيات قد اتخذه لتعذيب من يريد تعذيبه ، وهو من خشب ، فيه مسامير من حديد ، أطرافها إلي داخل التنور ، وتمنع من في داخله من الحركة ، وكان ضيقة بحيث أن الإنسان كان يمد يديه إلي فوق رأسه ليقدر علي دخوله لضيقه ، ولا يقدر من يكون فيه أن يجلس فيه ، فبقي فيه أياما ومات ، وكان ذلك في السنة 233 (الكامل لابن الأثير 6/ 454-525 - 29/7 - 43). راجع في نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة 2/1 المحاورة التي جرت بين ابن الزيات وهو في التنور ، وأحد أتباعه ، وراجع الطبري 145/9-160 ووفيات الأعيان 100/5 ومروج الذهب 393/2).

وقال الموكل بعذاب ابن الزيات : كنت اخرج وأقفل عليه الباب، فيمد يديه جميعا إلي السماء حتي يدق موضع كتفيه ، ثم يدخل التنور ويجلس ، وفي التنور مسامير حديد ، وفي وسطه خشبة معترضة يجلس المعذب عليها،

ص: 79

إذا أراد أن يستريح، قال المعذب ، فخاتلته يوما، وأريته أني قد اقفلت عليه ، ثم مكثت قليلا، ودفعت الباب ، فإذا هو قاعد ، فقلت له : أراك تفعل هذا ، فكنت إذا خرجت شددت خناقه ، فما مكث بعد ذلك إلا أياماً حتي مات (المحاسن والمساويء 177/2 .

أقول : لئيم يفخر بلؤمه .

وكان أبو عثمان الجاحظ ملازمة لابن الزيات ، منحرفا عن ابن أبي دؤاد ، للعداوة بين الإثنين ، ولما قبض علي ابن الزيات ، وعذب في التنور، هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ قال : خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور . (معجم الأدباء 57/6).

ولما قتل المتوكل ، وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، بالعذاب في التنور ، قال عبادة المخنث ، نديم المتوكل : أردت أن تخبز في هذا التنور ، فخبزت فيه ، فضحك المتوكل (الملح والنوادر للحصري 14).

وفي السنة 236 ولي خوط واسمه عبد الواحد بن يحيي ، مصر للمنتصر، وكانت مصر للمنتصر في حياة المتوكل ، فأخذ في السنة 237 عبد الحكم من آل عبد الحكم فعذبه حتي مات في عذابه . (الولاة للكندي 200).

واختلف المؤرخون في مقتل المعتز في السنة 255 فمنهم من ذكر أنه منع في حبسه من الطعام والشراب، فمات جوعا ، ومنهم من روي أنه حقن بالماء الحار المغلي ، والأشهر أنه أدخل حماما، كره ، وكان الحمام محمية، وترك في الحمام حتي مات ، ومنهم من ذكر أنه أخرج من الحمام بعد أن كادت نفسه تتلف ، ثم سقي شربة ماء مثلوج ، فخمد من فوره . (مروج الذهب 461/2 - 462).

وذكر صاحب مروج الذهب، أن إسماعيل بن بلبل، وزير المعتضد عذبه المعتضد بأنواع العذاب ، وجعل في عنقه غل فيه رمانة حديد، والغل

والرمانة مائة وعشرون رط ، وألبس جبة صوف قد صبرت في ودرك الأكارع ، وعلق معه رأس ميت فلم يزل علي ذلك حتي مات (مروج الذهب 496/2 ونشوار المحاضرة 76/1).

وقبض المعتضد علي شخص اتهمه بسرقة عشر بدر ، كانت معدة في منزل صاحب الجيش ، لتصرف في الجند ، فرفق به ، فأنكر ، فتهدده ، فأنكر، فضربه بالسوط ، والقلوس ، والمقارع، والدة ، علي ظهره وبطنه ، وقفاه ، ورأسه ، وأسفل رجليه ، وكعابه ، وعضله ، حتي لم يكن للضرب فيه موضع فلم يقر ، فأمر بترفيهه ، وأطعمه ، فلما نام ، أيقظه سريعاً ، وقرره ، فأقر ودله علي موضع المال المسروق ، فأمر به فقبض علي يديه ورجليه ، وأوثق ، ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره ، وأتي بقطن فحشي في أذنيه ، وفمه ، وخيشومه ، وأقبل ينفخ ، وخلي عن يديه ورجليه من الوثاق ، وأمسك بالأيدي ، وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة ، وقد عظم جسمه ، وورمت سائر أعضائه ، وامتلأت عيناه وبرزتا ، حتي كاد أن ينشق، ثم أمر ففصد في عرقين فوق الحاجبين ، فأقبلت الريح تخرج مع الدم ولها صوت وصفير ، إلي أن خمد وتلف (مروج الذهب 507/2 – 509).

وكان المعتضد ، يأمر بالرجل فيكتف ، ويقيد ، ويؤخذ القطن فيحشي في أذنه وخيشومه وفمه ، وتوضع المنافخ في دبره حتي ينتفخ ، ويعظم جسمه ، ثم يسد الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد، وقد صار كالجمل العظيم ، من العرقين الذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع . (مروج الذهب 496/2).

وفي السنة 282 ذبح أبو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ، صاحب مصر والشام . بدمشق ، قتله خدمه ، وفروا ، فقبض عليهم ، وجيء بهم ، فقتلوا ، وصلبوا، ومنهم من رمي بالنشاب ، ومنهم من شرح لحمه من

أفخاذه وعجيزته ، وأكله السودان من مماليك أبي الجيش . (مروج الذهب 506/2)

وصادر المحسن بن الفرات ، أبا الحسن علي بن مأمون الإسكافي ، كاتب ابن الحواري ، علي مائة ألف دينار، وأدي بعضها، وتلف تحت العذاب (الوزراء للصابي 50).

ولما اعتقل المحسن بن الفرات ، ضرب حتي كاد يتلف ، وأوقع به نازوك المكروه حتي تدود بدنه ، ولم يبق فيه فضل لضرب . (وزراء 69).

وكان قتل المقتدر، سببة لسلامة أبي بكر بن قرابة من هلاك محتوم إذا أنه في السنة 319 قبض المقتدر علي أبي بكر محمد بن أحمد بن قرابة ، وعذب عذابا شديدا وجري عليه من المكروه ما أشفي به علي التلف ، فلما قتل المقتدر ، هرب من كان موكلا به وبقي معه غلامان عنيا به ، فأحضرا حداد كسر قيوده ، وأطلقاه (تجارب الأمم 231/1).

وكان أول ما فعله القاهر لما استخلف في السنة 320، أن صادر آل أخيه المقتدر ، وعذبهم ، وضرب أم المقتدر ، حتي ماتت من جراء العذاب (تاريخ الخلفاء 386).

وفي السنة 333 ورد أبو الحسين البريدي ، الحضرة ، وسعي في ضمان البصرة ، فبلغ ذلك ابن أخيه أبا القاسم ، فانفذ إلي توزون مالا ، فأقره علي عمله ، فسعي أبو الحسين في خطبة كتابة توزون ، وبلغ ذلك ابن شيرزاد، فاعتقله ، وضرب بدار صافي مولي توزون ، ضربا مبرحا ، وقرض لحم فخذيه بالمقاريض ، وانتزعت أظافره ، وعقد المستكفي مجلس، حضره الفقهاء والقضاة ، وأحضر البريدي ، وبسط النطع ، وجرد السيف ، وتليت فتوي سابقة بإباحة دمه ، وأبو الحسين يسمع، ورأسه مشدود ، ثم ضربت عنقه من غير أن يحتج لنفسه بحجة (التكملة 145).

ص: 82

ولما ملك أبو القاسم البريدي البصرة ، صادر أبا جعفر الكرخي ، الملقب بالجرو ، وسمر يديه في حائط ، وهو قائم علي كرسي ، فلما سمرت يداه بالمسامير في الحائط ، نحي الكرسي من تحته ، وستت اظافيره ، وضرب لحمه بالقصب الفارسي (معجم البلدان 253/4).

وفي السنة 363 بعث ابن بقية، وزير بختيار ، محمد بن احمد الجرجرائي ، لكي يقبض علي عامل البصرة ، ومحاسبته ، فلما وصل الجرجرائي إلي البصرة ، عقد لعاملها ضمانا جديدا ، فغضب ابن بقية ، وكتب إلي نائبه بالبصرة ، فقبض علي الجرجرائي ، وعذبه حتي مات (تجارب 323/2).

وظهر في أيام بختيار الديلمي ، رجل من أهل دير قني ، ذكي ، اسمه الحسين بن محمد القنائي ويكني بأبي قرة ، تدرج في التصرف حتي استغني ، وصارت له نعمة ضخمة ، حتي احتاج إليه وزير بختيار في شراء قضيم الكراع وضمان واسط ، وتكاثر حاده ، وخاصم كثيرا من الناس ، فاشتراه سهل بن بشر ضامن الأهواز من بختيار وادي مبلغ من المال، فسلم أبو قرة إلي رسوله الذي أخذه إلي الأهواز ، فأفرغ عليه سهل بن بشر العذاب ، وأنواع المكاره ، حتي قتله في السنة 360 (تجارب الأمم 260/2– 289).

وفي السنة 364 قبض ابن بقية الوزير ، علي سهل بن بشر ضامن الأهواز ، وجد في مطالبته بالأموال ، وبسط عليه المكاره ، واستخرج منه كل ما أمكنه ، ثم قتله بالعذاب (تجارب الأمم 308/2).

وفي السنة 366 قبض مؤيد الدولة، علي وزيره أبي الفتح بن العميد ، وسمل عينه الواحدة وقطع انفه ، وجز لحيته ، وقطع يديه ، وما زال يعرضه علي أنواع العذاب ، حتي تلف . (وفيات الأعيان 196/4 ومعجم الأدباء 350-349/5)

وفي السنة 366 أهلك ابن الراعي ، بأمر ابن بقية الوزير ، خلقا ممن كان يتهمهم ، منهم المعروف بابن عروة ، وهو ابن أخت أبي قرة ، وكان من وجوه العمال ، ومنهم علي بن محمد الزطي، وكان إليه شرطة بغداد ، ومنهم المعروف بابن العروقي ، وكان إليه الشرطة بواسط ، وجماعة يجرون مجراهم. (تجارب الأمم 266/2).

وفي السنة 542 فتح الحسن صاحب إفريقية ، مدينة قابس ، وكانت الأمير اسمه رشيد ، توفي واستولي علي الأمر مولي من مواليه اسمه يوسف ، فظلم أهلها ، فشكوه الي الحسن صاحب افريقية ، فكاتبه ، فأرسل يوسف إلي رجار الإفرنجي صاحب صقلية ، وصار من أتباعه ، فقصد الحسن قابس ، وحصرها، فثار أهل قابس بيوسف ، وسلموا البلاد إلي الحسن ، وأخذ يوسف أسيرة ، فقطعوا ذكره ، وجعلوه في فمه ، وبسطوا عليه الوان العذاب ، حتي مات (ابن الأثير 120/11).

وفي السنة 573 وثب الباطنية بحلب ، بأبي صالح بن العجمي ، فقتلوه في الجامع ، وكان مقدماً بحلب عند نور الدين محمود ، وعند أولاده ، وله أتباع وأنصار وعصبية ، فنسب أصحابه أمر قتله إلي سعد الدين كمشتكين ، وكان المتولي الأمر دولة الملك الصالح صاحب حلب ، فمازال أصحاب ابن العجمي بالصالح ، يغرونه بكمشتكين، حتي قبض عليه واعتقله ، وطالبه بتسليم قلعة حارم ، وكانت في يده ، فامتنع من كانوا بها من تسليمها ، فأمر الملك الصالح فسيروا كمشتكين اليها معتقلا ، وعذب أمامهم ، وأصحابه يرونه ولا يرحمونه ، حتي مات في العذاب (اعلام النبلاء 113/2)

وفي السنة 575 قبض الخليفة الناصر ببغداد ، علي صاحب المخزن ونائب الوزارة ظهير الدين منصور بن الحسين ، وعلي أصحابه وحواشيه وصادره ، وعذبه إلي أن مات . (النجوم الزاهرة 6/ 85).

وفي السنة 666 اعتقل الملك الظاهر ، بولص الراهب ، الملقب بالحبيس ، وعـذبه حتي مات ، وكان هذا الراهب منقطعاً في جبل حلوان ، وله مال يواسـي به الفقراء من كل ملة ، وكان يدخل إلي الحبوس ، وكل من عليه دين ، أداه عنه وأطلقه ، وكان بعض الناس يتحيل عليه ، فإذا رآه قد دخل المدينة ، أخذ معه اثنين، صورة أنهما من رسل القاضـي أو المتولي ، وأخذا يضربانه ويجذبانه ، فيستغيث به : (يا أبونا، يا أبونا)، فيسـأل : مـا بـاله ؟ فيقولان : عليه دين ، أو اشـتكت عليه زوجته، فيقول : علي كم ؟ فيقولان : علي ألفين ، أو أقل ، أو أكثر ، فيكتب له علي شقفـة (قصاصـة ورق) ، إلي أحد الصـيارف ، فيقبض المال ، وصـرف في هذا السبيل أكثر من سـتمائة ألف دينار ، وكان لا يأكل من هذا المال ، ولا يشـرب ، بل أن النصاري يتصدقون عليه بمؤونته ، فأفتي فقهاء الاسـكندرية بقتله ، وعللوا ذلك بخوف الفتنة من ضـعفاء النفوس من المسلمين ، فقتل بالعذاب (فوات الوفيات 233/1-235).

وفي السنة 673 هلك الأمير شـهاب الدين أحمد بن جلدك ، وكان صارمة ، قطع من الأيدي والأرجل مالا يحصـي كثرة ، وشنق ، ووسط، فخافه البريء والسقيم (النجوم الزاهرة 245/7).

وفي السنة 689 بعث سـلطان مصـر والشام ، جيشا طرد ملك النوبـة ، ونصب ملكا لهم من قبله ، فلما عاد الجيش المصـري ، عاد الملك المطرود ، واسـتولي علي الحكم ، وقبض علي الـذي نصـبه المصـريون ، فعزاه من ثيابه ، وذبح ثورة ، وقد جلده سـيورة، ولفها عليه طرية ، وأقامه مع خشبة ، فيبست عليه تلك السيور ، فمات (تاريخ ابن الفرات 92/8).

وفي السنة 693 قتـل ابن السـلعوس ، الوزير الكامل ، مـدبر الممالك شـمس الـدين محمـد بن عثمان ، ولي الوزارة ، وتكبر علي الناس ، وآذاهم ، فعذبه الشجاعي، وعاقبه إلي أن مات ، ومسكوا أقاربه وذويه ، فأصابتهم

النقمة جميعا ، وكان قد انتن جسده من شدة الضرب ، وقلع منه اللحم الميت (شذرات الذهب 422/5 – 424).

وفي السنة 699 لما احتل السلطان غازان المغولي ، مدينة دمشق ، ونهبها ، أصاب القاضي تقي الدين المقدسي ، أذي كبير ، إذ أخرجه الجند المغول وعلي رأسه طاقية ، وعليه فروة ما تساوي خمسة دراهم ، وفي رقبته حبل ، فغاب إلي العشاء ، ثم عاد ، فسئل كيف عاد ، فقال : لقد أوقدوا لي نارا ليعدموني فإذا بصوت وصياح ، فذهبوا، فنظرت فإذا أنا وحدي ، فرجعت إليكم ، (الدرر الكامنة 242/2).

وفي السنة 704 بلغ الأمير سلار ، وكان قد حجر علي السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن الوزير ذبيان الماوردي الشيخي ، أهدي للناصر ألفي دينار ، وكان محتاجاً إليها ، فاعتقل الوزير ذبيان ، وسجنه ، وصادره ، وعاقبه ، فمات في العذاب (الدرر الكامنة196/2).

وفي السنة 740 قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، علي ناظر الخاص النشو وهو عبد الوهاب بن فضل الله الملقب شرف الدين ، وعلي أخيه وأفراد عائلته ، وعرضهم علي العذاب ، فماتت أمه ، وأخوه المخلص ، في العذاب ، ثم مات النشو أيضاً ، أما أخوه الآخر فانتحر (الدرر الكامنة 33/3 و 34).

وفي السنة 742 مات بالعذاب ابراهيم بن أبي بكر بن شداد ، مقدم الدولة ، وكان متمكنا في دولة الناصر محمد بن قلاوون ، بحيث إنه كان يتحدث مع السلطان من دون واسطة ، وقبض عليه بعد وفاة الناصر ، وعذب فمات تحت العقوبة (الدر الكامنة 22/1) .

وفي السنة 745 قتل بالعذاب في السجن ، بالقاهرة ، مقدم الدولة ،

خالد بن الزراد ، قبض عليه أغرلو وعاقبه حتي هلك ، وأخرج علي لوح (الدرر الكامنة 171/2).

وفي السنة 749 قتل السلطان الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون ، وقبض علي نديمه الشيخ علي الكسيح ، وضرب بالمقارع والكسارات ضرباً عظيمة ، وقلعت أسنانه وأضراسه ، ونوع له العذاب انواعا حتي هلك (النجوم الزاهرة

191/10).

وفي السنة 754 قبض السلطان المجاهد، علي المشايخ بني زياد ، وكانوا ثلاثة نفر ، أحدهم مقطع لحج وأبين ، والثاني ناظر الجهات الدملئية ، والثالث ناظر الجباية والتغزية ، وكان لهم فضل ومكارم أخلاق ، وكان الناس يسمونهم برامكة الوقت ، فصادرهم السلطان مصادرة قبيحة ، حتي هلكوا في المصادرة (يعني هلكوا في العذاب) . (العقود اللؤلؤية 94/2).

وفي السنة 782 قبض الأتابكي برقوق بالقاهرة ، علي الوزير تاج الدين الملكي وصادره ، وضربه ، ثم عاد فقبض عليه ثانيا ، وصادره، واستمر يعاقبه إلي أن مات تحت العقوبة (بدائع الزهور 266/2/1).

وفي السنة 783 قام شخص اسمه ابن القماح ومعه ولده ، وأقفالي ، بسرقة أموال القيسارية ، فأخذوا ، وأستعيدت المسروقات منهم ، وعذبوا بأنواع العذاب الأليم (بدائع الزهور 300/2/1).

وفي السنة 783 قبض علي الوزير كريم الدين بن مكانس ، وأخوته ،وأقاربه ، وحاشيته، وعذبوا بأنواع العذاب . (بدائع الزهور 298/2/1).

وفي السنة 785 صادر الطواشي أمين الدين أهيف ، كاتبه عبد اللطيف بن محمد بن مؤمن ، مصادرة عنيفة ، فتوفي في المصادرة ، (يريد أنه تلف في العذاب) . (العقود اللؤلؤية 176/2).

وفي السنة 887 قتل بالعذاب أبو البركات مفتاح الحبشي الكمالي ،

اتهم باختلاس أموال كان مؤتمن عليها ، فتولي بدر الحبشي وزير جدة تعذيبه حتي مات (الضوء اللامع 166/10).

وفي السنة 795 احتـل تيمورلنـك بغـداد ، « ورمي علي أهلها مال الأمان »، وطالب الناس بأموال أكثر من طاقتهم ، وكان المتولي لـذلك شرف الـدين البلقيني ، ومات خلق بالتعذيب والعقوبة ، وذكر أنهم عذبوا رجلا ، فأشار لهم إلي موضع ، وقال لهم : احفروا ها هنا ، أراد أن يشـغلهم بـالحفر عن تعـذيبه ، فحفروا ، فلم يجـدوا شـيئا فعـادوا ليعـذبوه ، فأشار إلي موضع آخر ، فحضـروا فوجـدوا ما عظيما ، فأخبروا تيمورلنك بذلك، فأحضـروه ، وسأله عن أصل المال، فقال : لا أعلم له أصلا ، وإنما أردت أن أشغلهم عن تعذيبي ، فأمر تيمورلنك بالكف عن تعذيب الناس (تاريخ الغياثي 113 و 114) .

أقول : جاء في أنباء الغمر ، وفي السـلوك : إن الـذين ماتوا تحت التعـذيب من أهل بغـداد في هذه السـنة كانوا أكثر من ثلاثة آلاف ، أما ابن الفرات فذكر أنهم كانوا فوق السبعمائة .

وفي السنة 796 قبض علي رجل من أعوان تيمورلنك ، في حلب وأحضـر إلي القاهرة ، فرسم لوالي القاهرة بعقوبته ، فعاقبه بأنواع العذاب (نزهة النفوس 378).

وفي السنة 801 طلع إلي السـلطان رجل أعجمي، وهو جالس للحكم، فجلس بجانب السـلطان ، ومـد يده إلي لحيته ، وسـبه سـبأ قبيحا ، فبادر النواب إليه و أقاموه ، وهو مستمر في السب ، فسلم لوالي القاهرة ، فعاقبه ، حتي مات تحت العقوبة . (النجوم الزاهرة 97/12).

ولما فتح تيمورلنك دمشق ، في السنة 803 ، قسم البلد بين أمرائه ، فنزل كل أمير في قسمه ، وأجري علي من فيه أنواع العذاب ، في الضرب والعصر ، والإحراق بالنار ، والتعليق منكوسا ، وغم الأنف بخرقة فيها تراب

ناعم ، كلما تنفس دخل في أنفه ، حتي تكاد نفسه تزهق ، فكان الرجل إذا أشرف علي الهلاك يخلي عنه حتي يستريح ، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعا حتي كان المعاقب يحسد رفيقه الذي هلك تحت العقوبة ، علي الموت . ورأي أهل دمشق ألوان من العذاب لم يسمع بمثلها ، منها إنهم كانوا يأخذون الرجل فيشد رأسه بحبل ، ويلوي الحبل حتي يغوص في رأسه ، ومنهم من كان يضع الحبل بكتفي الرجل ، ويلويه بعصاه ، حتي تنخلع الكتفان ، ومنهم من كان يربط ابهام يدي المعذب من وراء ظهره ، ثم يلقيه علي ظهره ويذر في منخرية الرماد مسحوقا ، ولا يزل يكرر عليه العذاب حتي يموت ، ويعذب وهو ميت مخافة أن يتماوت ، ومنهم من كان يعلق بابهام يديه في سقف الدار ، وتشعل النار تحته ، ويطول تعليقه ، فربما سقط فيها ، فيسحب منها ، ويترك علي الأرض حتي يفيق ، ثم يعلق ثانيا . (النجوم الزاهرة 244/12 و 245).

وفي السنة 803 أخذ شمس الدين محمد بن حسن الفارقي ، وعوقب (عذب) حتي مات ، وسبب ذلك ، إنه لما فتح تيمورلنك دمشق ، صارت له وجاهة عنده ، فلما رحل عن دمشق أخذ وعذب ومات (الضوء اللامع 221/7)

وفي السنة 811 قتل تحت العذاب ، فخر الدين ماجد بن عبد الرزاق القبطي الاسكندري ، الوزير ، وكان أخوه سعد الدين ابراهيم ، ناظر الخاص ، ثم عزلا وسلم فخر الدين إلي الاستادار ، فعاقبه أشد عقوبة حتي قتله (الضوء اللامع

234/6).

أقول : ذكر صاحب بدائع الزهور 793/2/1 خبر مقتل هذا الرجل ، فقال : في السنة 811 « اشتري ، الأستادار جمال الدين ، من السلطان ، الصاحب فخر الدين بن غراب ، فاستصفي أمواله ، ثم قتله بالعذاب .

وفي السنة 833 عذب أصبهان بن قرايوسف ، لما احتل الموصل، قاضيها محمد بن طاهر الموصلي ، حتي هلك في العقوبة (أي العذاب) (تاريخ العراق للعزاوي 79/3).

وكان محمود باشا، والي مصر ، من 968 – 975 للسلطان سليمان العثماني ، ظالما، عسوفا، أراق دماء كثيرة جدا، بحيث إذا وصل إليه الصو باشي في الديوان ، وعرض عليه من معه من «المتهومين» يشير إليه بمروحة في يده ، أما إلي الصلب، أو التوسيط، أو رمي الرقبة ، أو الخازوق ، باشارات خاصة، من غير أن يتكلم بلسانه (البرق اليماني 152).

كانت وسائل التعذيب ، في عهد المماليك حكام العراق (1164 – 1247) (1750 – 1831 م) وسائل متنوعة ، أيسرها الضرب بالسياط حتي تتفجر الدماء ، ورش الزيت المغلي علي وجه الأسير ، وعلي عينيه حتي يموت ، أو كي صدغيه ، وبعض المواضع الحساسة من جسده ، وقد يوضع علي وتد يدخل في أسفله ويمزق أحشاءه ، أما الخنق فهو أيسر ما يكون ، وأما الإغراق فلم يكن سرا من أسرار دجلة (الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص 44).

وفي السنة 1194 أصدر الوزير عبدي باشا ، سر عسكر اناطولي ، ووالي حلب، أمره ، بعزل أبي بكر اغا متسلم حلب ، وطلب حضوره ، فتثاقل ، ثم توجه نحوه ، فلما وصل إليه اعتقله ، وطالبه بأموال قال إنها في ذمته للدولة ، فباع أبو بكر أمواله وأثقاله كافة ، وهو مسجون ، فلم يتخلص ، فصار أقاربه وأصدقاؤه ، ومن بلوذ به ، يعينوه ، حتي أذي ما فرضه الباشا عليه ، واستمر محبوسا نيفا وسبعين يوما ، ثم نفاه الباشا إلي قلعة أرواد من اعمال طرابلس الشام ، وعين معه بيارق دالاتيه ، فقاموا به من الأوردي ، وتوجهوا لناحية اللاذقية ، وفي ذهابهم ، كانوا كلما مروا به علي

قرية من قري حلب ، وضعوا له الأغلال ، وعذبوه ، وهددوه بالقتل ، وأهالي القري « تترجي فيه ، وتبذل لأشقياء الدالاتية الدراهم ليكفوا عنه ، واستمروا علي ذلك إلي أن وصلوا إلي قلعة أرواد ، بعد أن رأي الموت عيانا ، مرات عديدة ، وهو يستغيث ولا يغاث (اعلام النبلاء 355/3 و356) .

ص: 91

الباب السابع عشر : الانتحار

اشارة

النحر : أعلي الصـدر ، وفي الأمثال العربيـة : وضـعته بين خري وتخري. د والسـخر : الرئـة . والنحر : إصابة النحر بالذبح . والإنتحار : قتل الإنسان نفسه .

والإنتحار محرم في جميع الأديان والشـرائع، قال الله تعالي : و ولا تقتلوا أنفسـكم) (29 م النساء 4)، وقال النبي صـلوات الله عليه : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوج بها في بطنه ، في نار جهنم (لسان العرب : مادة وجا).

وقد انتحر رجل في أيام النبي صلوات الله عليه ، فلم يصل عليه .

وفي قوانين العقوبات ، مواد مثبتة ، يعاقب بموجبها من أقدم علي الإنتحار ، إذا سلم .

وكان العرب في الجاهلية ، يعتبرون الإنتحار خورا وجبنا ، ويعبرون قوم من انتحر ، بإقدامه علي الإنتحار .

روي أن الحكم بن الطفيل ، أخا عامر بن الطفيل، ضـعف في يوم ساحوق في الجاهلية ، وخشي أن يؤسر ، فانتحر . بأن جعل في عنقه حبلا ، وصعد إلي شجرة، وشده ، ودلي نفسه ، فاختنق ، فقال عروة بن الورد ، يعير قومه بذلك : (ابن الأثير 644/1).

ونحن صبحنا عامرة في ديارها****علالة أرماح وضربأ مذكرا

بكل رقيق الشفرتين مهند**** ولدين من الخطي قد ط أسمرا

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم****ومقتلهم تحت الوغي كان أجدرا

وفي السنة 3 في معركة أحد ، كان من بين من حارب في صفوف المسلمين رجل يدعي قزمان ، فقتل وحده ثمانية من المشركين أو تسعة ، وكان شهما شجاعا ذا بأس ، وجرح في المعركة ، فاحتمل إلي دار بني ظفر ، فقال له رجل من المسلمين ، لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فأبشر ، فقال : بم أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلأ علي أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، ولما اشتدت عليه جراحته ، أخذ سهما من كنانته ، فقطع رواهشه ، فنزفه الدم ، فمات (الطبري 531/2 والمعارف 161).

وفي السنة 11 انتحر سلمة بن عمير الحنفي ، بأن ح حلقومه بسيف نفسه ، فقطع أوداجه ، وسبب ذلك إن بني حنيفة ، ارتدوا عن الإسلام ، بعد وفاة النبي صلوات الله عليه ، فبعث إليهم أبو بكر جيشا بقيادة خالد بن الوليد ، فانتصر عليهم ، وقتل مسيلمة ، وجماعة ممن معه ، وصالح الباقون خالدأ ، وكان سلمة بن عمير ، يعارض في مفاوضات الصلح ، ويقول : لا تقبلوا الصلح ، فإن حصونكم حصينة ، والطعام كثير ، والشتاء قد حضر ، فخالفوه وعقدوا الصلح ، فغضب واشتمل علي سيف ، وأراد أن يدخل علي خالد ، ليفتك به ، وأحس به أصحابه ، وفتشوه ، فوجدوا السيف في ثيابه ، فلعنوه، وشتموه ، وأوثقوه، وقالوا له : إنك لو قتلت خالدة لقتل أصحابه رجالنا ، وسبوا نساءنا ، إذ يحسبون أن عملك كان بممالأة منا، وطردوه عنهم ، فانسل وعمد إلي عسكر خالد ، فصاح به الحرس ، واتبعوه ، فأدركوه في بعض الحوائط (البساتين) فشد عليهم بالسيف ، فاكتنفوه بالحجارة ، فأجال السيف علي حلقه ، فقطع أوداجه ، وسقط في بئر، فمات (الطبري 300-299/3)

وفي السنة 23 انتحر فيروز أبو لؤلؤة ، الفارسي النصراني ، بعد أن

طعن الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، أعد الجريمته خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، وكان عمر في صلاة الصبح ، يؤم المسلمين ، فطعنه ثلاث طعنات ، إحداها تحت سرته ، خرقت الصفاق ، وهي التي قتلته ، وطعن معه في المسجد ثلاثة عشر رجلا ، مات منهم سبعة ، وأقبل علي القاتل رجل من بني تميم ، يقال له حكان ، فألقي عليه ردائه ، ثم احتضنه ، فلما علم العلج أنه مأخوذ ، طعن نفسه بخنجره ، فانتحر (العقد الفريد 272/4).

وانتحر في المدينة خمسون غلاما من أبناء الصعد، كان سعيد بن عثمان قد أخذهم من أهليهم رهنا علي صلح عقدوه معه لما كان أميرا لمعاوية علي خراسان ، فلما عزل عن خراسان ، لم يعد الغلمان الرهائن الي أهليهم ، بل أخذهم معه عبيداً أرقاء إلي المدينة ، وخلع عنهم كسوتهم ومناطقهم ، وألبسهم جباب صوف ، وألزمهم السواني والعمل الصعب ، فدخلوا عليه وفتكوا به ، ثم قتلوا أنفسهم (انساب الاشراف 117/5 -119).

وفي السنة 68 أغرق عبيد الله بن الحر الجعفي نفسه في الفرات، بعد أن تفرق جمعه عنه ، في معركة ضارية .

أقول : عبيد الله بن الحر الجعفي ، كان من خيار قومه صلاحا وفضلا ، واجتهادة ، فلما قتل عثمان انحاز إلي معاوية لمطالبته بدم عثمان ، ثم حضر أمام الإمام علي في مرافعة ، فلامه علي علي الإنحياز إلي خصمه ، فقال له : ايمنعني ذلك من عدلك ؟ قال : لا ، وحكم له ، فعاد إلي معاوية ، ثم اعتزل الجانبين ، ولما حكم المختار العراق طلبه ، وحبس امرأته ، فدخل بجماعة معه إلي الكوفة ، فكسر باب السجن ، وأخرج امرأته ، وجميع المحبوسات فيه ، وكان إذا وجد ما للسلطان ، أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ، وكتب بما تسلم وثيقة أعطاها لحاملي المال ، وتركهم وما بقي ليوصلوه إلي السلطان، وتمكن منه مصعب بن الزبير لما حكم العراق

فحبسه ، وشفع فيه الأحنف وقوم من عشيرته ، فأطلقه ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فأكرمه ، وأعطاه ، وعاد إلي العراق لمحاربة المصعب ، فبعث إليه المصعب جيشا كثيفا أطبق عليه ، ورموه بالسهام حتي اثخنوه ، فركب سفينة توسطت به الفرات ، فوثب إليه رجل عظيم الخلق قبض علي يديه وهو جريح ، فتماسك معه ، وألقي نفسه معه في الماء فغرقا (ابن الأثير 294/9)

ومن لطيف ما يذكر ، إن عبيدالله ، لما اطلقه المصعب ، بشفاعة الأحنف ، جاء إلي الأحنف ، وقال له : يا أبا بحر ، ما أدري كيف أكافئك ، إلا ـ أن أقتلك ، فتدخل أنت الجنة شهيدة ، وأدخل أنا النار ، فضحك الأحنف ، وقال له : لا حاجة لي في مكافأتك يا ابن اخي (انساب الأشراف 288/5)

وفي السنة 77 انتحر خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي ، بأن ألقي نفسه وفرسه في دجلة ، وكان قد حارب شبيب الخارجي ، في معركة ضارية ، وقتل مصاد، أخا شبيب ، وغزالة زوجة شبيب ، ثم انهزم أصحابه فتراجع حتي أشرف علي دجلة ، فألقي نفسه فيها ، فانتحر غرقا . (الاعلام 339/2)

وفي السنة 85 انتحر عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، الثائر علي الحجاج ، بأن القي نفسه من فوق قصر، فمات ، وكان عبد الرحمن قد خرج علي الحجاج في السنة 81، وأيده الناس لظلم الحجاج ، وخلعوا عبد الملك بن مروان ، فانفذ عبد الملك جيوشا من الشام ، وبعد معارك دامية ، قتل فيها عشرات الألوف ، اندحر جيش العراق ، والتجأ عبد الرحمن وقسم من أصحابه إلي رتبيل ، ملك الترك ، فكتب الحجاج إليه ، بطلب منه تسليم ابن الأشعث ، ويهدده بأن يقصده في ألف ألف رجل ، إن لم يسلمه ، وبعث إليه عهودة مختومة بختمه ، بجميع ما يطلب ، ورغبة في أن لا يغزو بلاده

عشر سنين ، يعفي فيها من الخراج ، فغدر رتبيل بابن الأشعث ، واعتقله ، وثلاثين من أصحابه وأهل بيته ، وألقي في اعناقهم الجوامع والقيود ، وبعث بهم إلي عمـارة بن تميم ، قائـد الحجـاج ، فلمـا قرب ابن الأشـعث من عمـارة ، ألقي نفسه من فوق قصـر ، فمـات ، وكان معه في السلسـلة رجل يقال له أبو العبر ، فماتا جميعا ، فاحتز عمارة رأسه ، وضـرب اعناق أصحابه ، وبعث بالرؤوس إلي الحجاج ، فبعث الحجاج برأس ابن الأشعث إلي عبد الملك ، فبعث به عبد الملك إلي عبد العزيز بمصر ، فقال الشاعر :

هيهات موضع جثة من رأسها****رأس بمصر وجثة بالرخج

الزيادة التفصيل ، راجع الطبري 390/6و391 واليعقوبي 279/2 والأخبار الطوال 320.

وفي السنة 91 قصـد عبـد الرحمن بن مسـلم ، أخو قتيبة، الصـغد ، فصالحه ملكها طرخون ، ودفع اليه مالا ورهنا ، فقال الصـغد لملكهم طرخون ، إنك رضـيت بالـذل ، واسـتطبت الجزية، فلا حاجة لنا بك ، وخلعوه ، ونصـبوا ملكا آخر غيره ، وحبسوا طرخون ، فقال طرخون : ليس بعـد سـلب الملك إلا القتل ، فيكون ذلك بيـدي ، أحب إلي من أن يليه مني غيري ، واتكأ علي سـيفه ، حتي خرج من ظهره (الطبري 463/6 وابن الأثير 554/4)

وفي السنة 126 انتحر عمرو بن محمـد بن القاسم الثقفي ، بأن أخذ سـيفا فاتكأ عليه حتي خالط جوفه ، وكان عمرو هذا عاملا علي السـند للوليد بن يزيد ، فأخذ محمد بن عزان الكلبي فضـربه ، وبعث به إلي يوسف بن عمر ، أمير العراق ، فضربه وألزمه مالاً عظيمة ، يؤدي منه في كل جمعة نجمة ، وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطاً ، فضرب حتي جفت بده وبعض أصابعه ، فلما ولي منصور بن جمهور العراق ، ليزيد بن الوليد ، ولي محمد بن عزان سجستان والسند ، فأتي سجستان ، وسار إلي السند ، فأخذ

عمرو بن محمد ، وأوثقه ، وجعل عليه حرساً يحرسونه ، وقام إلي الصلاة ، فتناول عمرو ، من أحد الحراس سيفاً ، فاتكأ عليه مسلولا ، حبي خالط جوفه ، وتصايح الناس، فخرج ابن عزان ، فقال له : ما دعاك إلي ما صنعت ؟ قال : خفت العذاب ، قال : ما كنت أبلغ بك ما بلغته من نفسك ، فلبث ثلاثا ثم مات (الطبري 272/7).

وكان أحد خلفاء بني أمية ، قد اشتري جارية ، كان يتعشقها شاب ، فاحتجبت عنه ، فكتب إلي الخليفة ، يتوسل أن يمكنه من رؤية الجارية ، وسماع غنائها ، ثم ليصنع به ما هو صانع ، فمنه من ذلك ، حتي إذا غنته ثلاثة أصوات ، طرح الشاب نفسه من المستشرف الذي كان فيه ، فلم يصل إلي الأرض إلا أوصا، راجع تفصيل القصة في مصارع العشاق 101/2 - 102-215-216)

وذكر ابن الكلبي أن فتي من بني حنيفة ، تعشق فتاة ، وجن بها، واحبته الفتاة كذلك ، ونذر به الحي ، فحذروه ، واندروه بأنه إن عاد فسوف يقتلونه ، وجلس ذات ليلة ، بمعزل من الحي ، ومعه قوسه ، فخرجت إليه حبيبته لتراه ، فظنها أحد الفتيان جاء إليه ليقتله فرماها بسهم ، فقتلها ، فصاحت رفيقتها ، فركض الفتي إليها ، ورأي ما جنت يده ، فوجا نفسه بمشاقصه حتي مات ، راجع تفصيل القصة في مصارع العشاق 143/2 – 144، والعقد الفريد 470/6– 471.

ولما قتل أبو جعفر المنصور في السنة 137 أبا مسلم الخراساني ، قطع رأسه ، ورمي به إلي من بالباب من فؤاد أبي مسلم ، فهموا أن يبسطوا سيوفهم علي الناس ، ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم وتغربهم ، فانتحر قسم منهم بسيوفهم ، اوسكت الباقون . (الامامة والسياسة 136/2).

وفي السنة 142 انتحر اصبهبذ طبرستان ، بأن مص خاتماً له فيه سم ، فقتل نفسه ، وكان سبب ذلك أنه نقض العهد الذي كان بينه وبين المسلمين ،

فحاصـروه ، فقال أبو الخصـيب لأصـحابه : اضـربوني ، واحلقوا رأسـي ولحيتي ، ففعلوا ، ولجا إلي الأصبهبذ، وزعم أنه عائذ به ، حتي أمنه ، ففتح باب الحصن للمسلمين ، فانتحر الأصبهبذ (ابن الأثير 510/5 والطبري 513/7)

وفي السنة 159 ظهر المقنع بخراسـان ، واسـمه حكيم ، وكان يتخـذ وجها من الـذهب يجعله علي وجهه ، واجتمع إليه خلق كثير ، وكانوا يسـجدون له في أي ناحية كانوا ، وكان يزعم أن روح الله حلت فيه ، وحاربه الجيش العباسي ، فلما أيقن بالهزيمة ، جمع نساءه وأهله وأجج ناراً عظيمـة ، وقال : من أحب أن يرتفع معي إلي السـماء ، فليلق نفسه معي في هذه النار ، وألقي بنفسه مع أهله وخواصه ونسائه ، فاحترقوا ، ودخل العسكر القلعة، فوجدوها خالية خاوية . (ابن الأثير 38/6 ـ 39-51- 52).

أقول : الذي أورده الطبري 135/8 - 144-145 إن حكيم المقنع ، خرج بخراسان في السنة 161 وإنه استغوي بشر كثيرة ، وقوي ، وصار إلي ما وراء النهر ، وإن المهدي سـير اليه جيوشاً، آخرها جيش بقيادة سـعيد الحرشي ، فشدد عليه الحصار ، فلما أيس من الظفر ، انتحر بأن شرب سما ، وسقاه نساءه وأهله، فمات وماتوا ، وإن انتحاره حصل في السنة 163.

وفي السنة 223 لما تآمر العباس بن المأمون ، وبعض القواد علي قتل المعتصم ، واسـتخلاف العباس ، كان من جملة المتآمرين قائد تركي أثير عند اشناس ، لا يحجب عنه في ليل ولا نهار ، كان قد تعهد للمتآمرين بقتل اشناس، فلما افتضحت المؤامرة، اعتقل اشناس هذا التركي ، وحبسه في بيت ، وطين عليه الباب ، فكان يلقي إليه في كل يوم رغيفا وكوزماء ، فأتاه ولده في بعض أيامه ، فكلمه من وراء الحائط ، وقال له : يا بني لو كنت تقدر لي علي سكين كنت أقدر أن اتخلص من موضعي هذا ، فلم يزل ابنه يتلطف في ذلك حتي أوصل إليه سكينة ، فقتل به نفسه . (الطبري 78/9).

وروي الجاحظ : إنه رافق محمد بن ابراهيم المصعبي ، من سامراء إلي بغداد ، في حراقته ، ونصب في الطريق ستارة ، وغنته عوادة ، ثم غنته طنبورية ، وبعد أن أنهت الصوت هتكت الستارة وألقت نفسها في الماء ، وكان علي رأس محمد غلام جميل بيده مذبة ، فألقي بنفسه في أثرها، واعتنقا، ثم غاصا فلم يريا ، راجع التفصيل في وفيات الأعيان 471/3 – 472 ومصارع العشاق 113/1 – 114 وتحفة المجالس 309 310).

وكان حنين بن اسحاق العبادي الطبيب ، طبيب المتوكل ، وإسرائيل بن زكريا الطيفوري ، طبيب الفتح بن خاقان ، فاختلفا أمام المتوكل ، في موضوع الخمار وهل يضر المصاب بالخمار أن يجلس في الشمس أم لا ، فأثني المتوكل علي حنين ، فاغتاظ الطيفوري ، ودس لحنين ، واغري الجاثليق والأساقفة ، فلعنوا حنين ، وقطعوا زناره ، وأمر المتوكل أن لا يصل إليه دواء من عند حنين ، حتي يشرف عليه الطيفوري ، ويحضر عمله ، فانصرف حنين إلي منزله ، وانتحر بأن سقي نفسه سما (تاريخ الحكماء 172)

وفي السنة 285 أوقع صالح بن مدرك الطائي بالحاج ، بقاع الأجفر ، فقتل خلائق عظيمة من الحاج ، ومات منهم كثير بالعطش ، وسلب من الناس نحوا من ألفي ألف دينار (مروج الذهب 516/2)، فخرج إليه أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي ، وظفر بصالح في فيد ، فأسره ، فجمع الأعراب ليستنقذوه ، فواقعهم أبو الأغر وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فأيس صالح من الخلاص ، وكان يدري ما ينتظره إذا وصل إلي بغداد ، فاستلب من أحد الغلمان سكين وقتل نفسه ، فاحضر أبو الأغر رأسه إلي مدينة السلام ، وأحضر معه رؤوس أخري ، وأربعة أساري هم بنو عم صالح بن مدرك فأدخلوا المطبق (مروج الذهب 519/2).

ولما اعتقل صاحب الشامة ، رأس القرامطة ، في السنة 291، وحمل إلي بغداد ، كان يعرف ما ينتظره ، فحاول الإنتحار ، بأن عمد إلي سكرجة فكسرها ، وقطع بشظية منها بعض عروقه ، فخرج منه دم كثير ، فلما أطلع علي ذلك ، شد جرحه ، وترك حتي صلح وعادت إليه قوته ، ثم احتفل بقتله ، وقتل أصحابه . (الطبري 113/10).

أقول : راجع كيفية قتل صاحب الشامة ورفاقه ، في هذا الكتاب ، في الباب التاسع و التعذيب بالتعرض للجوارح ، الفصل الثاني و القسم الأول قطع الأطراف ».

وفي السنة 311 لماعزل حامد بن العباس من وزارة المقتدر ، وصودر ، باع ضياعه ، وداره ، وخدمه ، وباع اخص خدمه به من نازوك ، بثلاثة آلاف دينار ، فالتفت الخادم إلي نازوك ، وقال له : إنك لا تنتفع بي ، فلا تبتعني، فلم يقبل منه ، وأبتاعه ، فلما كان في تلك الليلة ، شرب الخادم زرنيخ، فمات من ساعته (المنتظم 183/6 - 184 وتكملة تاريخ الطبري 36)

وفي السنة 315 قبض الوزير علي بن عيسي ، وزير المقتدر ، علي رجل شيرازي ، ظهر أنه يكاتب القرامطة ، فناظره الوزير بحضرة القاضي أبي عمر والقواد ، وقال الشيرازي : أنا صاحب أبي طاهر القرمطي ، وما صحبته إلا لأنه علي حق ، وأنت وصاحبك ومن يتبعكم، كفار مبطلون ، ولا بد لله في أرضه من حجة ، وإمام عدل ، فقال له علي بن عيسي : أصدقني عمن يكاتب القرمطي من أهل بغداد والكوفة ، فقال : ولم أصدقك عن قوم مؤمنين، حتي أسلمهم إلي قوم كافرين فيقتلونهم ، لا أفعل ذلك أبدأ ، فأمر بصفعه بحضرته ، وضربه بالمقارع ، وقيده ، وغله بغل ثقيل ، وجعل في فمه سلسلة ، وأسلمه الي نازوك (صاحب الشرطة) وحبسه في المطبق ، فمات

بعد ثمانية أيام ، لأنه امتنع من الطعام والشراب حتي مات (تجارب الأمم 712/1)

وفي السنة 334 قصد أبو يزيد الخارجي مدينة تونس ، فدخلها بالسيف ، وقتل الرجال ، وسبي النساء ، ونهب الأموال ، وهدم المساجد، فانتحر الكثير من أهلها ، بأن رموا أنفسهم في البحر (ابن الأثير 431/8).

وروي التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة ، في القصة المرقمة 58/5 ج 5 ص 129- 134 قصة فتي تعشق أخته ، وفر بها إلي موضع لا يعرف فيه ، وماتت الأخت علي أثر الولادة، فلما وضعها في قبرها ، أخرج سيفا ، وأدخله في فؤاده فانتحر ، فمات ، ودفن معها في قبر واحد .

وفي السنة 351 استولي علي طرسوس ، ابن الزيات ، وقطع خطبة سيف الدولة ، وخرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيين لحرب الروم ، فأوقع به الدمستق ، وقتل جميع من معه، وقتل أخاه أيضاً ، فلما وقف ابن الزيات علي ذلك ، لبس سلاحه ، واعتم، وخرج إلي روشن داره ، وكانت داره علي شاطيء نهر ، ثم رمي بنفسه من داره الي النهر ، فغرق . (تجارب الأمم 191/2).

وفي السنة 360 قتل يوسف بن بلكين بافريقية أصحاب محمد بن الحسين الزناتي ، وجماعة من أهله وبني عمه ، وكان محمد قد عصي علي المعز الدين الله بإفريقية ، وكثر جمعه ، فأمر المعز يوسف ، بالتخلص منه ، فبادر إليه يوسف ، ولم يشعر به محمد ، إلا وهو داخل عليه ، فلما رآه محمد جرد سيفه وانتحر به ، وقتل يوسف الباقين . (ابن الأثير 616/8).

وانتحر الطبيب أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار الداري الصيدلاني البصري ، بأن أغرق نفسه في كرداب كلوادي ، ببغداد ، لاسباب اجتمعت عليه ، من صفر اليد ، وسوء الحال ، وجرب أكل بدنه ، وعشق

حرق قلبه ، وحيرة غرب معها عقله ، وخذل رأيه ، حتي جر إلي نفسه حينها بما أقدم عليه ، وكان ابن غسان فتي ، مليحا ، ظريف ، حسن الأدب ، محذقا فيما بين الأطباء ، وكان يعلم الطب ، ويشارك في علوم الأوائل ، وخدم بصناعته ملوك بني بويه ، علي الخصوص عضد الدولة فناخسرو راجع الرسالة البغدادية للتوحيدي 256 - 258 وتاريخ الحكماء 402).

وكان القائد تبر ، أحد أمراء الدولة في عهد كافور الإخشيدي ، فلما قدم القائد جوهر من المغرب بالعساكر ، حاربه القائد تبر ، ولكنه انهزم ، فكتب إليه جوهر ، يترضاه ، فلم يجب ، وأقام علي الخلاف ، فسير إليه عسكر، حاربه ، فانكسر تبر ، وقبض عليه ، وأدخل إلي القاهرة ، مشهرا علي فيل ، وسجن ، وفي السنة 360 ضرب بالسياط ، وحبس عدة من أصحابه بالمطبق في القيود ، فجرح نفسه ، ومات منتحرة . (خطط المقريزي 413/2)

وانتحر بتناول السم ، أبو أحمد بن أبي بكر بن حامد، الكاتب ، الشاعر ، كان أبوه كاتب الأمير الساماني اسماعيل بن أحمد، وزير الأمير أحمد بن اسماعيل (قتل سنة 301) ، فنشأ أبو أحمد ربيب نعمة ، وتأدب ، وتظرف ، ونظم فأجاد ، وولي ولايات ، وكان يتخرق في تبذير ماله ، فتخرق جاله ، وضاقت معيشته ، حتي قال : (التيمية 64/4 - 69).

قد قلت أذ مدحوا الحياة فأسرفوا****في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه ****وفراق كل معاشر لا ينصف

ا ثم قتل نفسه بتناول السم ، فمات منتحرا .

وفي السنة 369 انتحر المطهر بن عبد الله ، وزير عضد الدولة ، إذ أنفذه الملك عضد الدولة إلي البطيحة لاستئصال الحسن بن عمران ، بعد أن استخلف علي الوزارة أبا الريان حمد بن محمد الأصبهاني ، فلم يتمكن من

صاحب البطيحة ، وباءت خططه بالفشل ، فأعتكف في خيمته ، وأخذ سكين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جميعا وأدخل ذراعيه إلي باطن ثيابه فنزف دمه ، وأدركه خدمه والناس وفيه رمق ثم مات . (تجارب الأمم 409/2 – 411)

وفي السنة 369 انتحرت الأميرة جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني ، تخلص من حياة الذل والأسر التي ابتليت بها، بأن ألقت نفسها في دجلة ، فغرقت ، راجع تفصيل ذلك في هذا الكتاب ، الباب التاسع عشر المرأة » الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة .

وفي السنة 392 حارب يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، جيبال ملك الهند ، فكسره ، وأسره، وأطلقه بمال قرره عليه ، فأذاه ، وكان من عادة الهنود ، أنهم أذا حصل أحد منهم في أيدي المسلمين أسيرة، لم تنعقد له بعدها رئاسة ، فلما رأي جيبال حاله بعد خلاصه ، حلق رأسه ، ثم ألقي نفسه في النار ، فأنتحر (ابن الأثير 169/9، 170).

وفي السنة 392 توفي أبو الطيب الفرخان بن شيراز ، فأنفذ بهاء ، الدولة ، وزيره أبا غالب لحيازة ما خلفه ، وكان للفرخان ثقة مجوسي ، عالم بما خلف الفرخان ، فقبض عليه أبو غالب ، وعذبه ، فانتحر بأن ذبح نفسه في الحمام (ذيل تجارب الأمم 414 – 417) .

وفي السنة 395 حارب يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، ملك إسمه بحيرا ، وأسم مملكته بهاطية ، وتقع وراء المولتان ، فانكسر بحيرا ، فلما أيقن بالعطب ، أخرج خنجر معه ، فقتل به نفسه (ابن الأثير 185/9).

وروي عبد الله بن عبد العزيز السامري ، إنه مر وصديق له بدير هرقل ، وهو موئل للمصابين بعقولهم ، فوجدا فيه شابا حسن الوجه ، مشدودة بسلسلة إلي جدار ، فاستنطقاه ، فتلا عليهما أبيات ، تشير إلي أنه صريع غرام ، ثم تلا عليهم أبيات أخري ، كان البيت الأخير فيها :

إني علي العهد لم أنقض مودتهم****فليت شعري بطول العهد ما فعلوا

فقالا له : ماتوا ، فقال : وأنا ميت في أثرهم ، ثم خنق نفسه بالسلسة ، فاندلع لسانه ، وندرت عناه ، ومات ، راجع تفصيل القصة في مصارع العشاق 19/1 و 20.

أقول : دير هتل (حزقيل) ما بين البصرة وعسكر مكرم (معجم البلدان 706/2) كان موئلا للمصابين بعقولهم ، وقد ذكره دعبل في أبيات هجا بها أبا عباد ، وزير المأمون ، وكانت في أبي عباد حدة ، قال :

أولي الأمور بضيعة وفساد**** أمر يدبره أبو عباد

يسطو علي كتابه بدواته ****فمضمخ بدم ونضح مداد

وكأنه من دير هزقل مفلت**** رد يجر سلاسل الأقباد

وفي السنة 401 حارب محمود بن سبكتكين ، ملك الغور ، وانتصر عليه ، فشرب الملك سما كان معه فمات (ابن الأثير 222/9) .

وفي السنة 407 غزا محمود بن سبكتكين الهند ، فحاصر كشمير ، فأسلم صاحبها علي يده ، ثم حاصر حصن هو دب ، فأسلم صاحبه علي يده ، ثم حاصر قلعة كلجند وفتحها فعمد كلجند إلي زوجته فقتلها ، ثم قتل نفسه بعدها (ابن الأثير 266/9).

وفي السنة 411 قتل الحاكم الفاطمي ، فنصبت أخته ست الملك ولده أبا الحسن علي ، مكان أبيه ، واعتقلت ولي العهد أبا القاسم ، في القصر ، وحمل إليه يوما بطيخ ومعه سكين ، فغرز السكين في سرته ، ومات منتحرة (النجوم الزاهرة 194/4).

وفي السنة 412 قبض قرواش بن المقلد صاحب الموصل، علي أبي القاسم المغربي الوزير ، وأطلقه ، وعلي أبي القاسم سليمان بن فهد ، فقتل سليمان نفسه . (المنتظم 2/8).

وروي المقريزي في خططه 289/2 إنه في السنة 415 قبض علي رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلي ، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله ، من جملـة أربعة أنفس ، تفرقوا في البلاد ، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقيل له : لم قتلته ؟ فقال : غيرة لله وللإسـلام ، فقيـل له : كيف قتلته ؟ فـأخرج سـكينا ، ضـرب بهـا فؤاده ، فقتل نفسه ، وقال : هكـذا قتلته ، فقطع رأسه وأنفـذ به إلي الحضرة .

أقول : أورد المسبحي ، في أخبار مصر . في السنة 415 هذا الخبر بتفصيل أوفي ، فذكر في الصفحة 27 و 28 أنه : ورد الخبر إلي مصر بأن الثائر الذي حصل بالصـعيد الأعلي ، حصل في يد القائد الفاطمي حيدرة بن عقبايان ، وكان الثائر رجلا شريفحسـنية ، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله ، في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد ، فمنهم من مضي إلي برقة ، ومنهم من مضي إلي العراق ، وإنه أظهر له قطعة من جلد رأسه ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقال له حيدرة : ولم قتلته ؟ فقال : غرت لله وللإسـلام ، فقال : وكيف قتلته ؟ فأخرج سـكينا ، فضـرب بها فؤاد نفسه ، فقتل نفسه ، وقال : هكذا قتلته ، فقطع حيدرة رأسه ، وأنفذ الرأس إلي الحضرة ، مع ما وجده معه .

وفي السنة 426 عصي أحمد ينالتكين ، نائب السلطان مسعود الغرنوي بالهند ، علي السلطان ، فسير أليه جيشاً، فانهزم ، وتحصن في جزيرة ، فهاجمه الهنود ، وأوقعوا به ، وأخذوا ولد له أسيرة ، فلما رأي أحمد ذلك ، قتل نفسه ، ومات منتحر (ابن الأثير 441/9 و 442).

وفي السنة 457 انتحر أبو نصـر فتوح بن هلال اليفرني ، صاحب تاكرنا ، بالأندلس، وكان قد خلف أباه المتوفي سـنة 449 وملك كذلك ريا ومالقة ، وثار عليه رجل من رعيته ، يدعي ابن يعقوب ، بإغراء من المعتضد بن عباد ، فاقتحم قصر أبي نصر ، وصباح مع جماعته بخلعه ،

والدعوة للمعتضد ، فألقي أبو نصر نفسه من علية كان جالسا بها ، فوقع علي صخرة ، فتكسر ، ومات . (الاعلام 335/5).

وفي السنة 468 كان غلام يعرف بابن الرواس ، من أهل الكرخ ببغـداد ، يحب امرأة ، فماتت ، فحزن عليها ، فبقي لا يطعم الطعام ، وانتهي به الأمر الي أن خنق نفسه (المنتظم 297/8).

وكـان مسـلم بن قريش ، صاحب الموصل وحلب ، يسـتوفي من صاحب أنطاكيـة الإفرنجي ، إتاوة سـنوية ، فلما ملك سـليمان بن قتلمش أنطاكية ، طالبه مسـلم بالإتاوة ، فأجابه : إن سـلفي كان نصـرانيا يعطي الجزية ، وأنا مسـلم لا جزية علي ، فحاربه مسـلم بن قريش ، فانتصر سليمان ، وقتل مسـلم في المعركة في السنة 478، وحصـر سليمان حلب ليستولي عليها ، فأمتنعت حلب عليه ، وكتب حافظها إلي الأمير تتش السـلجوقي أن يحضـر لتسـلمها ، فبلغ ذلك سـليمان ، فقصدتتش، واشـتبكا في معركة ، فلما رأي سليمان أن أصحابه قد فروا أنف من الهزيمة ، وأخرج سكينة كان معه ، فقتل به نفسه ، ومات منتحرة (اعلام النبلاء 358/1) .

وفي السنة 500 انتحر الأمير قلـج ارسـلان ، صاحب الموصل وما حولها ، إذا أشـتبك في معركـة ضارية مع الأمير جاولي سـقاوو ، فانهزم عسكر قلب ، وثبت هو ، وعلم إنه إن أسر فعل به فعل من لم يترك لصلح موضعا ، فأقحم فرسه الخابور ، فغرق (ابن الأثير 429/10 و 430) .

وفي السنة 500 افتتح السلطان ملكشاه السلجوقي ، قلعة شاهدز ،

بالقرب من أصـبهان ، وقتل صاحبها وولده ، فألقت زوجته نفسها من رأس القلعة ، فماتت منتحرة ، راجع التفصيل في كتابنا هذا ، في الباب التاسع عشر و المرأة ، الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة .

وفي السنة 511 نزل ابن بديع ، رئيس حلب ، لمقابلة الأمير الغازي

بقلعة دوسر ، فهاجمه اثنان من الباطنية ، فقتلاه ، وقتلا أحد ولديه ، وقتلا من بعده ، وجرح ولده الآخر ، فحمل إلي القلعة ، فهاجمه باطني وقتله ، وقبض علي الباطني ، وحمل ليقتل ، فرمي بنفسه إلي الماء ، وانتحر غرقاً (اعلام النبلاء 427/1) .

وفي السنة 52 أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل ، وزير السلطان سنجر ، باستئصال الباطنية ، وكانت للباطنية قرية من أعمال بيهق ، إسمها طرز ، ومقدمهم بها الحسن بن سمين ، فقصدها العسكر ، وقتلوا كل من بها ، وهرب مقدمهم الحسن ، وصعد منارة المسجد ، ثم ألقي بنفسه إلي الأرض (ابن الأثير 631/10 و632).

وفي السنة 521 إنتحر أبو القاسم محمود بن عزيز العارضي الخوارزمي ، بمرو ، ذبح نفسه بيده ، وترك رقعة بخط يده فيها : هذا ما عملته أيدينا ، فلا يؤاخذ به غيرنا، وكان أبوالقاسم هذا يلقب شمس المشرق ، وكان الزمخشري يسميه : الجاحظ الثاني . (معجم الأدباء ـ 146/7)

وفي السنة 523 خنق رجل يقال له أبن ناصر نفسه ، بحبل شده في السقف . (التنظيم 13/10).

وفي السنة 523 انتحر الأمير البقش السلاحي ، بأن غرق نفسه في دجلة ، وكان نائبا عن السلطان في عدة ممالك ، ثم غضب عليه السلطان ، فقبض عليه ، وحبسه بقلعة تكريت ، ثم أمر بقتله ، فانتحر . (ابن الأثير 65/11 و النجوم الزاهرة 262/5).

وفي السنة 539 حصل عبد المؤمن ، أمير الموحدين ، بمدينة وهران ، بالمغرب ، ونزل تاشفين ، أمير المسلمين بظاهرها علي البحر ، وفي ليلة 27 رمضان ، صعد تاشفين إلي الربوة المطلة علي البحر ، بأعلاها ثنية يعمرها

المتعبـدون ، يريـد التبرك بـذلك الموضع ، وبمن فيه من الصـلحاء ، فحصـره الموحدون في ذلك الموضع ، وأحاطوا به ، وأحرقوا عليه باب الربـاط ، فلمـا أيس تاشـفين من النجـاة من أيـديهم ، ركب فرسه ، وأخـترق النـار ، ثم أقحمه الوادي، فتردي هو وفرسه من جرف عـال علي الحجارة ، فمات منتحرا (ابن الأثير 580/10 وفيات الأعيان 126/7 والمعجب للمراكشي 271) .

وفي السنة 551 توفي خوارزم شاه أتسـز بن محمد بن أنوشـتكين ، وخلفه ولده أرسـلان ، فقتل نفرا من أعمامه ، وسـمل أخا له ، فقتل الأخ المسمول نفسه منتحرة . (ابن الأثير 209/11).

وفي السنة 574 انتحر أحد المكارية في الحبس ببغداد ، وسـبب ذلك إنه أخذ ألف دينار ، تعود لرجل اكتراه ورفاقه من الموصل إلي بغداد ، فأخذ واعترف بالمال ، وأحضـر منه تسعمائة وخمسين دينارة ، وقال إن الخمسين الباقية أخذها قريب له ، فقال صاحب المخزن : خذوا هذا فأحبسوه لنصلبه غداً ، فنهض المكاري في الليل ، وصلب نفسه . (المنتظم 287/10).

وفي السنة 587 انتحر يعقوب الحلبي ربان بطسه (نوع من السـفن) ، وسـبب ذلك ، إن ملك الانكتار (يريـد ريكاردوس قلب الأسد ملك إنكلترا) وصـل مع رجـاله إلي عكا، وكان رجل زمانه شـجاعة ، ومكرة ، وجلـدأ ، وصبرة ، فعظمت به قوة الإفرنـج المحاصـرين لعكا ، فأمر صلاـح الـدين الأيوبي ، فجهزت من بيروت ، بطسـة كبيرة مملوءة من الرجال والعـدة والقوت ، وفيها سـبعمائة مقاتل ، وسـيرت الي عكا ، فلقيها ملك انكتار ، فقاتلها ، وصبر من فيها ، فلما أيسوا من الخلاص ، عمـد المقدم بها ، واسـمه يعقوب الحلبي ، مقدم الجندارية ، ويعرف بغلام ابن شـقتين ، فنزل إلي قعرها ، وخرقها خرقا واسـعاً ، وأغرقها بمن فيها وما فيها ، وانتحر هو وأصـحابه غرقة لئلا يظفر الإفرنج بهم وبما معهم من الذخائر (ابن الأثير 65/12)

وفي السنة 598 سعي رجل يعرف بابن عطية ، بابن ثناء البراز ، بأن لديه وديعة أودعها عنده أبو بكر بن العطار ، الوزير – كان – للناصر وعزل وصودر ، فانكر ابن ثناء ، وحقق في الأمر ، فظهر كـذب الساعي ، ، فأطلق ابن ثناء ، واعتقل ابن عطية ، وحبس بباب النوبي ، فألقي نفسه في بئر ، فمات ، فصلب علي باب داره . (الجامع المختصر 82 و 83) .

وفي السنة 602 تجهز السلطان شهاب الدين الغوري ، لقتال بني كوكر بالهند ، وكانوا قد عصوا عليه ، وقطعوا الطريق ، وأخافوا السبيل، ووافقهم قسم من الهنود علي الخروج عن الطاعة ، فداهمهم شهاب الدين ، وكسرهم ، فقصدوا أجمة هناك ، واجتمعوا ، وأضرموا نارة ، وكان أحدهم يقول لصاحبه : لا تدع المسلمين يقتلونك ، ثم يلقي بنفسه في النار ، فيلقي صاحبه نفسه بعده ، فعمهم الفناء قتلا وحرقا . (ابن الأثير 208/12 ـ 211)

وفي السنة 602 انتحر الفقيه تقي الدين عيسي بن يوسف العراقي الغرافي ، الضرير ، بأن شنق نفسه ، في حجرته بالمدرسة الأمينية ، وسبب ذلك ، إنه سرق له مال ، فأتهم شخصا كان يقرأ عليه ، ويقوده ، فأنكر ذلك الشخص التهمة ، وتعصب عليه أقوام ، وقالوا هو ضرير فقير من اين له المال الذي ادعي بأنه سرق منه ، فزاد عليه الهم وشنق نفسه . (نكت الهميان 223 و 224).

وفي السنة 604 صلب الرضي بن هرثمة ، نفسه ، بالمخزن المعمور ، وكان موك" به علي بقية مال قرره علي نفسه ، فأخرج لي ، فسلم إلي أهله (الجامع المختصر 237).

وفي السنة 624 انتحر السلطان ناصر الدين قباجه ، مملوك علاء الدين الغوري ، صاحب السند والملتان وأوج ، قتل نفسه علي أثر انكساره في

معركة حصلت بينه وبين التتميش ، وكان قد حكم منذ السنة 602 (معجم انساب الأسر الحاكمة 602).

وفي السنة 64 حصر الجنود المصريون ، الإفرنج بدمياط ، وحاول الإفرنج التخلص من الحصار بعدة حملات ، وكانت جميعها فاشلة ، فقتل جميع فرسانهم ، إلا فارسين ، فاقتحما النيل بخيلهما فغرقا . وأسر من المحاربين نيف وعشرين ألف آدمي . وقتل سبعة آلاف . (النجوم الزاهرة 397/9)

وفي السنة 682 تضارب بالقاهرة مؤمن بن عجم العطار ، مع والدته ، وبعد العشاء الآخرة « شنق روحه » (تاريخ ابن الفرات 261/7).

وفي السنة 685 توفي الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الأزدي ، وخلف ولدين هما محمد وعبد الله ، وكان محمد مفرطة في السخاء ، لا يليق شيئا ، ولا يخيب قاصداً ، فتضعضع حاله ، وركبه دين كثير بعد وفاة أبيه ، فراجعه أحد الدائنين ، وأغلظ له في القول ، وكان قاعداً علي باب داره ، فدخل إلي الدار من فوره ، وعمد إلي حبل فشنق به نفسه (العقود اللؤلؤية 244/11)

وفي السنة 686 طولب ببغداد نجم الدين كاتب الجريد بالحساب ، ودوشخ، علي بقايا وجبت عليه ، فلما عرف من نفسه العجز عما يطلب منه ، وخشي من العقاب ، قتل نفسه . (تاريخ العراق للعزاوي 341/1) .

وفي السنة 689 انتحر القاضي ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسي المعروف بابن نوح ، شنق نفسه بعمامته ، وكان وكيل بيت المال ، وناظر الأوقاف بدمشق ، فسرق وخان ، فأمر السلطان بالكشف عما أكل ، وإعادته لبيت المال ، فضرب بالمقارع، وحبس ، ثم طلب إلي مصر

فانتحر شنقا . (تاريخ ابن الفرات 92/8) و (الوافي بالوفيات 237/3 – 238 وشذرات الذهب 410/5 و411) .

وفي السنة 703 اشتد حصار السلطان يوسف بن يعقوب المريني لمدينة تلمسان ، وكانت بحكم عثان بن يغمراسن ، من بني عبد الواد ، وضاق عثمان بالحصار ذرعا ، فأنتحر ، بأن وضع سما في قدح من اللبن ، وشربه ، فمات ، تقاديا من معرة غلبة الأعداء (ابن خلدون 95/7)
.

وكان قراسنقر ، من الأمراء بمصر ، وحضر قتل الاشرف وشارك فيه ، فلما تسلطن الناصر أخو الاشرف ، خشي قراسنقر علي نفسه، وفر إلي السلطان محمد خدا بنده والد ابي سعيد، سلطان العراق، فأعطاه مدينة مراغة ، وتسمي دمشق الصغيرة ، فلما مات محمد وولي ابنه أبو سعيد، فر منه الأمير الدمر طاش إلي سلطان مصر ، فوقع الإتفاق علي أن يعيد سلطان مصر الدمر طاش ، ويعيد أبو سعيد قراسنقر ، وبعث الملك الناصر برأس الدمر طاش ، فأمر أبو سعيد بحمل قراسنقر لسلطان مصر ، فمص قراسنقر خاتماً له فيه سم ، فمات (تاريخ العراق للعزاوي 429/1). وكان ذلك في السنة 728.

وفي السنة 721 قبض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت 741) علي كريم الدين عبد الكريم ، ناظر الخاص ، ووكيل السلطان ، وعظيم دولته ، وصادره ، وأبقاه في الاعتقال أربعين يوما ، ثم أطلقه ، وألزمه بأن يقيم في تربته بالقرافة ، ثم نفاه إلي الشوبك ، ثم نقله إلي القدس ، ثم أحضره إلي القاهرة ، ثم نفاه إلي أسوان ، ووجد هناك مشنوقا بعمامته . (النجوم الزاهرة 75/9).

وفي السنة 731 انتحر بمدينة دمشق شنقا تقي الدين الاشقر محمد بن اسماعيل بن موسي الحسيني الشريف ، وسبب انتحاره أنه ركبته الديون ،

فشنق نفسه ، وعلق في عنقه ورقة بخطه ذكر فيها إلي الحامل له علي ذلك خشيته من ضرب المقارع بسبب أصحاب الديون لأنهم كانوا هددوه بذلك (الدرر الكامنة 12/4).

ولما ولي السلطان محمد بن تغلق ، سلطنة الهند ، بعد موت أبيه ، امتنع الأمير بهاء الدين كشت اسب ، ابن اخت السلطان تغلق ، من بيعته ، فحاربه ، وانكسر الأمير ، والتجأ إلي ملك من ملوك الكفار ، يعرف باسم (الراي كنبيلة)، والراي بالهندية تعني السلطان ، وهو من أكبر سلاطين الكفار ، فطلبه منه السلطان ، فأبي أن يسلمه لأنه التجأ إليه فحاربه السلطان محمد بن تغلق ، وحاصره، فلما قارب أن يؤخذ ، قال للأمير بهاء الدين : إن الحال قد بلغت ما تراه ، وأنا عازم علي إهلاك نفسي وعيالي ومن يتبعني ، فاذهب أنت إلي السلطان فلان ، وسمي له سلطانة من الكفار ، فأقم عنده ، فإنه سيمنعك ، وبعث معه من أوصله إليه ، وأمر الراي كنبيلة ، بنار فأججت ، وأحرق فيها امتعته ، وقال لنسائه وبناته : إني أريد أن أقتل نفسي ، فمن ارادت موافقتي فلتفعل ، فكانت المرأة منهن، تغتسل، وتدهن بالصندل، وتقبل الأرض بين يديه ، وترمي بنفسها في النار ، حتي هلكن جميعا ، وفعل مثل ذلك نساء امرائه ، ووزرائه، وأرباب دولته، ومن أراد من سائر النساء ، ثم اغتسل الراي ، وادهن بالصندل، ولبس السلاح ما عدا الدرع ، وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه ، وخرجوا إلي عسكر السلطان، فقاتلوا ، حتي قتلوا جميعا. (مهذب رحلة ابن بطوطة 96/2-97).

ووصف لنا الرحالة ابن بطوطة ، في رحلته ، مراسيم الأحتفال بإحراق النساء الهندوسيات أنفسهن ، إذ ينتحرن لحاقا بأزواجهن ، وبين إن إحراق المرأة نفسها بعد زوجها ، أمر مندوب إليه ، غير واجب ، ولكن من أحرقت نفسها بعد زوجها ، أحرز أهل بيتها شرفا بذلك ، ونسبوا إلي الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها ، لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة ، لعدم

وفائها ، ولكن لا تكره علي إحراق نفسـها، راجع تفصـيل عملية الانتحار بالاحتراق بالنار في هذا الكتاب ، في الباب التاسع عشـر و المرأة ، الفصل الخامس عشر د انتحار المرأة .

وذكر ابن بطوطـة في رحلته ، 22/2 ، إن الهنـدوس في الهنـد، ينتحرون غرقا ، بالقاء أنفسـهم في نهر الكنك ، وهو الذي إليه يحجون ، وفيه يرمي برمـاد من يحرق بـدنه منهم ، وهم يقولون إن هـذا النهر من الجنـة.، وإذا جاء أحـدهم ليغرق نفسه ، يقول لمن حضـره : لا تظنوا أني أغرق نفسـي لأجل شـيء من أمور الـدنيا ، أو لقلـة مال ، وإنما قصـدي التقرب إلي كساي ، وكساي ، اسم الله عز وجل بلسانهم ، ثم يغرق نفسه ، فإذا مات ، أخرجوه ، وأحرقوه، ورموا بر ماده في النهر المذكور .

وفي السنة 739 أمر السـلطان الملك الناصـر محمد بن قلاوون باعتقال النشو ناظر الخاص ، وأفراد عائلته ، وكان أخوه مجد الدين رزق الله بن فضل الله ممن اعتقل، وسـجن ببعض الخزائن ، وفي فجر اليوم التالي ، لما قام عنه حارسه ليصـلي الصـبح ، أخرج من حياصته سكينا ، ووضعها في نحره فقطع أوردته ، ومات (النجوم الزاهرة 135/9) وقد أورد الخبر صاحب الدرر الكامنة 201/2 بتفصيل أوفي إلا إنه ذكر أن انتحار مجد الدين رزق الله بن فضل الله حصل في السنة 740 فذكر أن مجد الدين اعتقل لما اعتقل أخوه ، وأخذه قوصون نائب السلطان ، فأنزله عنده في القلعة ، فاغتنم غفلة من الموكل به ، وأخذ سـكينا فنحر بها نفسه، فمات، وكان ذلك في السـنة 740 وكان كثيرا ما يقول لأخيه النشو، إن جرت علينا نائبـة ، لا يرحمنا أحـد المبالغتنا في نصـح الملك ، ويشـمت بنا الناس ، وأنا – والله – إن وقع ذلك لا امكن أحد من عقوبتي، فكان كذلك .

وذكر ابن بطوطة ، إنه شاهد أحد أتباع سـلطان مل جاوة ينتحر أمامه ، إذ رآه وبيده سـكين ، قد وضعه علي رقبة نفسه ، وتكلم بكلام كثير لم يفهمه ،

ثم أمسك السكين بيديه معا ، وقطع عنق نفسه ، فوقع رأسه لحدة السكين ، وشدة إمساكه ، بالأرض ، قال فعجبت من شأنه ، وقال لي السلطان : أيفعل هذا أحد عندكم ؟ فقلت له : ما رأيت هذا قط ، فضحك، وقال : هؤلاء عبيدنا، يقتلون أنفسهم في محبتنا، وأمر به فرفع وأحرق . (مهذب رحلة ابن بطوطة 243/2).

وفي السنة 752 حاصر صاحب تلمسان، أبو ثابت ، من بني عبد الواد ، علي بن راشد ، من مغراوة ، بمدينة تنس ، ثم اقتحم جيشه المدينة ، فانتحر علي بن راشد ، بأن ذبح نفسه (ابن خلدون 120/7).

وخرج القاضي جلال الدين الأفغاني ، وأتباعه من الأفغانيين ، علي السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (725- 752)، واستولي علي مدينة كنباية ، وعظم شأنه ، فأراد ثلاثة من كبراء أهل كنباية ، الإمتناع منه ، ومحاربته ، وهم ملك الحكماء ، وشمس الدين ، والناخداه الياس ، ولكن جلال الدين، تغلب عليهم ، ودخل المدينة ، فاختفي الثلاثة في دار ، وخافوا أن يقبض عليهم ، وأن يعذبوا ، فاتفقوا علي أن يقتلوا أنفسهم، وضرب كل واحد منهم صاحبه ، بقتارة ، فمات اثنان ، ولم يمت ملك الحكماء . (مهذب رحلة ابن بطوطة 2/ 172).

أقول : القتارة : سلاح وصفه الرحالة ابن بطوطة ، في رحلته 163/2 فذكر أنها تشبه سكة الحرث ، يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه، ويفضل منها مقدار ذراعين ، وضربتها لا تبقي .

وفي السنة 768 قتل نائب السلطنة يلبغا ، وكان قتله بأيدي مماليكه ، واتهم السلطان الأشرف شعبان، بأن قتله كان بأمره ، وأقيم أسندمر أتابك ، فاتفق معه مماليك يلبغا ، وركبوا علي الأشرف، فحاربهم الأشرف وهزمهم ، وأقيم الأمير الجاي اليوسفي أتابكأ ، وهو زوج أم الأشرف، فاتفق موت أم

الأشرف ، فركب ألجاي اليوسفي علي الأشرف ، فانكسر ألجاي ، فساق حتي رمي نفسه في البحر فغرق ، ومات منتحرا (الدرر الكامنة 288/2).

أقول : أورد صاحب بدائع الزهور 1/2/ 119 إن الأتابكي الجاي ، تحرك في السنة 775 علي الملك الأشرف بالقاهرة، فحاربه السلطان، فانكسر الجاي ، وجاء إلي شاطيء نهر النيل، واقتحمه بفرسه ، فغرقا معاً . وأيد صاحب النجوم الزاهرة129/11 ان الحركة حصلت في السنة 775 وسمي الأتابكي الجاي : الأمير سيف الدين اليوسفي .

وفي السنة 769 انتحر الأمير سيف الدين قنق ، أحد أمراء المماليك بمصر ، إذ كان يحارب مع اليلبغاوية ، فلما انكسروا ساق قنق فرسه الي بركة الحبش ، ونزل بشاطيء البركة ، وبقي يشرب الماء ، ويستفت الرمل، حتي مات . (النجوم الزاهرة 103/11).

وفي السنة 795 كان الأمير منطاش ملتجئ إلي نعير بن حيار، فكبس نائب حلب علي نعير ، وأسر أولاده ونساءه فطلب نعير من السلطان إطلاقهم ، علي أن يسلم إليه منطاشة ، فوافق السلطان ، فبعث اربعة من العبيد لاحضار منطاش ، فذهبوا إليه وأخذوا سيفه ، فاحس بالموضوع وقال : دعوني حتي أبول ، فلما وقف إلي الحائط ، أخرج من وسطه خنجرة ، وشق به بطنه . (بدائع الزهور 459/2/1).

وفي السنة 801 انتحر الفقيه عبد القادر الحنبلي ، بدمشق ، وكان شيخ زاوية الحمصي ، فنسب إليه إنه خرب كثيرة من أوقافها، فطلب منه الحكام كتاب الوقف ، فطلع خلوته في الشيخونية ، ليجيء بكتاب الوقف ، فشنق نفسه في الخلوة (الضوء اللامع 300/4).

وفي السنة 802، حارب محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري ،

بمصر ، الأمير يلبغا الأحمدي ، فلما انكسر يلبغا، نزل الي البحر، فغرق بفرسه . (بدائع الزهور 589/2/1).

وفي السنة 805 خرج ظاهر بن السلطان أحمد بن أوس علي أبيه، وحاربه ، وكسره ، فاستعان الأب بقرا يوسف ، فاعانه ، فانكسر ظاهر ، فاقتحم بفرسه دجلة، وغرق . (بدائع الزهور 673/2/1).

ولما قبض تيمورلنك ، علي السلطان بايزيد العثماني ، في السنة 800، صنع له قفصة من الحديد، ووضعه فيه ، وصار يدخل به المدن ، ويعجب عليه ، فما أطاق ذلك ، فابتلع فضا من حجر الماس، فمات وهو بالقفص الحديد (بدائع الزهور 660/2/1).

وفي السنة 873 حاصر السلطان حسن بك المعروف بأوزون حسن ، السلطان حسن علي ، صاحب أذربيجان ، فلما عرف حسن علي أنه مأخوذ ، عمد إلي سكين فذبح بها نفسه ، فمات منتحرة ، وتفصيل ذلك : إن جهان شاه ، لما قتل ، وسمعت امرأته بموته ، تحصنت في قلعة النجق ، وكان فيها جملة خزائن ، فأرسلت جملة منها إلي حسن بك ، أوزون حسن واستعجلته علي القدوم إلي قلعة النجق ، فوقعت الخزائن في يد حسن علي فقتل الرسل ، واستولي عليها ، وحاصر قلعة النجق ، وأغري حراس القلعة بأن يخامروا علي المرأة ، ففتحوا له أبواب القلعة ، وقبض علي امرأة أبيه ، فأخذها حسن علي معه إلي تبريز ، حيث صلبها بثدييها ، فاستمرت في العذاب ثلاثة أيام حتي ماتت ، ولما سمع حسن بك ، بما صنعه حسن علي ، وكان محاصرة بغداد ، ترك حصار بغداد ، وتوجه إلي تبريز ، فحاصرها ، وفي اثناء الحصار فر قائدان من قواد حسن علي الي حسن بك ، والقائدان شاه علي ، وإبراهيم شاه ، فقبض حسن علي علي أولادهما ونسائهما، فقتلهم جميعا ، كما قتل كل من كانت له علاقة بالقائدين ، ثم فر حسن علي من

تبريز إلي همدان ، فاتبعه حسن بك، ففر منه إلي جبل الوند ، فأرسل اليه من حصـره هناك ، فلما عرف حسن علي أنه مأخوذ ، أخرج سـكينا وذبح نفسه ، فمات ، وكانت مدة حكمه سـنة واحدة في التاريخ الغياثي 326- 331) وذكر صاحب التاريـخ الغياثي ، أن حسن علي هذا ، خلف أباه جهان شاه في حكم اذربيجان ، ففتـح الخزائن ، وبـذر الأموال ، وكان من الحماقة بمكان ، ومن جملة حماقاته أنه أمر أن لا تلبس النساء السراويل ، وإن من كان مقرون الحاجبين ، عليه أن يحلق ما بينهما من الشعر ليظهرا مفروقين ، وكان يجمع النساء عاريات، ويجلس بينهن ، ويعمـل مـا تطيب له نفسه ، ويهتـك ما يجب ستره (أي إنه يمارس الجنس بمحضـر منهن)، وكان يأمر البنات بالرقص عاريات ثم يختار واحدة منهن ، وكان يختار من بنات امرائه ، ويتزوج منهن عنوة ، بدون قيود ، ثم يتركهن إلي غيره .

وفي السنة 881 انتحر قانم قشـير نائب السلطنة بالإسكندرية ، بأن شنق نفسه ، وذلك لما كثر التشكي منه ، وطلب درداراه للتحقيق ، فانتحر (الضوء اللامع 200/6).

وفي السنة 905 إنتحر زين الدين خطاب بن محمد الكوكبي ، بأن شـنق نفسه بخلوته بالضـيائية ، وسبب ذلك إنه أحس بضعف، فحسب أنه سيموت ، فأوصـي بمبلغ من الذهب له كمية جيدة ، فلما برأ من مرضه ندم علي تصـرفه ، وانتحر بأن شـنق نفسه (شذرات الذهب 26/8 – 27).

وفي السنة 922 انتحر أبو الفتح محمد بن عبد الرحيم الواعظ المصري ، وكان انتحاره بالسم ، وسبب ذلك إنه تزوج امرأة زويلية ، فافتتن بها ، حتي باع كتبه ، وصـرف ثمنها عليها ، ثـم خالعها ، وندم ، وأراد مراجعتها، فأبت عليه إلا بخمسـين دينارا ، فلم يقدر إلا علي ثلاثين ، فبعث بالثلاثين اليها ، وبعث معها سما قات ، وقال : إن لـم تقبلي الثلاثين ، وإلا

شربت هذا السم ، فلم تقبل ، فشرب السم، ومات (شذرات الذهب 118/8)

وفي السنة 1010 انتحر عبد الرحمن بن عتيق الحضرمي ، وزير الشريف حسن أمير مكة ، بأن طعن نفسه بجنبية (خنجر) وهو في سجنه ، وكان عبد الرحمن قد تسلط علي المملكة في عهد الشريف حسن ، وظلم ، وجار ، وصادر ، واعتدي ، فلما توفي الشريف حسن ، وخلفه ولده أبو طالب، أمر باعتقال عبد الرحمن ، فاعتقل، ومكث في حبسه يومين، ثم طعن نفسه بالجنبية ، وشق بطنه فمات ، فألقي في درب جدة في حفرة صغيرة ، بلا غسل، ولا تكفين ، ولا صلاة ، ورمت عليه العامة الحجارة فوارته (خلاصة الأثر 361/2 - 362).

وفي السنة 1048 حاصر السلطان مراد الرابع العثماني، بغداد، وكان حاكمها الإيراني بكتاش خان ، فاستسلم ، وكتب الي اتباعه بالإستسلام و إخلاء بغداد ، ولكن المعركة استمرت ولم يبق له من جنده البالغ عددهم ثلاثين ألفا إلا ثلثمائة، فانتحر (تاريخ العراق للعزاوي 210/4 - 232).

وفي السنة 1056 انتحر أبو السعود بن أحمد الدمشقي المعروف بابن الكاتب ، بأن أكل سبعة دراهم من الأفيون ، فمات ولم يفد فيه علاج ، وكان سبب انتحاره أنه فشل في حبه فآثر الموت علي الحياة (خلاصة الاثر 118/1)

وفي السنة 1079 انتحر الشيخ مصطفي بن سعد الدين الجباوي الدمشقي ، بأن دخل إلي خلوته بالجامع الأموي ، وأقفل بابها ، وخلع ثيابه ، ووضع في عنقه حبلا ، وشنق نفسه (خلاصة الأثر 375/4).

وفي السنة 1110(1698 م) هاجم الجيش الهندوسي (الماهراتا) في الهند ، بعض ولايات السلطان أورنك زيب عالمگير محي الدين أعظم شاه ،

سلطان الهند ، فحاربهم القائد قاسم خان ، فانكسر جيشه ، وانتحر قاسم خان من أجل هزيمته . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 161 و162).

وفي السنة 1191 هجم عرب مصر علي الأمير ذي الفقاربك ، وعوه ، فهرب ، فلحقوا به وأردوا قتله ، فألقي بنفسه إلي البحر (النيل) بفرسه ، فغرق ، ومات منتحر (الجبرتي 504/1).

وفي السنة 1191 حصلت في حلوان بالقطر المصري ، معركة بين المماليك ، وانكسر أصحاب الأمير مراد بك، ونهب وطاقهم ، فما كان من الأمير محمد بك طبل ، إلا أن أقحم فرسه النهر (النيل) فغرق ، ومات منتحرة (الجبرتي 1/ 505) .

وفي السنة 1205 (1790 م) توفي الأمير محمد باشا المجاهد ، صاحب الجزائر ، فخلفه الخزناجي حسن ، فأصبح حسن باشا ، وبعد أن تمت بيعته ، أصدر أمره باعتقال علي أغا، الذي كان يزاحمه في طلب الولاية ، فاعتقل ، وحبس في مطهرة (حمام أو كنيف) ثم نقل إلي القلعة ، حيث وجد مذبوحة ، قيل إنه قتل نفسه ، وقيل إن حسن باشا أمر بقتله (مذكرات الزهار 51 و 52).

وفي السنة 1293 اتفق كبار رجال الدولة العثمانية ، وخلعوا السلطان عبد العزيز وبايعوا بدلاً ولي عهده مراد ، فأستخلف باسم السلطان مراد الخامس ، وبعد خلع عبد العزيز بستة أيام ، وجد في غرفته وقد فارقته الحياة ، وإلي جانبه مقراض قرض به شرايين ذراعه ، فمات منتحرة (اعيان القرن الثالث عشر 115). :

وفي السنة 1334 هـ (1929 م) انتحر عبد المحسن السعدون ، رئيس الوزراء في العراق ، إثر جلسة عاصفة في مجلس النواب ، ضايقه فيها بعض النواب ، واتهموه بالإهمال في العمل لما فيه مصلحة العراق ، والتساهل

في حقوق العراق تجاه الحكومة البريطانية التي كانت ذات تأثير قوي في أدارة الأمور بالعراق ، فانزعج ، وارتجل خطبة ، قال فيها : إن الإستقلال يؤخذ ولا يعطي ، وهو لا يؤخذ بالكلام ، وإنما يؤخذ بالحسام ، فأعتبر السفير البريطاني هذا القول ، تحريض علي الثورة ، وأعتبر صدوره في البرلمان ، من رئيس وزراء مسؤول ، خرقا للإتفاقيات المنعقدة بين العراق وبريطانيا ، وعنفه تعنيفة قاسية ، وكان عبد المحسن مرهف الحس ، عظيم الاعتداد بكرامته ، فأنتحر، بأن أطلق الرصاص علي قلبه ، وكنت إذ ذاك كاتبا في المجلس النيابي ، وتلميذا في كلية الحقوق ، وكنت حاضر خطبته الأخيرة في المجلس ، كما كنت من جملة من حضر تشييع جنازته من داره الشاطئية إلي حيث دفن في مقبرة الكيلاني ، وحضرت من بعد ذلك ، حفلة التأبين التي أقيمت له في جامع الكيلاني ، وحضرها عشرات ألوف من الناس .

وفي السنة 1378 (1958 م) انتحر رئيس وزراء العراق ، نوري السعيد، وكان قد آستتر لما حصل انقلاب الضباط بزعامة عبد الكريم قاسم ، فلما سمع بمقتل ولده الوحيد ، أراد أن يبارح بغداد ، وبارح مأواه في عباءة وحجاب ، وفي أحد الشوارع ، ظهر من تحت العباءة من ثيابه ، ما دل علي أنه رجل ، فلما حوصر، وأيس من الإفلات ، أطلق علي نفسه الرصاص ، فمات منتحرة . (اسرار مقتل العائلة المالكة في العراق 141).

وآخر من بلغنا خبر انتحاره ، ممن ساهم في حركة 14 تموز 1958 في العراق ، النقيب عبد الستار سبع العبوسي ، الذي قام بمذبحة قصر رحاب ببغداد ، حيث كان أول من وجه رشاشه إلي ساكني القصر أفراد العائلة المالكة ، وكانوا قد جمعوا في زاوية من زوايا حديقة القصر وضم إليهم خدمهم ، فقتلهم بأجمعهم ، وكان فيهم نساء وعجائز وأطفال ، وكان قد نقل إلي البصرة ، وذكر عن كيفية انتحاره إنه دخل إلي داره ، وأوصي أن يعدوا له

الغداء . ثم صـعد إلي حجرة في الطابق الثاني ، وأطلق علي نفسه الرصاص، فمات منتحرة . (أسـرار مقتل العائلة المالكة في العراق 126 - 132 و143).

ص: 122

انتحار الحيوان

الإنتحار غير مقصور علي الإنسان وحده ، وإنما شركه فيه الحيوان أيضا ، إذا طغي به الحزن علي فراق إلفه ، وما أكثر ما بلغنا من القصص عن انتحار الخيل حزنا علي فراق أصحابها .

وكان آخر هذه القصص ، ما قرأناه في صحيفة الأهرام ، في السبعينات ، عن حصان انتحر ، حزنا علي وفاة صاحبه البدوي ، وكانت أم الحصان قد ماتت بعد نتاجه بقليل ، فعني به صاحبه عناية عظيمة ، وقضي الحصان مع البدوي أربع سنوات ، ثم سقط البدوي مريضاً ، فكان الحصان يقف خارج خيمة صاحبه ، فلما مات البدوي ودفن ، تسلق الحصان ت ، وأبقي بنفسه إلي وهدة ، فمات .

وذكر محمد بن هارون ، أن أباه اشتري زوج بط ، ثم أخذ الذكر فذبحه ، فجعلت الأنثي تضطرب تحت المكتبة ، حتي كادت أن تقتل نفسها ، فرفع عنها المكبة ، فجاءت إلي حيث ذبح ذكرها ، فلم تزل تضطرب في دمائه حتي ماتت (مصارع العشاق 291/2) .

وحدثني السيد عبد الكريم بن الحاج عبد الحسين الأزري ، وهو سياسي عراقي مثقف ، أنه عندما كان تلميذا يطلب العلم في إحدي جامعات لندن ، كان قد اقتني كلبة ، فألفته ، ولما أراد العودة إلي بغداد ، بعد انتهاء

دراسته ، بعث بالكلية إلي المستشفي لقتلها ، فتعجبت من قوله وسألته عن السبب الذي دفعه إلي إسلامها للقتل ، فقال : إن هذا الجنس من الكلاب ، بألف صاحبه إلفة شديدة ، بحيث أنه أذا فارقه انقطع عن الطعام ، حتي يموت جوعا وحزنا ، فيكون تعجيل الأطباء بقتله رحمة له .

وذكر بعض أصحاب المعرفة بطبائع احيوان ، إن أجناس من الطيور ، تموت من الحزن ، إذا فقدت إلفها .

وكان للربيع بن بدر كلب قد رباه ، فلما مات الربيع ، ودفن ، جعل الكلب يتضرب علي قبره حتي مات .

وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية ، وكان يحسن صحبتها ، فلما مات عامر ، لزمت الكلاب قبره حتي ماتت عنده ، وتفرق عنه الأهل والأقارب (فضل الكلاب علي من لبس الثياب 10).

وروي الراوون قصة كلب انتحر من أجل سلامة صاحبه ، فقد ذكروا أن ملك من ملوك أرمينية ، كان له كلب رباه ، وكان لا يفارقه حيث كان ، وإذا كان وقت طعامه ، أطعم الكلب مما يأكل ، وخرج يوما إلي بعض متنزهاته ، وأوصي أن يكون ضمن ما يطعمه في ذلك اليوم ثريدة لبن ، وصنع الطباخ الثريدة ، واشتغل عنها ، فجاء أفعي ، وكرع من اللبن ، ومج في الثريدة من سمه ، والكلب رابض لا يقدر علي رده ، إذ لا حيلة للكلب في الأفعي ولا في الحية ، فلما قدم الملك ، كانت الثريدة أول ما قدم إليه ، ولمامد الملك يده إليها ، نبح الكلب ، فلم يفهم الملك عنه شيئا ، ورمي إليه من الثريدة شيئا ، فلم يقربه ، وألح الكلب في نباحه ، فضجر منه الملك ، وأمر بتنحيته ، فوثب الكلب إلي وسط المائدة ، وكرع من اللبن ، فسقط ميتأ، وعندئذ أدرك الملك أن كلبه قتل نفسه ، في سبيل سلامته (فضل الكلاب علي من لبس الثياب 16 – 18).

وسواء كانت القصة حقيقية أو مصنوعة ، فإن الكلب معروف بالوفاء والإخلاص ، ولذلك قال الشاعر البدوي ، في مدح أحد خلفاء بني العباس :

أنت كالكلب في حفاظك للود****وكالتيس في قراع الخطوب

وذكر صاحب المنتظم 280/8 أنه كانت للفقيه الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (376–465) فرس ، ركبها عشرين سنة ، ولم يركب غيرها ، فلما توفي ، عافت العلف بعد وفاته ، وتلفت بعد أسبوع .

الباب الثامن عشر : المثلة

اشارة

المثلة : بفتح الميم وضـمها وسكون الثاء ، في اللغة : التنكيل وفي الاصطلاح: التشويه، بقطع الأطراف، أو سمل العين، أو جدع الأنف، أو صلم الأذن ، أو جب الذكر ، وما أشبه ذلك ، وإنما سميت مثلة ، لأنها تنزل بالإنسان فتجعله مثالا يرتدع به غيره .

والمثلة محرمة في جميع الشـرائع والقوانين ، وقد نهي النبي صـلوات الله عليه ، عنها في مواطن عدة ، وكان إذا بعث سرية لقتال ، أوصاهم ، فقال : لا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليدة (العقد الفريد 128/1).

وكان أبو بكر الصديق ، يكرر الوصية علي أمراء جيوشه : أن لا يمثلوا ، ولا يخونوا ، ولا يغلوا ، ولا يغدروا ، ولا يقتلوا طفلا صغيرة ، ولا شيخا كبيرة ، ولا امرأة ، ولا راهب (الطبري 227/3).

وجيء اليه مرة ، برأس بنان ، بطريق الشام ، فأنكر ذلك ، وقال : أيسـتنون بفارس والروم ، لا يحمل إلي رأس ، وإنما يكتفي بالكتاب والخبر (تاريخ الخلفاء 99).

وبلغ أبا بكر أن عامله علي اليمامة ، عاقب مغنية غنت بهجو المسلمين ، بقطع يدها، وقلع ثنيتها ، فكتب إليه : إن كانت ممن يدعي الاسلام ، كان عليك أن تؤدبها بأدب وتعزير دون المثلة، وإن كانت ذمية ،

فلعمري أن ما صفحت عنه من الشرك ، أعظم ، وإياك والمثلة في الناس ، فإنها مأثم ومنفرة ، إلا في قصاص (تاريخ الخلفاء 97).

ومن وصية الفاروق عمر لسلمة بن قيس الأشجعي ، لما أمره علي جيش : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا (الطبري 187/4)

وكان أمير المؤمنين علي ، يأمر قواده في كل موطن يلقون فيه عدوا ، فيقول : لا تقاتلوا القوم حتي يبدءوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرة ، ولا تجهزوا علي جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلي رحال القوم ، فلا تهتكوا سترة ، ولا تدخلوا دارة إلا بإذن ، ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذي ، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم (الطبري 10/5 و11).

ولما جرح الإمام علي ، أوصي ولده الحسن ، وقال في آخر وصيته : واما عبد الرحمن – أي الذي قتله – فإن عشت فسأري فيه رأيي ، وإن مت ، فضربة بضربة ، ولا يمثلن به أحد، فإني سمعت رسول الله ينهي عن المثلة ، ولو بالكلب العقور .

وكان النبي صلوات الله عليه ، ينهي عن التحريش بين البهائم (البصائر والذخائر 257/1) وينهي عن اتخاذ شيء فيه الروح غرضا .

وكان من جملة الوصايا التي أوصي بها الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، عبد الرحمن بن نعيم ، عامله علي خراسان : لا تجر الشاة إلي مذبحها ، ولا تحد الشفرة علي رأس الذبيحة (الطبري 572/6).

وأورد الجاحظ في كتابه « البخلاء » بحث عمن يحتال للمثلة ببدنه ، ويتخذ من المثلة ببدنه ، أو ببدن ولده الطفل، وسيلة للحصول علي المال ، قال :

ومنهم من يحتال للصبي حين يولـد، بأن يعميه ، أو يجعله أعشم ، أو أعضـد ، ليسأل الناس به أهله ، وربما جاءت به أمه وأبوه ، ليتولي ذلك منه بالغرم الثقيل ، لأنه يصـير حينئـذ عقـدة وغلـة ، فأما أن يكتسـبا به ، وإما أن يكرياه بكراء معلوم ، وربما أكريا أولادهم ممن يمضـي إلي إفريقية ، فيسأل بهم الطريق أجمع ، بالمال العظيم ، فإن كان ثقة مليئة ، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفي؟ (البخلاء 49 و50).

وقـد قرأت ، وسـمعت ، أحـاديث كثيرة ، عن أشـخاص يحتـالون ، فيزمنون أنفسـهم ، بقطع أصـابعهم ، أو إتلاف إحـدي العينين ، بقصـد التخلص من الخدمة العسكرية ، وكان ذلك يحصل في عهد حكم العثمانيين للبلدان العربية ، لأن الذي كان يجند في ذلك الحين ، مصيره – في الغـالـب – الموت بعـد معانـاة أشـد ألوان العـذاب من الجوع والمرض وتقلبات الطقس من حر وبرد ، وكان البعض منهم يحتال علي الهيأة الفاحصـة بأدعاء الصـمم ، وفطن أعضاء الهيأة لهـذه الحيلة ، فإذا قدم عليهم المتصامم ، وجهوا إليه أسـئلة ، فيتظاهر بأنه لا يسـمع ، فيشـيرون إليه بأن يخرج متظاهرين أمامه بأنهم صـدقوا ادعاءه ، فإذا التفت ليخرج ، رموا علي حين فجأة ريالا مجيديا علي الأرض ، فيلتفت المتصامم بحركة عكسية ، وينكشف كذبه في ادعائه .

ويشتمل هذا الباب من المثلة ، علي ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ألوان من المثلة .

الفصل الثاني : المثلة بسحب الجثة .

الفصل الثالث : المثلة بصلب الجثة .

الفصل الأول: ألوان من المثلة

وأول مثلة ، حصلت في الإسلام ، جرت في موقعة أحد، فإن هند، أم معاوية ، والنسوة اللواتي معها ، مثلن بالقتلي من المسلمين ، فجدعن أنوفهم ، وصلمن آذانهم ، واتخذت هند منها خدمة وقلائد ، وبقرت هند بطن حمزة ، عم النبي صلوات الله عليه ، وأخرجت كبده ، فلاكتها ، ثم لفظتها (الاغاني 197/15).

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 271/4 و 12/15 : لما قتل حمزة عم النبي صلوات الله عليه ، جاءت إليه هند بنت عتبة ، أم معاوية بن أبي سفيان ، فمثلت به ، قطعت مذاكيره ، وجدعت أنفه ، وقطعت أذنيه ، ثم جعلت ذلك مسكتين (سوارين) ومعضدين (دملجين) وخدمتين (خلخالين) حتي قدمت بذلك مكة ، وأمرت نساء قريش ممن كن معها بالمثلة وبجدع أنوف وآذان من قتل من المسلمين في موقعة أحد ، فلم تبق آمرأة ، إلا وعليها معضدان ومسكتان وخدمتان .

أقول : وبذلك سميت هند ، آكلة الأكباد ، وكانت تعير بذلك ، ويعير به ابنها معاوية ، يقال له : ابن آكلة الأكباد ، راجع في هذا الكتاب ، الباب الأول والشتيمة ، الفصل الثالث و المعايرة » القسم الخامس «المعايرة بالأبوين» الفقرة ب « المعايرة بالام ».

ص: 131

أقول : ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد روي ثمامة بن أشرس أنه رأي قاصا يحدث الناس بمقتل حمزة ، فقال : ولما بقرت هند عن كبد حمزة ، استخرجتها ، ولاكتها، ولم تزدردها، فقال النبي صلوات الله عليه : لو از دردتها ما مستها النار ، ثم رفع القاض يديه إلي السماء ، وقال : اللهم أطعمنا من كبد حمزة . (العقد الفريد 156/6).

والظاهر إن معاوية بن أبي سفيان ، ورث عن والدته هذه الخصلة ، وهي الرغبة في المثلة ، بحيث اضطر عبد الله بن عامر بن كريز ، إلي أن يلقي عمامته علي جثة صديق له ، من أصحاب علي ، قتل في إحدي معارك صفين ، حماية له من أن يمثل به ، وذلك الصديق ، هو عبد الله بن بديل ، وكان قد هجم يضرب الناس بسيفه ، يريد معاوية ، وصمد نحوه ، فلما اقترب منه ، نادي معاوية أصحابه ، ويلكم ، الصخر والحجارة ، إذ عجزتم عن السلاح ، فرضخه الناس بالصخر والحجارة ، حتي اثخنوه ، فسقط ، فقتلوه ، فجاء معاوية وعبد الله بن عامر ، فوقفا عليه ، فألقي عبد الله بن عامر عمامته علي وجه عبد الله ، وترحم عليه ، وكان له أخاً صديقاً من قبل ، فقال معاوية : اكشفوا عن وجهه ، فقال عبد الله : لا والله ، لا يمثل به وفي روح ، فقال معاوية : اكشف عن وجهه ، فإنا لا نمثل به ، قد وهبناه لك (شرح نهج البلاغة 196/5 و197).

ومن المثلة قطع الرأس وحمله من موضع إلي موضع ، وأول رأس حمل في الاسلام ، رأس بنان الرومي ، بطريق الشام ، كان قائد الجيش الرومي الذي حارب المسلمين ، وقتل بنان في المعركة ، فقطع رأسه ، وحمل إلي أبي بكر الصديق ، فغضب ، وقال : أيستنون بفارس والروم ؟ لا يحمل إلي رأس ، وإنما يكتفي بالكتاب والخبر .

أما أول رأس حمل في الإسلام لرجل مسلم ، فهو رأس محمد بن أبي بكر الصديق ، أمير مصر ، قتله معاوية بن حديج بالاتفاق مع عمرو بن

العاص ، وحمل رأسه إلي معاوية بن أبي سفيان بدمشق .

وقد وصف المؤرخون كيفية قتله قالوا : في السنة 38 قتل محمد بن أبي بكر الصديق ، عامل الإمام علي علي مصر ، قتله معاوية بن حديج ، من أصحاب معاوية بن أبي سفيان ، أسره وقد كاد يموت عطشا ، فطلب محمد أن يسقي ماء ، فأبي عليه معاوية ، وقال له : لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدأ، حتي تسقي من الحميم والغساق ، أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك جوف حمار ثم أحرقك بالنار ، ثم قتله ، ووضعه في جيفة حمار ، ثم أحرقه ، وذكر بعض المؤرخين أن محمدا كان ما يزال حيا عندما أحرق في جوف الحمار ، وبعث معاوية بن حديج سليم مولاه ، بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر الي المدينة ، ومعه قميص محمد ، فدخل به دار عثمان ، فاجتمع آل عثمان من الرجال والنساء ، وأظهروا السرور بقتله ، وأمرت « أم المؤمنين » أم حبيبة بنت أبي سفيان ، بكبش فشوي ، وبعثت به إلي أم المؤمنين عائشة ، تقول لها : هكذا شوي أخوك ، فجزعت عائشة علي أخيها محمد جزعا شديدا ، وقنتت في دبر الصلاة ، تدعو علي معاوية وعمرو بن العاص ، وأخذت عيال محمد إليها ، ولم تأكل منذ ذلك الوقت شواء حتي توفيت ، ولما بلغ السيدة أسماء ، أم محمد، خبر قتل أبنها، وإنه أحرق بالنار ، قامت الي مسجدها تصلي ، وكظمت غيظها ، حتي شخب ثديها دما ، ولما بلغ معاوية خبر قتل محمد ، أظهر الفرح والسرور ، وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية ، فقال : جزعنا عليه علي قدر سرورهم ، وما جزعت علي هالك منذ دخلت هذه الحروب ، جزعي عليه ، كان لي ربيبة ، وكنت أعده ولدأ ، وكان بي برأ ، وكان ابن أخي ، فعلي مثله نحزن ، وعند الله نحتسبه ، ولما وافي معاوية بن حديج المدينة ، قامت إليه نائلة امرأة عثمان ، وقبلت رجلة ، وقالت له : بك أدركت ثاري من أبن الخثعمية ، تعني محمد بن أبي بكر (مروج الذهب 406/1 والولاة للكندي 30 و 31 وابن الأثير 357/3)

ولما قتل عبيد الله بن زياد ، عامل الكوفة ليزيد بن معاوية ، مسـلم بن عقيل ، في السنة 61 أمر بجثته فصلبت ، وأمر برأسه فقطع ، وبعث به إلي دمشق ، فكان أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم ، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلي دمشق (مروج الذهب 46/2) .

ومن أشـد ألوان المثلة إيلاما ، ما قام به قتله الحسين عليه السـلام ، في وقعة الطف ، إذ أوطؤا الخيل صدره وظهره ، ثم قطعوا رأسه ورؤوس أصحابه ، ونصبوها علي رؤوس الرماح ، إلي الكوفة ، ثم إلي دمشق ، وحمل معها نساء الحسين وبناته وأطفاله ، وتفصيل ذلك : إن الحسين لما ورد الطف ، في أثنين وسـبعين رجلا ، سـير إليه عبيـد الله بن زياد عمر بن سـعد في أربعة آلاف ، وكتب إليه : إذا قتلت حسـينا فأوطيء الخيل صدره وظهره ، فلما قتل الحسين وأصحابه ، انتدب عمر بن سعد منهم عشرة ، فداسوا بالخيل بدن الحسين ، حتي رضوا صدره وظهره ، وقطعت رؤوس القتلي ، وسـلبوا ما كان عليهم من الثياب ، وتركت جثهم عاريـة ، ومالوا علي ثقل الحسـين ، ومتاعه ، فنهبوه ، ومالوا علي النساء ، وكانت المرأة منهم تنازع ثوبها عن ظهرها ، حتي تغلب عليه ، فيذهب به منها ، وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلي ابن زياد من ساعته ، وأقام بعد المذبحة يومين ، ثم ارتحل إلي الكوفة ومعه رؤوس القتلي علي أطراف الرماح ، وحمل معه بنات الحسـين وأخواته ، ومن كان معه من الصبيان ، فاجتازوا بهن علي الحسـين وأصـحابه صـرعي ، فصاح النساء ، ولطمن خـدودهن ، ثم أدخلوا الرؤوس ومعها النساء والأطفال علي ابن زياد ، فأبـدي ابن زياد للنساء والأطفال من التشـفي والشـماتة ، ما لم يكن عجيباً من أصـله الـدنس ، وطينته الخبيثة ، فإنه خاطب النساء والأطفال بقوله : الحمـد لله الـذي فضـحكم ، وقتلكم ، وأكـذب أحـدوثتكم ، ثم وجه كلامه إلي حدي الفتيات ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قد شفي الله نفسي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ، فبكت الفتاة ،

وقالت له : لعمري لقد قتلت كهلي ، وأبرت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت ، ونصب عبيد الله بن زياد ، رأس الحسين بالكوفة ، وداروا به فيها ، ثم سرح رأس الحسين ، ورؤوس أصحابه ، مع نساء الحسين وبناته وأطفاله ألي يزيد بن معاوية بدمشق ، للتفصيل راجع الطبري 400/5-470 وابن الأثير 46/4 - 94 واليعقوبي 243/2 - 246 الاخبار الطوال 231 - 261 ومروج الذهب 41/2 - 47.

ولما قتل الحسين عليه السلام ، صعد عبيد الله بن زياد المنبر ، وقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب ، الحسين بن علي وشيعته ، فلم يفرغ من مقاله ، حتي وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقال له : يا ابن مرجانة ، إن الكذاب بن الكذاب هو أنت وأبوك ، والذي ولاك وأبوه ، فقال عبد الله بن زياد علي به ، فوثب فتية من الأزد ، فانتزعوه من الشرط ، وأخذوه إلي أهله ، فأرسل عبيد الله إليه من أتاه به ، فقتله ، وصلبه في السبخة (الطبري 458/5 و459).

ولما هلك يزيد بن معاوية ، خاف عبيدالله بن زياد علي نفسه بالبصرة ، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي ، فأجاره ، وأشخص معه من أوصله إلي مأمنه في الشام ، فلما خرج عبيدالله من البصرة ، استخلف عليها ، مسعود بن عمرو الأزدي ، فخرج إلي القصر فدخله ، فأبت عليه تميم ، فقال مسعود : استخلفني عبيد الله ولا أدع ذلك أبداً ، وصعد المنبر ، فدخلت المسجد عصابة فقتلت مسعود حسبته عبيدالله ، ومثلت به ، فاتهمت الأزد بني تميم ، واتهمت تميم الخوارج ، وأبت الأزد إلا أن يودي مسعود عشر ديات ، فتحملت تميم منها واحدة ، وتحمل الوسطاء التسع الباقيات ، وكان إصرار الأزد علي عشر ديات ، لأنهم وجدوا في مسعود مثلة . (أنساب الأشراف 2/4/ 98).

ولما قتل عبيد الله بن زياد ، إنصرف عمير بن الحباب السلمي ، وأخذ يغير علي كلب ، فأمرت كلب حميد بن حريث بن بحدل ، فلحق قوما من قيس ، كانوا مع عمير فقتلهم ، وقطع آذانهم ، ونظمها في خيط ، ومضي بها إلي الشام . (أنساب الاشراف 308/5 و 309).

وفي السنة 66 وقعت بالبصرة معركة بين أنصار المختار الثقفي ، وأنصار ابن الزبير ، فأصيب في المعركة سويد بن رئاب ، وعقبة بن عشيرة الشي ، قتله رجل من تميم ، وقتل التميمي ، فولغ أخو عقبة في دم التميمي وقال : ثأري (الطبري 68/6).

وكان خولي بن يزيد الاصبحي ، القادم برأس الحسين بعد قتله ، فبعث إليه المختار قائدين من قواده لإحضاره ، فاختبأ في مخرجه (الكنيف)، فطلبوه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري ، وأشارت بيدها إلي المخرج ، فدخلوا عليه ، فوجدوا علي رأسه قوصرة ، فأخرجوه ، وأقبل المختار حين بلغه أخذه ، فقتله إلي جانب منزله ، ثم أمر به فأحرق ، فلم يبرح حتي صار رمادا (انساب الاشراف 238/5)

وفي السنة 67 لما انتصر مصعب بن الزبير ، بالكوفة ، وقتل المختارين أبي عبيد الثقفي ، أمر بكف المختار فقطعت ، ثم سمرت بمسمار من حديد الي جنب المسجد ، فما زالت هناك ، حتي جاء الحجاج بن يوسف الثقفي أميرة علي العراق ، ونظر إليها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : كفت المختار ، فأمر بنزعها (الطبري 93/6 – 110).

وأمر مصعب ، فأحتر رأس المختار ، ووجه به إلي عبد الله بن الزبير ، فوافي حامله مكة بعد العشاء الآخرة ، فأتي المسجد ، وعبد الله يصلي ، فجلس الرسول ينتظره ، فلم يزل يصلي إلي وقت السحر، ثم انفتل من

صلاته ، فـدنا منه ، وناوله كتاب الفتح ، فقرأه ثم نادي غلامه ، وقال له : أمسـكه معك ، فقال له الرسول: يا أمير المؤمنين ، هذا الرأس معي ، قال : فما تريد ؟ قال : جائزتي ، قال : خذ الرأس الذي جئت به جائزتك ، فانصرف الرسول خائبة (الاخبار الطوال 308) .

وفي السنة 67 في المعركة بين البصـريين بقيادة المصـعب ، والكوفيين بقيادة قواد المختار ، قال معاوية بن قرة ، قاضـي البصرة: انتهيت إلي رجل من جنـد المختار ، فأدخلت سـنان الرمـح في عينيه ، فأخـذت أخضـخض عينه بسـنان الرمح ، فإن هؤلاء كانوا عندنا ، أحل دماء من الترك والديلم (الطبري 97/6)

وفي السنة 72 كتب عبد الملك بن مروان ، لعبد الله بن خازم ، أمير خراسان لابن الزبير ، وعرض عليه إمارة خراسان سـبع سنين ، إن بايعه وترك ابن الزبير ، فأبي ، فكتب عبـد الملك إلي بكيرين وشاح أمير مرو، يعرض عليه إمارة خراسان ، ويحرضه علي الخروج علي ابن خازم ، فخلع بكير ابن الزبير ، ودعا إلي عبـد الملك ، فأقبل إليه ابن خازم ، إلي مرو، وجرت بينها معركـة ، فقتل ابن خازم ، وحمل علي بغل ، وقد شدوا في مذاكيره حبلا وحجرة ، وعدلوه به علي البغل (الطبري 176/6 و 177).

ولمـا قتل المصـعب بن الزبير ، بعث عبـد الملك برأسه إلي الكوفـة ، ثم بعث به إلي عبـد العزيز بن مروان بمصـر ، فترحم عليه ، ورده إلي الشام ، فنصب بدمشق ، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام ، فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، زوجة عبد الملك ، أم ولده يزيد، وغسلته ، وطيبته ، ودفنته ، وقالت : أما رضـيتم بأن صـنعتم ما صـنعتم ، حتي تطوفوا به ، وتنصـبوه في المدن ، هذا بغي . (انساب الاشـراف 30/5 و351) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير ، في المعركة ، في السنة 73 ، تصرف

الحجاج بن يوسف الثقفي ، تصرف بادي الخزاية ، فقد جاء إلي مسجد الكعبة ، وبرك علي جثة عبد الله ، وقطع عنقه بيده ، فقد جبن عن مواجهته حيا ، فبادر باحتزاز رأسه ميتا . (العقد الفريد 418/4) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير في المعركة، وقتل معه جمع من انصاره منهم عبد الله بن صفوان ، بعث الحجاج برؤوسهم إلي المدينة ، فنصبوها للناس ، فجعلوا يقربون رأس ابن صفوان، إلي رأس ابن الزبير ، كأنه يساره ، ويلعبون بذلك . (العقد الفريد 416/4) .

ولما قاتل المهلب بن أبي صفرة ، الخوارج ، في يوم ستي وستبري ، وقتل رأس الخوارج عبيد الله بن بشير بن الماحوز ، أمر المهلب برأس ابن الماحوز فقطع ، ووجه بالرأس أحد الأزد إلي الحارث بن عبد الله ، عامل البصرة لابن الزبير ، فلما وصل الأزدي حامل الرأس ، إلي كربج (موضع قرب سوق الأهواز) لقيه أخوة عبيد الله ، وهم حبيب وعبد الملك وعلي ، بنو بشير بن الماحوز ، فقالوا له ما الخبر ؟ فقال لهم – وهو لا يعرفهم – قتل الله ابن الماحوز المارق ، وهذا رأسه معي ، فوثبوا عليه ، فقتلوه ، وأخذوا رأس أخيهم فدفنوه (شرح نهج البلاغة 158/4 و 159) .

وفي السنة 96 أراد قتيبة بن مسلم ، أمير حرسان وما وراء النهر ، أن يخلع سليمان بن عبدالملك ، فلم يجبه جنده إلي ذلك ، وحاربوه ، فقتلوه ، وقتلوا معه أحد عشر رجلا من بني مسلم ، منهم سبعة لصلب مسلم ، وأربعة من بني أبنائهم ، فأخذهم وكيع بن أبي سود وصلبهم ، وقطع رؤوسهم ، وحملها إلي دمشق ، فعرضت الرؤوس علي سليمان بن عبد الملك فأمر بدفنها (الطبري 518/6 و 519).

ولما حارب نصر بن سيار ، أمير خراسان ، جديع بن علي الكرماني الأزدي ، وقتل جديع في المعركة ، أخذه نصر وصلبه، وصلبه إلي جانبه سمكة (الطبري 370/7) .

وفي السنة 121 قتـل نصـر بن سـيار ، كور صول سـلطان الترك ، جـاء أتباعه بأبنيته فأحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وخـددوا وجوههم ، وطفقوا يبكون عليه ، فلما أمسـي نصـر ، وأراد الرحلة ، بعث إلي جثة كوصول بقارورة نفط ، وأشعل فيها النار ، لئلا يحملوا عظامه ، وكان ذلك أشد عليهم من قتله (الطبري 175/5) .

وفي السنة 121 سار نصر بن سيار ، عامل خراسان ، إلي الشاش ، فأغار عليه الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصـحابه ، فأمر نصـر بن سـيار ، فرمي رأس الأخرم بالمنجنيق ، إلي معسـكر الترك ، فلما رأوه ضـجوا ضـجة عظيمة ، ثم ارتحلوا منهزمين (الطبري 175/7)

وفي السنة 121 قتل عبد الملك بن قطن الفهري ، زياد بن عمرو اللخمي ، ومثل به بأن صلبه وصلب معه خنزيرة ، وفي السنة 123 قتل عبد الملك بن قطن ، وصلب وصلبوا معه علي يمينه خنزير وعلي يساره كلباً (نفح الطيب 19/1 - 20).

أقول : ولي عبد الملك بن قطن الفهري الأندلس في السـنة 114 وكان ظالمة جائرة ، وعزل في السـنة 119 بعقبة بن الحجاج، ثم وثب عبد الملك بعقبة في السنة 121 فخلعه واسـتقر موضـعه ، ولما هاج البربر بإفريقية ، وانتصروا علي الجند الأموي ، التجأ عامل إفريقية كلثوم بن عمرو القشـيري ومعه جنده ، إلي مدينة سبتة ، فحصره البربر فيها حصرا شديدا ، حتي أكلوا الكلاب والجلود ، فاستغاثوا بإخوانهم من عرب الأنـدلس ، فتناقل عنهم عامل الأندلس عبد الملك ، لخوفه علي سـلطانه منهم ، فأشـفق عليهم زياد بن عمرو اللخمي وأرسل اليهم مركبين مشـحونين ميرة، فأمسـكت الميرة أرماقهم ، فلما بلغ عبد الملك ما صـنعه زياد ، أحضـره ، وضـربه سـبعمائة سوط ، وسمل عينيه، ثم قتله ، وصلبه ، وصلب معه كلباً ، واتفق أن بربر الأندلس، لما

بلغهم انتصار بربر إفريقية ، انتفضوا علي العرب بالأندلس ، ونصبوا لهم إمامة ، وحاربوا ابن قطن ، فلما أحس ابن قطن بقوة البربر ، وخاف أن يلقي منهم ما لقي جند افريقية ، راسل الجند العرب المحصورين بسبتة ، واستعان بهم علي البربر في الأندلس ، وكان كلثوم عامل إفريقية ، قد مات ، فسارع بلج بن بشر القشيري، قائد الجند ، وسار بجنده لمعونة عبد الملك ، فلما وافوه أحسن إليهم ، وشرط عليهم أن يحاربوا البربر ، فإذا فرغوا من حربهم ، بارحوا الأندلس ، فأجابوه ، وعاهدوه علي ذلك ، وكان البربر في جموع عظيمة ، فقارعوهم ، وظفروا بالبربر ، واستأصلوهم ، وعادوا بغنائم عظيمة ، ولما طالبهم ابن قطن بالخروج من الأندلس ، تعللوا عليه ، وذكروه بما صنع بهم ، لما كانوا محصورين بسبتة ، وبما صنعه بالرجل الذي اغاثهم ، وانحاز إليهم جيش عبد الملك بن قطن ، فأخرجوا عبد الملك وهو شيخ كبير في التسعين ، كأن فرخ نعامة ، فقتلوه وصلبوه في السنة 123 علي رأس القنطرة ، بقرطبة ، وصلبوا عن يمينه خنزير، وعن يساره كلباً (نفح الطيب 22 -19/1)

وفي السنة 122 مثل يوسف بن عمر الثقفي ، عامل العراق للأمويين، بجثة الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين ، فقطع رأسه ، وصلب بدنه بالكناسة ، بالكوفة ، وكان هشام بن عبد الملك ، بعث زيدة إلي الكوفة ، فاجتمع الشيعة اليه ، وبايعه منهم أربعون ألفا ، وقالوا له : نحن نضرب عنك بأسيافنا ، وحلفوا له الأيمان المغلظة ، وجاء إليه مسلمة بن كهيل ، فقال الزيد : أنشدك الله ، كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفأ، قال : فكم بايع جدك ؟ قال : ثمانون ألفا ، قال : فكم بقي معه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدتك الله أنت خير أم جدك ؟ قال : جدي ، قال : فهذا القرن خير أم ذلك القرن ؟ قال : ذلك القرن، قال : أفتطمع أن يفي لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدك ؟ وكتب اليه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، يصده عن الخروج ، فلم يصغ إليه ، وأمر أصحابه بالإستعداد ، وألح يوسف بن عمر ، عامل العراق ،

في البحث عنه ، فخاف أن يؤخد ، وتعجل في خروجه ، فلما خرج كان مجموع من وافاه مائتين وثمانية عشر رجلا ، واشتبك مع جند الشام في عدة معارك ، في داخل الكوفة ، كان الظفر فيها له ، وحمل نابل بن فروة العبسي ، من أهل الشام ، علي نصر بن خزيمة ، من اصحاب زيد ، فضربه بالسيف فقطع فخذه ، وضربه نصر فقتله ، ولم يلبث نصر أن مات ، وحمي الوطيس فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري ، بين يدي زيد قتالا شديدا حتي قتل ، ثم رمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسري ، فثبت في دماغه ، فأحضروا له طبيبة ، فانتزع النصل ، فلما نزع منه النصل مات، فدفنه أصحابه في نهر يعقوب ، سكر أصحابه الماء ، ودفنوه، ثم أجروا الماء ، فدل يوسف علي قبره ، فاستخرجه ، وقطع رأسه ، وصلب بدنه بالكناسة ، هو ونصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق وزياد النهدي، وبعث الرأس الي هشام ، فعلق علي باب دمشق ، ثم أرسل إلي المدينة ، وبقي البدن مصلوبة ، إلي أن مات هشام ، وولي الوليد بن يزيد ، فأمر به فانزل وأحرق (ابن الأثير 229/5 ـ 247)

ولما قتل الوليد بن يزيد في السنة 126 ، أقبل أبو الأسد، مولي خالد القسري ، فسلخ من جلد الوليد قدر الكف ، وأخذها إلي يزيد بن خالد القسري ، وكان يزيد محبوسا في عسكر الوليد (الطبري 250/7).

ولما قتل الوليد ، احضر رأسه إلي خلفه ابن عمه ، يزيد بن الوليد ، فأمر بأن ينصب الرأس علي رمح ، وطافوا به في مدينة دمشق ، وأدخلوه في دار أبيه ، فصاح النساء وأهل البلد ، ثم ردوه إلي يزيد (الطبري 251/7 والعيون والحدائق 144/3).

ونبش عبدالله بن علي العباسي ، عم السفاح والمنصور ، قبور الموتي من بني أمية ، وقد وردت أخبار نبش هذه القبور في عدة كتب ، فجمعتها، ووحدتها ، وقد نبش قبر معاوية بن أبي سفيان ، فلم يجد فيه إلا خيطة مثل

الهباء ، ونبش قبر يزيـد بن معاويـة ، فوجد فيه عظمة واحدة ، ووجد في لحده خط أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان ، فلم يجد فيه إلا شؤون رأسه ، ونبش قبر الوليد بن عبد الملك ، فما وجد في قبره قليلا ولا كثيرا ، ونبش قبر سليمان بن عبد الملك ، فلم يجد فيه إلا صـلبه وأضـلاعه ورأسه ، فاحرقها ، وانتهي إلي قبر هشام بن عبد الملك ، فاستخرجه صحيحا ، ما فقد منه إلا خرمة أنفه ، فضـرب الجثـة ثمانين سوط ، ثم أحرقها ، ثم تتبع قبور بني أميـة في جميع البلدان ، فأحرق ما وجد فيها (ابن الأثير 5 / 430 والعيون والحدائق 206/3 – 207 ووفيات الأعيان 109/6 – 110 ومروج الذهب 163/2).

ولما فتـح عبـدالله بن علي العباسـي ، الشام ، نبشت قبور بني أميـة ، في دمشق وغيرها ، وأحرقت بالنار ، ولـم يبقوا علي غير قبر عمر بن عبد العزيز ، في دير سمعان ، اعتراف بفضله وتقواه (خطط الشام 173/1).

وكـان التتر الـذين اجتـاحوا البلاـد الإسـلامية في القرن السابع ، لا يكتفون بقتل من قاتلهم ، وإنما كانوا ينبشون قبور من دفن من الملوك ، ويحرقون رممهم ، صـنعوا ذلك برمة خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ، نبشوها من قبره بقلعة ازدهن وأحرقوها، وكذلك صنعوا برمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، فإنهم نبشوا قبره ، وأخرجوا عظامه وأحرقوها (تاريخ ابي الفدا 150/3).

ولما أراد المنصور أن يعقد لابنه المهدي احب ان تقول الشعراء في ذلك فانشده أبو نخيلة أرجوزة ، فوصله ، وهرب ابو نخيلة ، من عيسي بن موسـي وخرج يريـد خراسـان ، فجرد عيسـي خلفه ، مـولي له يقـال له : قطري ، ومعه عـدة من مـواليه ، فلحقه في طريق خراسـان ، وكتفه، وأضجعه، فلما وضع السكين علي أوداجه ، قال له : يا ابن اللحناء ، ألست القائل :

علقت معالقها وصر الجندب

ثم ذبحه وسلخ وجهه، وألقي جسمه الي النسور . (الأغاني 390/20 و422) .

واتهم المهدي ، صالح بن عبد القدوس ، الشاعر الحكيم ، بالزندقة، وضربه بالسيف ، بيده ، فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس ، ثم دفن (معجم الأدباء 268/4).

وفي السنة 169 بلغ الخليفة العباسي ، أن واضح بن عبدالله

المنصوري الخصي ، أمير مصر، أعان إدريس العلوي علي النفوذ الي المغرب ، فأحضر واضحاً إلي بغداد، وقتل وصلب. (النجوم الزاهرة 41/2)

ولما انتهت المعركة بين جيش الأمين بقيادة علي بن عيسي بن ماهان ، وجيش المأمون، بقيادة طاهر بن الحسين، وقتل علي بن عيسي بن ماهان ، وجيء برأسه إلي طاهر ، جاءوا من بعد ذلك بجثته ، محمولة علي خشبة علي حمار ، وقد شدت يداه إلي رجليه ، فأمر به طاهر، فلفت في لبد ، وألقي في بئر . (الطبري 394/8).

وفي السنة 214 دخل أبو اسحاق بن الرشيد (المعتصم) مصر ، وكان يليها لأخيه المأمون ، وبعث في طلب اثنين اشعلا فيها الفتنة ، فأحضرهما ، وهما عبدالله بن حليس ، وعبد السلام بن أبي الماضي ، فقيدهما، وسجنهما، وأقامهما للناس ، ثم قتلهما، وصلبهما فقال معلي الطائي ، يصف حالهما علي المشنقة : (الولاة للكندي 188- 189).

إن الحليسي غدا سابقا****في حلبة الجسرين قد قضبا

علي طمر ماله أرجل**** من صنعة النجار قد شبا

وليس يدري عند إلجامه**** من أثغر الطرف ومن لببا

مسمر الخلق أمون الشوي**** يأنف أن يأكل أو يشربا

ولو سري ليلته كلها****ما جاوز الجسر ولا قربا

لو كان من بعض نخيل القري**** كان أبو القاسم قد أرطبا

كسا أبو اسحاق أوداجه ****أبيض لا يعتب من أغضبا

وقد سقي عبد السلام الردي**** فكيف بالله إذا جربا

ولما قتل المأمون علي بن هشام في السنة 217، طيف برأس علي في العراق ، وخراسان ، والشام ، ومصر ، ثم ألقي في البحر (ابن الأثير 421/6)

أقول : راجع في الباب الحادي عشر من هذا الكتاب (القتل) ، الفصل الأول (القتل بالسيف) ، القسم الأول (القتل فتكأ)، قصة قتل علي بن هشام ، وقد أدرجنا ما ورد في الرقعة التي علقت عليه لما قتل ، توضح سبب قتله .

وكان العباس بن الفضل ، المعروف بابن بربر ، المقيم بصقلية ، كثير الغزو في البر والبحر ، وظفر أسطوله في إحدي المعارك البحرية مع الروم ، فاستولي علي مائة سفينة تحمل نجدات لمدينة سرقسطة ، وكان شديد الوطأة علي الروم ، وتوفي في السنة 247 في موضع قريب من مدينة سرقسطة ، فدفن حيث مات ، فنبش الروم قبره ، وأخرجوا جثته ، وأحرقوها (الاعلام 38/4)

وفي السنة 259 دخل يعقوب بن الليث الصفار ، نيسابور ، وحبس جميع آل طاهر ، وأرسل وفدا إلي الخليفة ببغداد يطلب ضم خراسان إلي عمله ، وبعث معهم رأسا علي قناة ، علقت عليه رقعة فيها : هذا رأس عدو الله عبد الرحمن الخارجي بهراة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث (الطبري 507/9).

وكان الزنج الثائرون ، اتباع الورزنيني، بالبطائح ، في العراق ، إذا

انتهت المعركة تقاسموا لحوم القتلي من خصومهم ، وتهادوها بينهم (الطبري494/9)

وفي يوم من أيام المعارك بين الجيش العباسي ، وأتباع صاحب الزنج ، أسر من الزنج بطهيثا، أحمد بن موسي بن البصري ، المعروف بالقلوص ، وكان من أجلاء قواد الزنج ، وكان مثخناً بالجراح ، فمات ، فأمر أبو أحمد باحتزاز رأسه ، ونصبه علي جسر واسط (شرح نهج البلاغة 176/8 - 177).

وفي إحدي المعارك بين الموفق أبي أحمد وبين صاحب الزنج ، قتل من الزنج خلق كثير ، وأسر منهم جماعة ، فأمر أبو العباس (المعتضد فيما بعد) فعلقت رؤوس المقتولين في الشذا (السفن الصغيرة) وصلب الأسري أحياء فيها ، واعترض بهم مدينتهم إرهابا لأصحابهم، واتصل بأبي أحمد أن صاحب الزنج موه علي أصحابه ، وقال لهم : إن هذه الرؤوس المعلقة في الشذا، هي مثل (تماثيل) وليست رؤوس قتلي ، فأمر أبو أحمد بالرؤوس فجمعت ، ورماها بالمنجنيق إلي صاحب الزنج ، فلما سقطت عندهم ، ورأي أصحابه رؤوس قتلاهم، علا بكاؤهم وصراخهم (شرح نهج البلاغة 189/8)

وفي إحدي المعارك مع صاحب الزنج ، جاء البشير إلي أبي أحمد ، بأن صاحب الزنج قد قتل ، ووافاه بشير آخر ، ومعه كف زعم أنها كفت صاحب الزنج ، ثم جاءه غلام من غلمان لؤلؤ ، يركض ومعه رأس صاحب الزنج ، فألقاه بين يديه ، فعرضه الموفق علي من كان حاضرا عنده من قواد الزنج المستأمنين ، فعرفوه ، وشهدوا أنه رأس صاحب الزنج ، فأمر برفع الرأس علي قناة ، ونصبه بين يديه ، ثم انصرف إلي الموفقية ورأس صاحب الزنج منصوب بين يديه علي قناة في شذاة ، وسليمان بن جامع ، والهمذاني ، من كبار قواد صاحب الزنج ، مصلوبين أحياء في شذاتين عن جانبيه ، حتي وافي قصره بالموفقية ، ثم بعث بالرأس مع ولده أبي العباس

(المعتضد) إلي بغداد ، فدخل المدينة ، ومعه رأس صاحب الزنج بين يديه علي قناة (شرح نهج البلاغة 210/8 - 212).

وفي السنة 272 كانت للزنـج حركـة بواسط ، وصاحوا : انكلاي يا منصور، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج ، وكان انكلاي وآخرون من كبار قواد صاحب الزنج وهم المهلبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخرون معهم من قواد الزنج محتبسين في دار محمد بن عبدالله بن طاهر بمدينة السـلام ، فكتب الموفق فيهم ، إلي فتح أن يوجه إليه برؤوس هؤلاء السـتة ، فدخل إليهم فتح ، فجعل يخرج الأول ، فالأول منهم ، فذبحهم غلام له ، وقلع رأس بالوعة في الدار ، وطرحت أجسادهم فيها، وسد رأسـها، ووجه برؤوسهم إلي الموفق ، ثم ورد كتاب من الموفق بصـلب جثثهم ، فأخرجوها من البالوعـة ، وقـد انتفخت ، وتغيرت روائحها، وتقشر بعض جلودها، فحملوا في المحامل ، وصـلب ثلاثة منهم في الجانب الشرقي، وثلاثة بالجانب الغربي ، وكان صلبهم بحضرة الأمير محمد بن طاهر وهو راكب . (الطبري 11/10).

وأنكر المعتضـد، أمرأ ، من أسود كـان يعمـل مع الصـناع ، فأحضـره ، وساءله ، فاعترف له بأنه كان يعمل في أتاتين الأجر (كور الطابوق)، واجتاز به رجل ، فوجده يحمل دنانير ، فأمسكه وكم فاه ورماه في نقرة الأتون ، وأخذ دنانيره ، فأمر به المعتضد، فضربت عنقه ، ورميت جثته في الأتون (الأذكياء 42).

وفي السنة 287 خرج العباس بن عمرو الغنوي علي رأس جيش من البصـرة لقتال القرامطة ، فلقيهم أبو سعيد القرمطي ، فاستأسر العباس ، وأسر من أصحابه سبعمائة رجل ، فلما كان من الغد أحضر الجنابي الأسري، فقتلهم جميعا ، ثم أمر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم ، ثم من علي العباس الغنوي ، وأطلقه وحده وبعثه برسالة إلي المعتضد. (الطبري 77/10 - 79).

أقول : للاطلاع علي القصة مفضلة ، وعلي الرسالة ، راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج 4 ص 130ـ 132 رقم القصة 62/4 .

وفي السنة 303 خرج الحسين بن حمدان علي المقتدر ، وقطع الحمل ، فحاربه مؤنس المظفر ، وأسره، وأدخله إلي بغداد مشهرة ، حيث أودع الحبس في دار الخلافة ، فتحرك أحد أولاد الحسين ، وجمع جمعاً ، وحاصر آمد، فأوقع به مستحفظها ، وقتله، وأنفذ رأسه إلي الحضرة (أي بغداد) (ابن الأثير 92/8 – 94).

وفي السنة 304 خرج علي السلطان ، خالد بن محمد المادرائي ، وكان يتولي الخراج بكرمان ، وسار منها إلي شيراز يريد التغلب علي فارس ، فخرج إليه بدر الحمامي ، فحاربه ، وقتله ، وحمل رأسه الي بغداد، وطيف به (ابن الأثير 106/8).

وفي السنة 309 لما قتل الحلاج ، ضرب ألف سوط ، ثم قطعت أطرافه ، ثم قطعت عنقه ، ثم أحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة (المنتظم 163/6)

وهويت جارية للوزير علي بن عيسي ، غلاما للشاعر أبي بكر بن العلاف الضرير ، ففطن بهما، فقتلا جميعا، وسلخا ، وحشيت جلودهما تبنأ ، فرثي ابن العلاف غلامه بقصيدته المشهورة ، وكني عنه بالهر، ومطلعها : (النجوم الزاهرة 230/3).

يا هر فارقتنا ولم تغير****وكنت متابمنزل الولد

وفي السنة 331 استقدم الأمير نوح الساماني ، محمد بن أحمد النسفي البردهي ، وكان قد طعن عليه عنده ، فقتله ، وصلبه ، فسرق من الجذع ، ولم يعلم من سرقه (ابن الأثير 404/8).

ص: 147

وفي السنة 336 قتل أبو يزيد مخلد بن كيداد نزناتي البربري ، الثائر بإفريقية ، وكان قد عظم أمره ، واستولي علي رقادة والقيروان وسوسة ، وحصر باغاية ، ثم تراجع، وحصر في قلعة كتامة ، ثم حمل الي المنصور جريحا ، فمات من جراحه ، فأمر المنصور فصنع له قفص ، وسلخ جلده ، وحشي تبنا ، وجعلوا معه قردين يلعبان عليه (ابن الأثير 422/8 - 441).

وفي السنة 341 دخل الأعراب إلي الجامع بالمحول ، وأخذوا ثياب الناس، ثم قصدوا الحارثية ، وقتلوا ونهبوا ، فأخذ شحنة العراق أكثرهم ، وقطع رؤوسهم، وبني بها قبة عند الجسر وجعل وجوههم ظاهرة ، ليعتبر بهم كل مفسد (تاريخ العراق للعزاوي 1/ 341).

وفي السنة 377 سار المنصور بن يوسف صاحب إفريقية ، إلي كتامة ، لأن داعية فاطمية جاء إليهم ، ودعاهم إلي محاربة المنصور ، فقابلهم في مدينة سطيف ، فاقتتلوا اقتتالا عظيما ، فانهزمت كتامة ، وهرب أبو الفهم ، الداعية الفاطمي إلي جبل وعر ، فيه قوم يقال لهم بنو إبراهيم ، فأرسل اليهم المنصور يتهددهم إن لم يسلموه ، فقالوا : هو ضيفنا، ولا نسلمه ، ولكن أرسل أنت فخذه ، ونحن لا نمنعه ، فأرسل فأخذه ، وضربه ضرب شديدا ، ثم قتله ، وسلخه ، وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه ، وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة (ابن الأثير 53/9 - 54).

وفي السنة 380 هاجم باد الكردي ، الموصل، ونشبت معركة بينه وبين الحمدانيين ، أصحاب الموصل ، فسقط باد عن فرسه ، وانكسرت ترقوته ، وقتل، فصلب الحمدانيون بدنه علي باب دار الإمارة بالموصل، فثار العامة بالموصل ، وقالوا : هذا رجل غاز فلا تحل المثلة به ، فحط، وكفن، وصلي عليه ، ودفن ، وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه شيء طريف (ابن الأثير 70/9 -71 وذيل تجارب الأمم 176-178).

ص: 148

وفي السنة 395 أمر الحاكم الفاطمي ، بالقاضي الحسين بن علي بن النعمان بن حيون وبأبي الطاهر المغازلي ، وبمؤذن القصر، فضربت أعناقهم ، وأحرقت جثهم عند باب الفتوح ، وكان سبب قتله القاضي أنه ملأ عينه ويده ، وشرط عليه أن يعفت عن أموال الناس، ثم وجد عليه خيانة ، فقتله ، (أخبار القضاة 599-596).

وفي السنة 402 قتل حباسة بن ماكسن الصنهاجي ، وكان شجاع)، بهمة من البهم ، في موقعة خارج قرطبة، بين البربر وبين الموالي العامريين ، ولما قتل احتوا رأسه ، وعجلوا به إلي قصر السلطان ، وأسلموا جسده للعامة ، فجروه في الطرقات والأسواق ، وقطعوا بعض أعضائه ، ثم أوقدوا له نارا ، وأحرقوه (الاحاطة 494- 495).

وفي السنة 414 في يوم النفر الأول بمكة ، وقد فرغ الإمام من الصلاة ، فنهض رجل من مصر، بأحدي يديه سيف مسلول ، وبالأخري دبوس، وقصد الحجر الأسود ، فضرب الحجر ثلاث مرات ، وهو يقول : إلي متي يعبد الحجر الأسود ؟ فثار به رجل فقتله بخنجر ، وقطعه الناس وأحرقوه ، وقتلوا ممن اتهم بمصاحبة جماعة، وأحرقوهم . (ابن الأثير 332/9 - 333) .

وفي السنة 451 قتل القائد التركي أرسلان البساسيري ، وقطع رأسه ، وحمل إلي دار السلطان ، فأمر بحمله إلي دار الخلافة ، فنظف ، وغسل ، وجعل علي قناة ، وطيف به ، وصلب قبالة باب النوبي ، وكان البساسيري من أعظم قواد الدولة العباسية في عهد القائم ، فأفسد بينه وبين الخليفة ، المدعو رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، فبارح البساسيري بغداد ، ثم دخلها فاتحة باسم المستنصر الخليفة الفاطمي ، ولما استولي البساسيري علي بغداد أحسن الي الناس ، وأجري الجرايات علي المتفقهة ، ولم يتعصب لمذهب ، علي خلاف رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي كان شديد التعصب علي الشيعة ، حتي إنه قتل بعضهم من أجل التشيع ، وأفرد البساسيري لوالدة القائم دار ،

وكانت قد قاربت التسعين . واعطاها جاريتين تخدمانها ، وأجري لها جراية ، فلما عاد السلطان طغرل بك الي بغداد سير جيوش لقتال البساسيري ، فقاتل حتي قتل ، وحمل رأسه إلي دار السلطان، فأمر بحمله إلي دار الخلافة ، فنظف، وغسل ، وجعل علي قناة ، وطيف به ، وصلب قبالة باب النوبي (ابن الأثير 640/9 -649).

ولما قتل الوزير نظام الملك في السنة 485 اتهم أصحابه تاج الملك ، مستوفي السلطان ، بأنه هو المحرض علي قتله ، وبينما كان تاج الملك يستعد ليكون وزيرة للسلطان ملكشاه خلفا لنظام الملك ، هجم عليه جماعة من أتباع نظام الملك ، فقتلوه ، وفضلوه أجزاء ، وحملت إلي بغداد إحدي أصابعه ، وكان عمره حين قتل سبعة وأربعين سنة (ابن الأثير 216/10).

وفي السنة 492 قتل أبو القاسم بن إمام الحرمين بنيسابور ، فاتهم العامة أبا البركات الثعلبي بأنه سعي في قتله ، فوثبوا به فقتلوه ، وأكلوا لحمه (ابن الأثير 291/10).

وفي السنة 500 فتح السلطان محمد السلجوقي قلعة شاه دز ، وعذب صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، بسلخ جلده وهو حي ، وقتل معه ولده ، وأمر بحمل رأسي الأب والإبن إلي بغداد (ابن الأثير 433/10 -434)

وفي السنة 529 وقعت بدايمرج ، معركة بين الخليفة المسترشد، والسلطان مسعود السلجوقي ، فأنكسر جيش المسترشد وأسر ، وأنزل في خيمة ، وغفل عنه حراسه ، فدخل عليه أربعة وعشرون رجلا ، قيل أنهم باطنية ، وقتلوه ، ووجد في جسده ما يزيد علي عشرين جرحا كما أنهم مثلوا به فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه ، وتركوه عريانا ، وقتلوا معه نفر من أصحابه . (ابن الأثير 27/11) .

وفي السنة 536 توفي إبراهيم السهاوي ، مقدم الإسماعيلية ، فأحرقه ولد عباس صاحب الري ، في تابوته (ابن الأثير 89/11).

وفي السنة 569 حصلت معركة بين جيش الخليفة ، وبين ابن سنكا، ابن أخي الأمير شملة ، صاحب خوزستان ، فظفر جيش الخليفة ، وأسر ابن سنكا، ثم قتل ، وحمل رأسه إلي بغداد ، فعلق بباب النوبي (ابن الأثير 409/11)

وفي السنة 574 كبس بالكرخ علي رجل يقال له أبو السعادات ابن قرايا ، كان ينشد علي الدكاكين ، وكان من الرفض (أي الشيعة) فأخذ، فقطع لسانه ، بكرة يوم الجمعة ، وقطعت يده ، ثم حط إلي الشط ليحمل إلي المارستان ، فضربه العوام بالأجر في الطريق ، فهرب إلي الشط ، فجعل يسبح وهم يضربونه حتي مات ، ثم أخرجوه وأحرقوه ، ورمي باقية إلي الماء (المنتظم 286/10).

وفي السنة 590 اشتبك خوارزم شاه علاء الدين تكش ، والسلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل بن ملكشاه السلجوقي ، في معركة عنيفة ، وكان طغرل شجاعة ، فحمل بنفسه في وسط عسكر خوارزم شاه، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه ، وقتلوه ، وحمل رأسه إلي خوارزم شاه ، فسيره الي بغداد ، حيث نصب بباب النوبي ، عدة أيام (ابن الأثير 107/12 و108).

وفي السنة 591 كان نائب الوزارة ببغداد مؤيد الدين ابن القصاب ، قد استولي علي خوزستان ، ثم سار منها إلي ميسان ، ثم استولي علي كرمان شاهان ، ثم همدان ، فخرقان ، فمزدغان ، فساوه ، فأوه ، واستقر في الري ، ثم توفي في همدان ، واشتبك جيشه مع جيش خوارزم شاه ، فأنكسر جيش الخليفة ، وعاد خوارزم شاه فملك همذان ، ونبش الوزير من قبره ، وقطع رأسه ، وسيره إلي خوارزم ، وأدعي أنه قتله في المعركة (ابن الأثير 112 – 108/12)

وفي السنة 603 اختلف شابان ببغداد ، وجري بينهما كلام بسبب امرأة مغنية ، فجرح احدهما الآخر ، وبقي المجروح ليلة ومات ، فقبض علي الجارح ، وأخذه أخو المجروح وجماعة من إنسبائه إلي قراح ابن رزين ، وقتلوه هناك ضربة بالسيوف ، ثم وطنوه بالخيل ، وبقي أربعة أيام ملقي ، لا يؤذن لأهله في دفنه (الجامع المختصر 199 ، 200).

وفي السنة 658 استولي التتار علي ميافارقين ، وقتلوا ملكها السلطان الملك الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل ، وقطعوا رأسه ، وحملوه علي رمح ، وطيف به البلاد ، ومروا به علي حلب وحماة ، ووصلوا به إلي دمشق ، فطافوا به بالمغاني والطبول ، وعلق الرأس في شبكة بسور باب الفراديس ، إلي أن عادت دمشق إلي المسلمين ، فدفن بمشهد الحسين (تاريخ ابي الفدا 203/3).

ورفع أحمد بن بقا الشربدار الواسطي ، علي الصاحب علاء الدين ، فحبسه ، ثم أشهره ، وفي آخر النهار قطع رأسه ، ووضع مكانه رأس معز بلحيته ، وطيف به، وأحرق العوام جنته ، ورفع رأسه علي خشبة ، وطيف به (الحوادث الجامعة 401).

وفي السنة 662 قبض ببغداد علي نجم الدين أحمد بن عمران الباجسري ، وأخرج مكتوفة راجلا إلي ظاهر بغداد ، حيث حوكم في خيمة هناك ، وقتل ، وأخذ ابن الدواتدار مرارته ، وطيف برأسه علي خشبة ، ونهبت داره (تاريخ العراق للعزاوي 247/1).

وكان مجد الملك ، قد رفع علي الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ، ثم تغير الحال بموت السلطان ، فأعتقل مجد الملك ، وسلم إلي الصاحب علاء الدين ، فتولي ابن أخيه شرف الدين هارون قتله ، وحملت أطرافه إلي البلاد ، وسلخ رأسه وحمل إلي بغداد ، وشوي الخربندية لحمه ، وأكلوا منه ، وشربوا الخمر في قحف رأسه (الحوادث الجامعة 419) .

وفي السنة 686 دخلت العرب في يوم جمعة إلي الجامع بالمحول ، فأخذوا ثياب كل من كان فيه ، ثم قصدوا ناحية الحارثية وكبسوها ليلا ، وأخذوا ما قدروا عليه ، وقتلوا جماعة من أهلها ، فلم يزل شحنة بغداد يفحص عنهم ، حتي ظفر بأكثرهم ، وضرب أعناقهم ، وبني رؤوسهم في قبة الجسر ، وجعل وجوههم ظاهرة ، ليعتبر بها كل مفسد (الحوادث الجامعة 452)

وفي السنة 693 ، في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حصلت بالقاهرة ، فتنة بين الأمراء ، وانتهت بقتل الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، وطيف برأسه في القاهرة ومصر ، وكان الرأس علي رمح ، وطاف به المشاعلية ، وجبوا عليه القاهرة ، ومصر ، والشوارع ، والأزقة ، والطرقات ، ويقال أن بعض أهل مصر ، دفع إلي المشاعلية جملة فضة ، حتي أخذ منهم الرأس ، ودخل به إلي بيته ، وضربه بالمداس ، وبعض الناس صفعوا الرأس في الطرقات ، وفعل الناس به ما أرادوا من ضرب وصفع وسب ، وكان مع المشاعلية برنية لتحصيل ما يجبي من الناس علي رأس الشجاعي ، وأن البرنية ملئت ثلاث مرات ، وكان سبب كره الناس للشجاعي ، لسوء أفعاله ، وظلمه ، ومصادراته ، وعسفه (تاريخ ابن الفرات 182/8 و 183).

وفي السنة 693 توجه شمس الدين محمد السكورجي ، إلي السلطان كي خاتو ، وأخبره بمظالم الأمير بايدو ، فغضب علي بايدو وأمر بحبسه ، ثم كلم فيه فأطلقه ، وفي السنة 694 قتل كيخاتو ، وتسلطن بايدو فكان أول ما فعله أن بعث أميرة إلي بغداد فقبض عي محمد السكورجي ، وأبيه ، وأخيه ، وعمه ، وجميع أهل بيته وأصحابه ، ونهب أموالهم وجميع ما في دورهم ، وحمل محمد إلي بايدو ، حيث قتل، وقطعت أعضاؤه ، وحمل رأسه ألي بغداد ، مع يديه ، وعلقت علي الجسر (تاريخ العراق للعزاوي 357/1 ،362 ، 364 ، 365)

ص: 153

وفي السنة 694 قتل فخر الدين مظفر بن الطراح ، من رجال العصر المغولي في العراق ، كان صدر واسط والبصرة ، ثم صدر الحلة والكوفة والسيب ، ثم قبض عليه ، وحبس في بغداد ، وقتل، وطيف برأسه في شوارع واسط ، وعلق علي جسرها . (الاعلام 163/8).

وفي السنة 702 كانت معركة بين جيش التاتار، وجيش السلطان محمد بن قلاوون ، صاحب مصر والشام ، وانكسر التاتار ، وقتل منهم كثير ، وجيء بالأسري إلي القاهرة ، وعددهم ألف وستمائة أسير، وقد علق في عنق كل واحد منهم ، رأس أحد القتلي من التتار ، كما حمل أمامهم ألف رأس علي ألف رمح ، وكانت طبولهم أمامهم مخرقة (النجوم الزاهرة 167/8).

وفي السنة 716 اتهم الوزير رشيد الدولة فضل الله ، وزير السلطان خربندا بأنه أساء تطبيب السلطان ، فأدي ذلك إلي موته ، فقتل الوزير ، وفصلت أعضاؤه ، وبعثوا إلي كل بلد بعضو ، وأحرقوا بقية جسده ، وحمل رأسه إلي تبريز ، ونودي عليه : هذا رأس اليهودي الملحد (الدرر الكامنة 315/3)

وولي السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، غياث الدين بهادور ، علي بورة ، وشرط عليه أن يصرف إليه ولده رهينة عنده ، فلم يبعث ولده ، فبعث إليه جيشا ، فقتلوه وسلخوا جلده ، وحشوه بالتبن ، وطافوا به في البلاد . (مهذب رحلة ابن بطوطة 96/2).

ولما قبض السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، علي الأمير بهاء الدين كشت اسب ، وهو إبن أخت السلطان تغلق ، والد محمد ، قتله ، وأمر فحشي جلده بالتبن ، وطيف به في البلاد . (مهذب رحلة ابن بطوطة 97/2 و98).

وفي السنة 748 توفي الأمير شجاع آغرلو ، من أمراء المماليك بمصر ،

ص: 154

وكان ظالمة، حتي إنه قتل في مدة أربعين يوما ، واحدة وثلاثين أميرة ، فاعتقل ، وقتل ، وقام الحرافيش في القاهرة ومصر ، بنبش قبره ، وأخرجوا جثته ، ومثلوا بها ، ونوعوا به المثلة والنكال ، فغضب السلطان ، وأمر الأوشاقية ، فقتلوا منهم ، وقطعوا ، فكان الأمير اغرلو مشؤومة في حياته وبعد مماته (الوافي بالوفيات 295/9 و296) .

وفي السنة 763 قتل السلطان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن فرج النصري ، صاحب غرناطة ، وكان قد لجأ إلي صاحب قشتالة ، فقتله ، وقتل أصحابه الثلثمائة، وقطع رؤوسهم ، وبعث بها إلي غرناطة ، حيث نصبت علي سور قلعة الحمراء (الاحاطة 406 - 412 و 531 - 540) .

وفي السنة 776 مثل بجثة الوزير الأديب الأريب الشاعر لسان الدين بن الخطيب ، إذ تآمر عليه خصومه في غرناطة ، ووافقهم صاحب المغرب ، فحبس ، وخنق في حبسه ، ثم أخذت جثته من الغد ، فأضرمت فيها النار ، فأحترق شعره وبشرته ، راجع التفصيل في هذا الكتاب في الباب الثاني عشر : القتل بكتم النفس ، الفصل الأول : القتل خنقا .

وفي السنة 861 دخل شخص إلي خيمة المولي علي المشعشع ، وحز رأسه ، وأخذت جثته، فسلخت ، وحشيت تبنا ، وأرسلت إلي بغداد ، وحمل الرأس إلي جهان شاه (تاريخ العراق للعزاوي 150/3) .

وفي السنة 803 أرسل تيمورلنك إلي أمير حلب ، رسولا ، وكان الأمير ودون نائب السلطنة بدمشق ، موجودة هناك ، فعمد إلي الرسول فقتله قبل أن يدلي برسالته ، وضرب رأسه علي رؤوس الأشهاد ، فلما بلغ تيمور أن رسوله قد قتل ، هاجم حلب ، واستولي عليها، وأسرف جيشه في قتل الرجال والنساء ، ولجأ كثير إلي المساجد، فقتلوا فيها، حتي صارت المساجد كالمجازر من كثرة القتلي ، وصارت الأرض لا توطأ إلا علي جثة

إنسـان ، وبني من رؤوس القتلي عشـرة مـآذن ، دور كل مأذنـة عشـرون ذراعا ، وصـعودها في الهواء مثل ذلك ، وجعلوا الوجوه فيها بارزة ، وتركوا أشلاء القتلي تنهشها الكلاب ، وكان عدة من قتل من أهل حلب ، نحوا من عشرين ألف إنسان ، هذا فضلا عمن هلك تحت الأرجل عند آقتحام أبواب المدينة ، أو من هلك من الجوع والعطش (اعلام النبلاء 494/2 – 498) .

وفي السنة 839 قتـل الأـمير عثمان بن قطلوبك التركماني ، صاحب دياربكر وآمـد وماردين ، ويعرف بقرايلوك ، وكان قتله أثناء اشـتباكه في معركـة مع الأمير اسـكندر بن قرايوسف ، وكانت المعركـة خارج أرز الروم (أرضـروم) فألقي قرايلوك بنفسه إلي الخنـدق ، فوقع علي حجر شدخ دماغه فمات ، فعمد إسـكندر إلي رأس قرايلوك ورأسـي ولديه ، ورؤوس ثلاثة من امرائه ، فقطعها ، وبعث بها إلي السـلطان الأشرف ، فطيف بها في القاهرة ، وعلقت علي باب زويلة ثلاثة أيام في الضوء اللامع 136/5).

وفي السنة 866 عقـد لحمزة بن غيث مجلس في بيت الدوادار ، حضـره القضاة ونظروافي التهم الموجهة إليه وهي أخذ الأموال ، وارتكاب المحرمات وضـرب الفضة الزغل ، فحكم القاضـي المالكي بقتله ، وأنفذ بقية القضاة الحكم ، وأودع المقشرة ، وسلخ جلده ، وحشي تبنأ ، وطيف به من الغد علي جمل بشوارع القاهرة ، وحمل إلي بلاد الريف ، وطيف به في القري والبلاد (الضوء اللامع 166/3).

وفي السنة 872 قتـل جهان شاه بن قرايوسف ، وخلفه ولـده حسن علي ، فظلم الناس ، وأساء التصـرف ، وقبض علي زوجـة أبيه فعلقها من ثـدييها حتي مـاتت ، فقصـده حسن بيـك ، واشـتبك معه في معركـة ، فأنفـل جيش حسن علي ، وفر إلي بـاكو ، ثم عثر عليه في جبال الوند بهمذان ، واعتقله أصحاب حسن بيك ، وأحس بما ينتظره فأنتحر بأن ذبح نفسه بموسي ، وعندئذ« قطعوا رأسه ، وقطعوا ذكره ، وحطوه في فمه ، وجاءوا

برأسه إلي حسن بيك ، وقطعوا جسده أربع قطع ، وعلقوها علي ابواب همدان ، علي كل باب قطعة (تاريخ الغياثي 380 و381) .

وفي السنة 926 عصر الأمير جان بردي الغزالي ، والي دمشق للعثمانيين ، علي السلطان ، فجهز السلطان سليمان إليه جيشأ حاربه بباب دمشق ، وانكسر جان بردي وقتل ، فجهز القائد التركي فرهاد باشا ، رأس الغزالي ، ومعه الف اذن من آذان القتلي إلي السلطان (خطط الشام 334/2)

وفي الشدة 986 كان العثمانيون قد استولوا علي تونس ، وتوغلوا في المغرب ، فأستنجد المتوكل أبو عبد الله محمد السعدي ، صاحب المغرب ، بالبرتغال ، ونشبت معركة بين العثمانيين من جهة ، وسلطان المغرب والبرتغال من جهة ، فانتصر العثمانيون إنتصارا مؤزرا ، وغرق المتوكل صاحب المغرب ، وسباستيان عظيم البرتغال ، في نهر وادي المخازن ، فأخرج المتوكل من الماء ، وسلخ جلده وحشي تبنا ، وطيف به في بلاد المغرب ، ولهذا لقبته العامة : المسلوخ (الاعلام 117/7).

وفي السنة 997 قتل بخاري ، شهاب الدين عبد الله بن محمود الخراساني الفقيه الامامي وجري قتله علي التشيع ، وأحرق جسده في ميدانها (الاعلام 4/ 279). .

وفي السنة 1151 وقعت معركة بين الجند العثماني بقيادة أحمد باشا، والي بغداد ، وبين عشيرة المنتفق بقيادة سعدون أمير المنتفق ، فقبض علي سعدون ، وقتل ، وقطع رأسه ، وحشي تبنا، ووضع في صندوق ، وأرسل إلي اسطنبول (تاريخ العراق للعزاوي 258/5).

وفي السنة 1206 هجم أهل حلب ، علي بطال أغانوري ، ومحمد اغا، وعلي عسكره ، فانهزم إلي خارج حلب ، وحصر عينتاب خمسة

أشهر ، وآل أمره إلي أن قتل ، وحمل رأسه ورؤوس أربعة وعشرين من العصاة إلي اصطنبول (خطط السام 9/3).

وفي السنة 1219 علقوا بالقاهرة ثلاثة رؤوس ، بباب زويلة ، لا يدري أحد من هم (الجبرتي 41/3) .

وفي السنة 1222 لما قتل جماعة من الجيش الإنكليزي ، بمدينة رشيد في الديار المصرية ، قطعوا آذان القتلي ، ودبغوها ، وملحوها ، ووضعوها في صندوق ، وسيروها إلي اصطنبول علي طريق الشام (الجبرتي 197/3 و198).

وفي السنة 1247 ثار أهل دمشق ، علي واليها محمد سليم باشا ، وحصروه في القلعة ، وقتلوه ، وقتلوا معه حاشيته ومنهم خاله ، وكخيته ، والسلحدار ، والقابجي ، والخزندار ، والمهردار ، وعروا جثتهم ، وحملوها إلي باب القلعة ، وألقوها علي الأرض ، ليراها الناس ، ثم قطعوا رأس الوالي ورأس خاله ، وداروا بهما ، ليعرضوهما علي الناس ويربحوا الدراهم ، فحطوا رأس الوزير علي درجة باب الكنيسة ، ولم يرفعوه حتي حضر شيخ حارة النصاري ، وأعطاهم دراهم ، فحملوه ، ووضعوه علي باب الدير الكبير ، وأخذوا منهم دراهم ، وهكذا لموا دراهم من حارات كثيرة (مذكرات تاريخية 31 و 32).

وفي السنة 1250 انتقضت طرابلس (الشام) علي حكم ابراهيم باشا ، ثم أخضعها ، وأمر فقتل من أعيانها ثلاثة عشر شخصا، وتركت جثثهم في الشوارع ثلاثة أيام (مذكرات تاريخية 14).

وفي السنة 1301 (1884 م) قتل أبو الاحرار مدحت باشا ، من العظماء المصلحين في العالم ، قتل خنقا في سجنه بالطائف ، وقطع رأسه ، ووضع في صندوق وحمل إلي السلطان عبد الحميد الثاني ، سلطان تركيا (مشاهير الشرق 1/ 480) .

الفصل الثاني: المثلة بسحب الجثث

ومن ألوان المثلة ، سحب جثث القتلي والموتي ، والبغداديون ، يسمونه : السحل .

وأول ما ظهرت هذه المثلة القبيحة بدمشق ، ثم انتقلت منها إلي بغداد .

ومما يبعث علي الأسي ، إن هذا اللون من المثلة ، مازال قسم من عامة بغداد يمارسونها .

وأول ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة ، ما صنع بيوسف بن عمر ، الذي كان أمير العراقين للوليد بن يزيد، فلما قتل الوليد ، هرب يوسف من العراق ، وورد البلقاء فاستخفي بها ، ولبس زي النساء ، وجلس بين نسائه ، وبلغ يزيد بن الوليد خبره ، فبعث اليه من وجده بهذا الزي بين نسائه ، فأخذ، وحبس ، بدمشق ، ولما ظهر أمر مروان بن الأموي ، الملقب بمروان الحمار ، عمد يزيد بن خالد القسري إلي السجن ، فأخرج يوسف بن عمر ، وقتله إنتقاما لأبيه خالد الذي قتله يوسف ، ولما قطعت عنق يوسف ، شدوا في رجله حب طويلا ، وجعل الصبيان يجرونه في شارع دمشق، فتمر به المرأة ، فتري جسدأ صغيرة ، وكان قصير القامة جدا ، فتقول : في أي شيء قتل هذا الصبي المسكين .

وقال بعضهم : رأيت يوسف بن عمر ، وفي مذاكيره حبل ، وهو يجر

في دمشق ، ثم رأيت بعـد ذلك ، يزيـد بن خالـد القسـري ، قاتله ، وفي مذاكيره حبل ، وهو يجر في ذلك الموضع (وفيات الأعيان 111/7 و112).

ولما قتل الأمين ببغداد ، في السنة 198 ، قطع رأسه ، وعلق علي حائط بسـتان ، وسـحبت جثته ببغداد ، وهي مربوطة بحبل (تاريخ الخلفاء 300) ، فقال في ذلك ابراهيم بن المهدي : (الطبري 498/8).

لم يكفه أن حر أوداجه**** ذبح الهدايا بمدي الجازر

حتي أتي بسحب أوصاله**** في شطن يفني مدي السائر

وفي السنة 201 قتل محمـد بن أبي خالـد، في معركـة بينه وبين جيش المأمون ، وكان زهير بن المسـيب ، أحد قواد المأمون ، محبوسا عند جعفر بن محمد بن أبي خالد ، فأخرج زهير من الحبس ، وذبح ، وطيف برأسه ، ثم أخذ جسده ، وربط في رجليه بحبل ، وطيف به في بغداد ، ومروا به علي دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة ، وطيف به في الكرخ ، ثم طرحوه ليلا في دجلة . (الطبري 548/8).

ولما بويع المستضيء ، في السنة 566 ، اسـتدعي ابن البلدي ، الذي كان وزيرا للمستنجد ، ليبايع ، فلما حضر ، عدل به إلي مكان ضربت فيه عنقه ، وأخرج ، فرمي علي مزبلة بباب المراتب ، ثم شحب وألقي في دجلة (الفخري 318 وابن الأثير 362/11).

وفي السنة 576 قبض علي ظهير الـدين بن العطار ، وزير الخليفة ، ووكل به في داره ، ثم نقل إلي التاج ، ووكل به ، وطولب ، ثم أخرج ميتا علي رأس حمال ، فغمز به بعض الناس ، فشار به العامـة ، فألقوه عن رأس الحمال ، وكشـفوا سوءته ، وشـدوا فيها حب، وسـحبوه في البلد ، وكانوا يضعون في يده مغرفة ، يعني أنها قلم ، وقد غمسوها في العذرة ، ويقولون :

وقع لنا يا مولانا ، إلي غير هذا من الأفعال الشنيعة (ابن الأثير 459/11 و460) .

وأضاف ابن الأثير إلي ما تقدم قوله : هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم ، وكفه عن أموالهم وأعراضهم.

وفي السنة 597 وثب أهل باب البصرة علي حامي محلتهم المعروف بابن الضراب ، فقتلوه ، وقتلوا معه أربعة نفر ، وسحبوهم ، ثم ألقوهم في دجلة ، فقبض حاجب باب النوبي الشريف أبو جعفر بن الناعم ، علي جماعة من أهل المحلة ، وعاقبهم، وألزمهم بمال قرره عليهم . (الجامع المختصر46).

وفي السنة 600 هلك ببغداد ، نائب الشرطة ، بباب النوبي ، بدار الخلافة ، واسمه ابو منصور بن الطحان ، وكان ظالما ، فلما صلي عليه بالمدرسة النظامية ، اجتمع خلق كثير ، واعلنوا بلعنه ، وهموا بسحبه . (الجامع المختصر 132).

وفي السنة 604 قتل ابو الغنائم ، نصر بن ساوا النصراني ، الناظر في أعمال دجيل ، وقطعت أطرافه ، وصلب ، ثم أنزل وسحبت جثته في محلات بغداد ، ثم أحرق . (الجامع المختصر 219- 220).

وفي السنة 681 أحضر ببغداد ، عبد يشوع ، ويعقوب ، وكانا قد رفعا علي الصاحب علاء الدين ، صاحب الديوان ، فطيف بهما في بغداد ، عريانين، والعوام يصفعونهم ، ويضربونهم بالأجر ، ثم قتلا بقية اليوم ، وجر العوام جثتيهما ، وأحرقوهما بباب قلاية النصاري (الحوادث الجامعة 422).

وفي السنة 690 قبض ببغداد ، علي مهذب الدولة ، أخي سعد الدولة الماشعيري ، وطولب بالأموال ، وضرب ، ثم طعن بالسكاكين والسيوف ، وكان في الديوان نجار ، فضربه بفأس ، عدة ضربات، ثم قطع إربا إربا ،

ص: 161

وتناهبه العوام ، وتعمم نقاط بمصرانه ، وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ، ثم أحرق بباب جامع الخليفة (جامع سوق الغزل ، وبابه من جهة المنارة التي ما زالت قائمة الي الآن)، وسلخ رأسه ، وحشي تبنأ ، وطيف به في جانبي بغداد ، وحمل إلي واسط ، وعلق علي جسرها . (تاريخ العراق للعزاوي 35/1)

وفي السنة 690 قتل من اليهود ، شاب يعرف بابن فلالة ، وقطعت أعضاؤه ، وشد العوام في سوءته حبلا ، وطافوا به سحبا في دروب بغداد . (الحوادث الجامعة 465).

وكان الأمير بهادر ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، واشترك في قتل ولده الملك الأشرف خليل سنة 693، فقتله مماليك الأشرف، هو والأمير جمال الدين آقوش ، ثم ربط في رجل كل واحد منهما حبل ، وجرا من دار النيابة بالقلعة الي المجارير بالكيمان . (خطط القريزي 67/2).

ولما عاد السلطان أبو العباس المريني ، في السنة 789 إلي سرير ملكه ، قبض علي ابن أبي عامر ، وكان يحقد عليه تصرفات أجراها معه ، بعد خلعه ، وكلمات صدرت عنه في حقه ، فاعتقله ، وامتحنه بالضرب بالسياط ، إلي أن مات تحت الضرب ، ولما حمل إلي داره ميتاً، وأخذ أهله في تجهيزه ليدفن ، أمر السلطان بأن يسحب في نواحي البلد ، فحمل من نعشه ، وربط في رجله حبل ، وسحب في سائر المدينة، ثم ألقي علي بعض المزابل (ابن خلدون 360/5).

وشكا الدمشقيون ، إلي الباب العالي في السلطان العثماني) ، من مظالم الدفتر دار فتحي افندي ، فأمر السلطان، فأحضر إلي اصطنبول ، فأخذ يمنح المنائح ، حتي أدخلوا علي السلطان شخصا آخر بدلا منه ، فأمر السلطان بقتله ، فقتل ، أما فتحي افندي فأعادوه إلي دمشق ، فعاد إلي ظلمه ، فعاودوا

الشكوي ، فورد الأمر بقطع رأسه ، فقطع رأسه ، وجرت جثته في شوارع المدينة ، وترك للكلاب تنهشه ، ومثل ببعض أعوانه ، وصودرت أمواله (خطط الشام 298/2).

وفي السنة 1250 هرب من سجن القلعة بدمشق ، شخص اسمه عبد المحسن ، وأخذ يقطع الطريق . فنصبوا عليه الأرصاد ، وحصروه في داره ، فراماهم، حتي أصيب، فأخرجوه جريحا من الدار ، وذبحوه، ثم ربطوا في رجله حبلا ، وسحبوه، حتي رموه أمام باب السراي ، وظل مطروحة يومين (مذكرات تاريخية 143).

ولما قتل الأمير عبد الاله ، في بغداد ، في حادث السنة 1958م قامت فئة من العامة بتسلم جثته ، وربطوها، بالحبل، وسحبوها ، ثم علقت أمام وزارة الدفاع ، ثم احرقت . (أسرار مقتل العائلة الحاكمة في العراق 134- 136).

وآخر ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة ، ما صنعه بعض أفراد من العامة ، ببغداد ، بجثة نوري السعيد، رئيس الوزراء بالعراق ، فإنه لما حصل أنقلاب السنة 1958 علي يد عبد الكريم قاسم ، أحد الضباط ، استتر نوري ، وبلغه خبر مقتل ولده الوحيد وهو مستتر ، ولما أوشك أن يعتقل ، انتحر، فتصدي قوم من العامة ، وربطوا في جثته حبلا ، وسحبوها في شوارع بغداد .

الفصل الثالث: المثلة بصلب الجثة

ومن ألوان المثلـة ، صـلب جثـة القتيل بعـد قتله ، وهـذا اللون من المثلـة ، يكاد يكون عاما في جميع الأوقات ، وفي جميع البلـدان، وكان المقصود بصـلب الجثـة ، أن يطلع الناس علي أن المصـلوب قد مات وانتهي ، لئلا تكثر بشأنه الأقاويل ، وتختلف في مصـيره الآراء ، ذلك لأن العامة ، ما دام لهم رأي في المقتول ، فهم يتصورون له مصيرا وفق أمانيهم ، كما حصل في موضوع الحلاج ، فإنه قتل ، وصلب ، وأحرق ، وذري رماده ، وحصل ذلك أمام عشرات الألوف من الناس، ولكن كثير منهم ، استقر في أذهانهم أنه لم يقتل ، وانما قتل شخص آخر غيره يشـبهه ، وأعجب من ذلك ، إن عبد الكريم قاسم ، الضابط الذي قام بانقلاب السنة 1958 في العراق ، قتل في السنة 1963 رميا بالرصاص ، وعرضت جثته علي شاشـة التلفزيون ، وبالرغم من ذلك ، فإن بعض العامة من الناس في بغداد ، كانوا إلي أمد قريب، علي قناعة تامة ، بأنه ما زال حيا ، وأنه شوهد في الوقت الفلاني ، في الموضع الفلاني.

وعلي أن المثلـة بصـلب الجثث ، أمر يـدل علي لؤم قـدرة ، وينبيء عن نقص في المروءة . فإن بعض المتسـلطين القساة ، زادوا في الطنبور نغمة ، وبالغوا في إظهار لؤم قدرتهم ، كما صـنع الحجاج ، بجثة عبدالله بن الزبير ، فإنه صـلب مع جثته جيفة كلب ، وكما صـنع مسلمة بن عبد الملك بيزيد بن

المهلب ، فإنه صـلب مع جثته جيفـة خنزير ، وفاق هؤلاء جميعا في التصـرف المخزي ، زياد بن أبيه ، فإنه كان يقتل النساء ويصـلبهن ولم يكتف بذلك ، فزاد بأن أخذ يصلبهن عاريات .

وكانت النساء تشترك في حروب الخوارج ، إلي أن قام زياد بصـلب المرأة عارية بعـد قتلها ، فلم تخرج النساء إلا بعـد زياد ، وكن إذا طولبن بالخروج قلن : لولا التعرية لسارعنا (العقد الفريد 1/ 221- 222).

وأسرت هذيل ، يوم الرجيع ، الأنصاريين خبيب بن عدي، وابن الدثنة ، فصلبوهما بالتنعيم .

وصلب عبيد الله بن زياد ، بسوق الكوفة ، مسلم بن عقيل ، وهاني بن عروة المرادي .

ولما اسـتباح مسـلم بن عقبة ، قائد الجيش الأموي ، المدينة ، وقتل رجالها ، خرج منها يريد مكة ، فمات في الطريق ، ودفن ، فخرجت إليه زوجة أحد قتلاه ، فنبشت قبره ، واحرقت جثته ، ومزقت أكفانه ، وعلقتها علي شجرة هناك ، فكان كل من يمر بالأكفان ، يرجمها بالحجارة . (الامامة والسياسة 9/2).

ولما قتل عبدالله بن الزبير ، بعث الحجاج برأسه إلي عبد الملك ، وصـلب جثته منكوسة ، وصل معه كلبأ ميتا (أنساب الأشـراف 368/5 - 369- 374 - 370)

وصلب يوسف بن عمر ، عامل هشام بن عبد الملك علي العراق ، زيد بن علي بن الحسين ، وبقي معلقا أربعة أعوام ، ثم أنزل وأحرق .

ويحيي بن زيد بن علي ، صلب بالجوزجان ، في أيام الوليد بن يزيد ، وأنزله أبو مسلم الخراساني ، وصلي عليه ، وواراه ، وأخذ كل من خرج إلي قتاله ، فقتله .

وصـلب مسلمة بن عبد الملك، يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، بجسر بابل ، وعلق معه خنزير وسمكة وزق خمر (الغيث المسجم 182/2).

ولما أخرج أبو محمـد بن عبـدالله بن يزيـد بن معاويـة ، من السـجن ، أمر بجثة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ، فصـلبت منكوسة علي باب الجابية بدمشق . (العقد الفريد 467/4).

وفي السنة 123 عبر بلج بجيش أموي ، إلي الأندلس ، فقبض علي عبد الملك بن قطن الفهري ، أمير الأندلس ، وصلبه بقرطبة ، وصلب معه كلباً وخنزيراً ، ذلك لأنه أراد الاسـتقلال بالأنـدلس ، وصـلب زياد بن عمرو اللخمي بعـد أن سـمله ، وصـلب عن يساره كلباً (نفح الطيب 19/3 – 21).

ولما بويع مروان الحمار ، وقدم دمشق ، نبش قبر يزيد بن الوليد وأخرجه من قبره وصلبه (العقد الفريد 466/4).

وفي السنة 129 حارب نصـر بن سـيار أمير خراسان ، جديع بن علي الكرماني ، فقتل جديع في المعركة ، فأخذه نصـر وصـلبه وصلب الي جانبه سمكة ، يعني أن جديع أزدي ، والأزد يعيرون بأنهم ملاحون . (الطبري 370/7)

وصلب مروان الحمار الأموي ، يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، علي باب الفراديس ، بدمشق (الغيث المسجم 182/2).

وحمل صالح بن عبد القدوس إلي المهدي ، متهما بالزندقة ، وساءله فتبرأ مما اتهم به ، فاستنشده ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

والشيخ لا يترك اخلاقه**** حتي يواري في ثري رمسه

إذا ارعوي عاد إلي غيه**** كذي الضني صار إلي نكسه

فقال : نحكم فيك بحكمك علي نفسك ، فأنت لا تترك أخلاقك ، ثم

أمر به فقتل وصلب علي الجسر . (وفيات الأعيان 492/2) .

ولما قتل الرشيد جعفر بن يحيي البرمكي ، أمر برأسه فنصب علي الجسر الأوسط ، وقطعت جثته إلي قطعتين ، صلب قطعة علي الجسر الأعلي ، وقطعة علي الجسر الأسفل . (الطبري 296/8).

أقول : كان في بغداد في ذلك العهد، ثلاثة جسور ، الجسر الأعلي ، وهو جسر الشماسية ، يربط بين الشماسية (الصليخ) في الجانب الشرقي ، والقطيعة الزبيدية في الجانب الغربي ، والجسر الأوسط ، ويربط بين باب الطاق (الصرافية في الجانب الشرقي وبين محلة البيمارستان العضدي (المنطقة) في الجانب الغربي ، وقد حل محله جسر الصرافية الحديد ، والجسر الأسفل ، وهو الجسر الذي يربط بين سوق الثلاثاء بالجانب الشرقي (منطقة المدرسة المستنصرية) وبين الجانب الغربي وقد حل محله الآن جسر المأمون .

وفي السنة 198 حصلت وقعة الربض بقرطبة، حيث كره القرطبيون الحكم الأموي ،، وثاروا عليه ، وحصروه في قصره ، فحاربهم ، فانهزموا ، وقتل منهم خلقا كثيرة ، وأسر منهم جماعة ، فاختار من الأسري ثلثمائة من وجوههم، فقتلهم، وصلبهم منكسين (ابن الأثير 299/6 – 300).

وفي السنة 221 أحضر امام المعتصم ، الثائر الفارسي بابك الخرمي ، فأمر به فقطعت أطرافه ، ثم قطع رأسه ، وصلبت جثته علي خشبة ، ثم أحرقت ، وسمي الموضع الذي صلبت جثته فيه « خشبة بابك » ، وأخذ عبد الله ، أخو بابك الي بغداد حيث قتل مثل قتلة أخيه ، وصلب بدنه علي الجسر ببغداد ، فقالت سكن ، جارية محمود الوراق : (المستطرف من أخبار الجواري 33).

كبابك وأخيه إذ سمالهما ****بباتر للشوي في الجيد خلاس

فذاك بالجسر نصب للعيون وذا**** بسر مرا علي سامي الذري راسي

ص: 168

للتفصيل في مقتل بابك ، راجع نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج 1 ص 147- 148 رقم القصة 74).

وفي السنة 224 أحضر أمام المعتصم الثائر الفارسي المازيار بن قارن ، صاحب طبرستان ، فضرب أربعمائة سوط ، فمات ، وصلب إلي جانب خشبة بابك (الطبري 100/9 و 104 وتجارب الأمم 516/6).

وفي السنة 252 خرج بالإسكندرية من أرض مصر ، جابر بن الوليد المدلجي ، وجمع جمعاً ، ولحق به أبو حرملة فرج النوبي، وكان رجلا فاتكاً، ثم أسر أبو حرملة ، وأدخل الفسطاط مع جماعة من الأسري ، وحبس ، ومات في الحبس ، وأخرج فصلب بالمصلي (الولاة للكندي 206- 209)

وفي السنة 317 لما خلع المقتدر ، ونصب أخوه القاهر ، انتقض امر القاهر بهجوم الرجالة علي الصحن التسعيني بدار الخلافة ، فصلبوا نازوك وعجيبا خادمه علي خشب الستارة . (التكملة 60).

وفي السنة 367 بعث عضد الدولة ، إلي بختيار ، يطالبه بتسليم ابن بقية ، فسمله بختيار ، ثم بعث به إلي عضد الدولة ، وسمل معه صاحبه المعروف بابن الراعي (تجارب الأمم 377/2) وحمل ابن بقية مسمو" إلي عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية ، فأشهر في العسكر علي جمل ، ثم طرح إلي الفيلة ، وأضربت عليه ، فقتلته شر قتلة، وصلب علي شاطيء دجلة ، علي رأس الجسر بالجانب الشرقي ثم نقل إلي الجانب الغربي . (ابن الأثير 689/8 وتجارب الأمم 380/2).

وفي السنة 368 حصر جيش عضد الدولة مدينة مبافارقين ، وفتحها بالأمان ، واستثني من الأمان قاضي البلدة وغلاما يعرف بابن الطبري ، كانا أثناء الحصار يسرفان في شتم عضد الدولة ، فلما أخذا ، ضربت رقبتاهما وصلبا علي البرج الذي كانا يظهران عليه ويشتمان (تجارب الأمم 390/2).

ص: 169

وفي السنة 381 حدثت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ ، وباب البصرة ، واستظهر أهل باب البصرة ، وخرقوا أعلام السلطان ، فقتل يومئذ جماعة اتهموا بفعل ذلك ، وصلبوا علي القنطرة . (المنتظم 163/7 -164).

وفي السنة 420 ورد رئيس العيارين أبو يعلي بن الموصلي، وكانت داره بدرب رياح ، ومعه جماعة من العيارين ، الي الكرخ، وأظهروا أنهم جاءوا الخدمة السلطان ، فثار بهم أهل الكرخ ، فقتلوا، وصلبوا (المنتظم 45/8).

وفي السنة 443 ظهر عيار يعرف بالطقطقي من أهل درزيجان، حضر ديوان الخلافة ، واستتيب وجري منه في معاملة أهل الكرخ ، وتتبعهم في المحال وقتلهم علي الأتصال، ما عظمت به البلوي ، فقطع رجلين وصلبهما علي حائط باب القلائين ، وقتل قبلهما ثلاثة وقطع رؤوسهم، ورمي بها إلي أهل الكرخ ، وقال : تغدوا برؤوس (باجة) ، ومضي إلي درب الزعفراني وطالب أهله بمائة ألف دينار (المنتظم 150/8). وفي السنة 444 كبس الطقطقي طاق الحراني ، وهو من محلات الكرخ ، وقتل رجلين، وقطع رأسيهما، وحملهما إلي القلائين، فنصبهما علي حائط المسجد المستجدا (المنتظم 154/8).

وفي السنة 448 تقدم رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وكان شديداً علي الشيعة ، إلي صاحب المعونة ببغداد ابن النسوي ، بقتل أبي عبدالله بن الجلاب ، شيخ البازين بباب الطاق ، بتهمة التظاهر بالرفض (أي التشيع) فقتله ، وصلبه علي باب دكانه (المنتظم 8/ 172 - 173).

وفي السنة 521 قبض الأمر الفاطمي ، بمصر ، علي وزيره الملقب بالمأمون وقتله وصلبه بظاهر القاهرة مع خمسة من أخوته . (وفيات الأعيان 299/5)

وفي السنة 530 قبض الراشد العباسي علي ابن الهاروني ، وتقدم إلي

أبي الكرم الوالي بقتله ، فقتل في الرحبة ، وصلب علي خشبة قصيرة، ومثل به العوام . (المنتظم 56/10).

ولما قتل أبو الغنائم نصر بن ساوا النصراني، الناظر في اعمال دجيل ، في السنة 604 بعد أن قطعت أطرافه ، صلب أولا ، وطيف به في محال بغداد مسحوباً، ثم أحرق . وكان سبب قتله أتهامه بأنه توصل في قتل الأمير تنامش بالسم. (الجامع المختصر 219-220).

وفي السنة 750 زور الأميران سيف الدين الجينبغا نائب السلطان في طرابلس الشام ، والأمير فخر الدين أياز ، أمرأ من سلطان مصر ، باعتقال نائب الشام أرغون شاه ، واعتقلاه بمعاونة الأمراء وقتلاه ، ثم ورد كتاب من سلطان مصر بانكار ذلك ، ومعه أمر بالقبض علي الأميرين الجينبغا وإياز وقتلهما توسيطاً ، فتجردت العساكر اليهما ، واعتقلا ، وأنزلا من القلعة ، إلي سوق الخيل ، ووشطوهما ، وعلقت أشلاؤهما علي الخشب بالحبال في البكر ، علي وادي بردا بسوق الخيل (الوافي بالوفيات 356/9 - 357).

وفي السنة 1227 (1812م) ثار محمد باي ، بوهران ، علي الحاج علي باشا ، أمير الجزائر ، فبعث إليه الأمير جيشا بقيادة عمر اغا، فقبض علي محمد باي وعذبه وقتله ، وسلخ جلدة رأسه ، وحشاها قطن ، وبعث بالرأس إلي الأمير في الجزائر ، فأمر بأن ينصب الرأس علي عمود بركز فوق باب البلد ، وظل هناك عدة سنين (مذكرات الزهار 107).

ولما تولي علي باشا ، إمارة الجزائر ، في السنة 1232، تحرك عليه العسكر فأخمد ثورتهم ، وقتل منهم جماعة ، ثم جعل له من بينهم جواسيس ، يتلقطون له الأخبار ، وقتل منهم خلقا كثيرا بيده ، ونفي بعضهم ، وأخرج منهم في يوم من الأيام بعثة، وجعل فيه كل من راه شيطانة ، ثم بعث في أثرهم من قام بتصفيتهم ، فمنهم من قتلوه ، ومنهم من نفوه ، ثم تحرك العسكر عليه مرة ثانية، ونادوا بخلعه ، وولوا شاوش الحملة (القائد) مكانه ،

ولكن القائد امتنع ، فأجبروه ، ونصبوا له وزراء ، فحاربهم علي باشا ، وانتصر عليهم ، فتفرقوا، وهربوا ، فمنهم من لحقه أتباع علي باشا، وقتلوه ، ومنهم من قبضوا عليه حيا ، وجاءوا به إلي علي باشا، فقتله بيده ، وكان لا يخلع سلاحه أبدأ ، ويحمل في وسطه سيف معلقا ومسدسين ، فإذا جيء له بتركي ، قتله بالمسدس ، وفي بعض الأحيان يجهز عليه بالسيف ، ثم يجره الزبانية لموضع البناء ، فيبنون عليه بالجدار (مذكرات الزهار 136 – 137).

وفي السنة 1242 (1826م) ثار السيد محمد التيجني ، في ضواحي وهران ، وجمع حوله العرب ، وأراد أن ينزع الملك من الترك ، فجرد اليه والي وهران جيشا ، وقتل التيجني وأتباعه في المعركة ، وبعثوا برأسه وسيفه إلي أمير الجزائر حسين باشا ، فأمر بأن يجعل الرأس علي عمود بركز قبالة الباب الجديد (مذكرات الزهار 159، 160).

وفي السنة 1365 (1945م) قتل في إيطاليا بنيتو موسوليني الملقب بالدوجي ، حكم ايطاليا اربعة وعشرين سنة، من 1922 إلي 1945 وعلق قتلته جثته منكسة من الرجلين ..

الباب التاسع عشر: المرأة

اشارة

جاء الإسلام بالعدل والرحمة ، والسلام والمودة ، وبرعاية خاصة للمرأة ، إذ منع من التعرض لها بأي لون من ألوان الأذي ، وكني النبي صلوات الله عليه ، عن النساء ، فقال : رفقا بالقوارير ، ومن أقواله : خيركم خيركم للنساء ، استوصوا بالنساء خيرة ، ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم .

وكان صلوات الله عليه ، إذا دخلت عليه ابنته فاطمة ، أخذ بيدها ورحب بها ، وأجلسها في مجلسه ، وإذا دخل عليها، قامت إليه ، ورحبت به ، وأخذت يده فقبلتها (العقد الفريد 231/3) .

وكانت وصيته صلوات الله عليه ، لكل سرية يبعث بها إلي الحرب : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا أمرأة ولا وليدا (العقد الفريد 128/1)

ولما جيء إلي النبي صلوات الله عليه ، بسفانة بنت حاتم الطائي ، قالت له : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تخلي عني ، ولا تشمت بي أحياء العرب ، فإن أبي سيد قومه ، كان يفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يطلب إليه طالب قط حاجه فرده ، أنا ابنة حاتم طيء ، فقال النبي

صلوات الله عليه : يـا جاريـة ، هـذه صـفة المؤمن ، لو كـان أبوك إسـلامية الترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق (خزانة الأدب 494/1) .

وخلفه أبو بكر الصديق ، فكان يوصي أمراء جيوشه : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة (الطبري 227/3) .

وخلفه عمر الفاروق، فكان إذا عقـد لأحـد من قواده ، لواء ، أوصاه قائلا : لا تعتـدوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا هرمـة ، ولا امرأة ، ولا وليـدا . (العقد الفريد 128/1).

وكان الإمام علي بن طالب يوصي قواده في كل موطن يلقون فيه عدو ، فيقول : لا تقاتلوا القوم حتي يبدأوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرة ، ولا تجهزوا علي جريـح ، ولا تكشـفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصـلتم ألي رحال القوم ، فلا تهتكوا ستره ، ولا تدخلوا دارة إلا بإذن ، ولا تأخذوا شـيئا من أموالهم إلا ما وجدتموه في معسـكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذي ، وإن شـتمن أعراضكم ، وسببن امراءكم وصلحاءكم (اسماء المغتالين 162 والامامة والسياسة 138/1).

ولما انتهت وقعة الجمل ، في السنة 36 ، أنزل الإمام علي ، عائشة ، في دار عبد الله بن خلف الخزاعي ، أعظم دار بالبصـرة ، ثم دخل عليها يزورها ، فرأته صـفية ابنـة الحارث زوجة عبد الله بن خلف ، وكان زوجها قد قتل في الوقعة مع عائشة ، وقتل أخوه عثمان مع علي ، فواجهته صفيـة مختمرة تبكي ، وقالت له : يا علي ، يا قاتل الأحبة ، يا مفرق الجمع ، أيتم الله بنيك منك ، فلم يرد عليها شـيئا سوي أنه قال لعائشة ، لما جلس عندها : جبهتنا صفية ، أما أني لم أرها منذ كانت جارية حتي اليوم .

وسـمع الإمام علي ، أحـد أصـحابه وهو يتوعـد صـفية ، فغضب ، وقال : صه ، لا تهتك سترة ، ولا تدخلين دارة ، ولا تهيج امرأة بأذي ، وإن شتمن أعراضـكم ، وسـفهن أمراءكم ، وصـلحاءكم ، فـإنهن ضـعاف ، ولقـد كنـا نـؤمر بـالكف عنهن، وإنهن لمشـركات ، فكيف إذن وهن مسـلمات ، وإن الرجل اليكافيء المرأة ، ويتناولها بالضرب ، فيعير بذلك عقبه من بعده ، فلا يبلغني عن أحمد أنه عرض لامرأة ، فأنكل به (الطبري 534/4 ، 539 ، 540 ، وابن الأثير 254/3 و 257/3).

وتعرض اثنان من الأزد للسـيدة عائشـة ، بعـد انتهاء حرب الجمل ، فقال لها أحدهما : جزيت عنا أمنا عقوقاً ، وقال الثاني : يا أمنا توبي لقد أخطأت ، فبلغ ذلك الإمام علي ، فضرب كل واحد منهما مائة سوط (الطبري 540/4 ، وابن الأثير 257/3).

لما قتل ابراهيم بن الاشتر، عبيدالله بن زياد، واحتوي علي ما في عسـكره ، بعثت إليه هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري ، امرأة عبيد الله بن زياد ، وشكت أليه انتهاب ما كان معها من مالها ، فقال لها : كم ذهب لك ؟ قالت : خمسون ألف درهـم ، فأمر لها بمائة ألف درهـم ، ووجه معها مائة فارس من عشيرتها يبذرقونها ، حتي أوصلوها إلي أبيها بالبصرة . (الأخبار الطوال 296) .

ودخلت بنت أسامة بن زيد ، علي الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فقام لها ، ومشي إليها ، ثم أجلسها في مجلسه ، وجلس بين يديها ، وما ترك لها حاجة إلا قضاها . (تاريخ الخلفاء 239).

ولما أسـر الإفشين بابك الخرمي ، أطلق من أسره كثير من الصبيان المسلمين ، والنساء المسلمات ، ولما نزل بابك أسير ، راه هؤلاء الأسري ، فلطموا علي وجوههم ، وصاحوا ، وبكوا ، حتي ارتفعت أصواتهم ، فقال

الهم الإفشين : أنتم بالأمس تقولون أسرنا ، واليوم تبكون عليه ، عليكم لعنة الله ، فقالوا : إنه كان يحسن إلينا (الطبري 50/9).

ولما فتح البساسيري بغداد في السنة 450 وأسر الخليفة القائم ، كتبت والدة الخليفة، إلي البساسيري من مكان كانت مستتر فيه ، رقعة تشرح فيها ما لحقها من الأذي ، والضرر ، والفقر ، حتي أن القوت يتعذر عليها، وهي جارية أرمنية ، قد ناهزت التسعين ، واحدودبت ، فأحضرها ، وأفرد لها دار في الحريم الطاهري ، وأعطاها جاريتين تخدمانها ، وأجري عليها في كل يوم أثني عشر رطلا خبزة ، وأربعة أرطال لحمة . (المنتظم 201/8).

هذه صفحة رائعة ، من مكارم الأخلاق ، تقابلها صفحة مروعة مخزية من تصرفات أوذيت فيها المرأة ، قتلا ، أو تعذيباً ، أو إهانة ، أورد منها علي سبيل المثال ، ثلاث صور ، الأولي : ما صنعه عبيد الله بن زياد ، فإنه أخذ عروة بن أدية ، أحد العباد الزهاد ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم صلبه ، ثم قطع رأسه وبعث به إلي ابنته ، فجاءت الفتاة وجثة أبيها مطروحة بين يدي ابن زياد ، لتأخذها فتدفنها ، فقال لها ابن زياد : أنت علي دينه ؟ فقالت له : كيف لا أكون علي دينه ، وما رأيت قط خيرا منه ، فأمر بها ابن زياد فقتلت مع أبيها (انساب الاشراف 88/2/4 و 89) ، والثانية ما صنعه شمر بن الجوشن في موقعة الطفت التي قتل فيها الإمام أبو عبد الله الحسين وأنصاره ، وكان من أنصاره رجل من كلب ، خاض المعركة دفاعا عن الحسين ، فسقط قتيلا ، فخرجت امرأته تمشي ، حتي جلست عند رأسه ، تمسح عن وجهه التراب ، وتقول : هنيئا لك الجنة ، فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمي رستم : اضرب رأسها بالعمود ، فضربها به فماتت مكانها (الطبري 438/5) والثالثة : ما صنعه المصعب بن الزبير ، لما انتصر علي المختار الثقفي وقتله ، فإنه أحضر زوجة المختار، وهي عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، وطالبها بأن تبرأ من زوجها ، فأبت ، وقالت متعجبة : كيف تبرأ

الحرة من زوجهـا ؟ فأمر بها فقتلت (الاغاني 228/9)، وأنا لا أعلق علي ما صـنعه عبيد الله بن زياد وشـمر بن ذي الجوشن ، فإنهما كلبان من الكلاب ، وما صـنعاه غير مسـتغرب لما جبلت عليه طينتهما الخبيثة وأصلهما الخسيس ، ولكني أعجب لما صنعه المصعب ، وقد كان من جبلة غير جبلة ذينك اللئيمين .

ولعبيد الله بن زياد ، مع المرأة ، موقف آخر يبعث علي التقرز والغثيان ، فإنه بعد أن قتل الحسين وأولاده ، وأهل بيته ، ومن كان معه، وجيء إليه برؤوسـهم ، وبنساء الحسـين وبناته وأطفاله سبايا ، وأدخلن عليه ، تحركت فيه جبلته الدنسة ، وطبيعته اللئيمة ، وخاطب النساء والأطفال قائلا لهم : الحمد لله الذي فضـحكم ، وقتلكم ، وأكذب أحدوثتكم ، ثم وجه كلامه إلي إحدي الفتيات الأسـيرات ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأهـل بيتـك ؟ قـد شـفي الله نفسـي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك ، فبكت ، وقالت له : لعمري ، لقـد قتلت كهلي ، وأبرت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت (الطبري 457/5) .

أقول : رحم الله الرصافي حيث قال :

دع الاناسي وانسبني لغيرهم**** إن شئت للشاء أو إن شئت للبقر

فإن في البشر الزاهي بخلقته**** من قد أنفت به أني من البشر

وقد أورد لنا المؤرخون تفصيل ما صنعه مصعب بن الزبير ، بعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، زوجة المختار ، فإنه بعد أن قتل زوجها ، أحضرها ، وقال لها : ما تقولين في المختار ؟.

فقالت : ما علمته إلا مسلما .

فحبسـها ، وكتب إلي أخيه عبد الله ، فأمره بقتلها ، فأخرجها إلي ما بين الحيرة والكوفة ، وأمر رجلا من الشرط ، اسمه مطر ، فضربها بالسيف ،

ثلاث ضربات ، وهي تصيح : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه .

فرفع رجل يده ولطم مطر ، وقال له : با اين الزانية ، عذبتها ، فقطعت نفسـها. وتشحطت عمرة ، وماتت . (أنساب الاشراف 263/5 و 264 ، والطبري 112/6 والاخبار الطوال 309 والاغاني 228/9 وتاريخ الكوفة 307 و 308 وتاريخ اليعقوبي 264/2).

ولما قتل مصعب بن الزبير ، عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري ، زوجة المختار بن أبي عبيد، أنكر الناس ذلك عليه ، وأعظموه ، لأنه أتي بماني رسول الله صلوات الله عليه عنه في نساء المشركين ، فكيف بالمسلمة ، فقال عمر بن أبي ربيعة : (العقد الفريد 118/6).

إن من أعظم الكبائر عندي**** قتل حسناء غادة عطبول

قتلت باطلا علي غير ذنب**** إن لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا**** وعلي الغانيات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : (الطبري 113/6) .

أتي راكب بالأمر ذي النبأ العجب****بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب

بقتل فتاة ذات دل ستيرة****مهذبة الأخلاق والخيم والنسب

فلا هنأت آل الزبير معيشة****وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

كأنهم إذ أبرزوها وقطعت ****بأسيافهم فازوا بمملكة العرب

وقد أفردت الأخبار المتعلقة بتعذيب المرأة في هذا الباب ، وقسمته إلي خمسة عشر فصلا :

الفصل الأول : أول من عذب النساء في الإسلام .

الفصل الثاني : قتل المرأة بالسيف .

الفصل الثالث : قتل المرأة خنقاً .

الفصل الرابع : قتل المرأة شنقا .

الفصل الخامس : ألوان أخري من القتل .

الفصل السادس : الخوارج والمرأة .

الفصل السابع : تعذيب المرأة بالنار .

الفصل الثامن : تعذيب المرأة بقطع الأطراف والتعرض للجوارح .

الفصل التاسع : ألوان أخري من العذاب .

الفصل العاشر : تعذيب المرأة بالتعرض للعورة .

الفصل الحادي عشر : تعذيب المرأة بالاسترقاق .

الفصل الثاني عشر : تعذيب المرأة بالضرب .

الفصل الثالث عشر : تعذيب المرأة بالحبس .

الفصل الرابع عشر : إشهار النساء .

الفصل الخامس عشر : انتحار المرأة .

ص: 179

الفصل الأول: أول من عذب النساء في الاسلام

وأول من عذب النساء في الإسلام معاوية بن أبي سفيان ، فإنه لما صالح الحسن ، اشترط علي نفسه أن لا يؤاخذ أحد من أصحاب علي ، بما كـان منه قبـل المصالحـة ، فلمـا تمكن ، واسـتتب له الأـمر ، تتبع من كان من أنصار علي ، ففر منه عمرو بن الحمق الخزاعي ، فأذكي عليه العيون والأرصاد ، واعتقل امرأته ، وحبسـها في سـجن بـدمشق ، ثم أمسك بعمرو ، فقتله ، وقطع رأسه ، وأمر أحـد أعوانه ، بأن يـدخل علي المرأة في سجنها ، وأن يضع رأس زوجها في حجرها (بلاغات النساء 64 والديارات 179 و180).

وكان النعمان بن بشـير الأنصاري ، علي حمص ، وكان قد بايع لابن الزبير ، فلما بلغه خبر واقعة مرج راهط ، خرج من حمص مع أهله يريد المدينة ، وأصـبح أهل حمص ، فطلبه أحد الكلاعيين يقال له عمرو بن الخلي ، ومعه غوغاء ، فلحقوه ، فقتلوه سنة 65 وألقوا برأسه في حجر ابنته أم أبان بنت النعمان ، فقالت نائلة زوجة النعمان : ألقوا الرأس إلي ، فأنا أحق به ، فألقي في حجرها (انساب الاشراف 147/5).

وسار هشام بن عبد الملك ، علي ستة معاوية بن أبي سفيان ، في وضع الرأس المقطوعة ، في حجر المرأة المفجوعة ، أذ أمر برأس الإمام زيد بن

علي بن الحسين ، فوضع في حجر والدته ربطه بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية .

فقابـل عـامر بن اسـماعيل ، قائـد الجيش العباسـي ، ذلـك ، بأن أمر أن يوضع رأس مروان الحمار ، آخر الحكام الأمويين ، في حجر ابنته (بلاغات النساء 145) .

ولما قتل المستعين العباسي ، أمر المعتز فوضع رأسه ، بين يدي جاريته التي كان يتحظاهار الديارات 170).

وفي السنة 459 قتل القائد الحبشـي سـعيد بن نجاح الأحول ، علي بن محمد الصـليحي صاحب اليمن ، وأسـر زوجته السيدة أسماء بنت شهاب الصـليحية ، وعذبها بأن أركبها في هودج ، وجعل أمام الهودج رأس زوجها ، ورأس أخ لزوجها قتل معه ، وبقيت الملكة أسـماء في أسـر الأحول سنة كاملة في زبيد ، ورأس زوجها ، ورأس أخيه ، معلقان أمام طاقة دارها ، ثم أنقذها ولدها من الأسر . (أعلام النساء 421/1 و 422) .

وفي النساء 543 قتل الحافظ الفاطمي ، وزيره رضوان ، وبعث برأسه إلي زوجـة رضوان ، فوضع في حجرها ، فقالت : هكذا يكون الرجال (ابن الاثير 49/11) .

الفصل الثاني: قتل المرأة بالسيف

كان القتل بالسيف ، مقصورة علي الرجال ، ولذلك ، فإن مصعب بن الزبير ، لما قتل عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، بالسيف ، أنكر الناس ذلك وأعظموه وأعتبره عمر بن أبي ربيعة المخزومي و من أكبر الكبائر » ، ولما قتلت جارية ببغداد ، في السنة 549 سيدتها، ذكر ابن الجوزي في المنتظم 159/10 أنها أخرجت إلي الرحبة ، وقتلت « كما يقتل الرجال ،، أي أن عنقها قطع بالسيف ، مما يدل علي أن قتل المرأة بالسيف كان منكرة عند الناس.

إلا أن التاريخ سجل لنا أسماء أشخاص ، فاضت فيهم القسوة ، فمارسوا أعمال قتل النساء ، منهم زياد بن أبيه ، وابنه عبيد الله ، فحازا بذلك لعنة التاريخ علي كر الزمان .

ويروي لنا التاريخ ، أن زياد بن أبيه ، قتل عددا من النساء كالشجاء ، وحمادة الصفرية (الحيوان للجاحظ 589/5 و590) أخذ الشجاء ، فقطع يديها ورجليها، ثم قتلها (الحيوان 589/5) ، ولم يكتف بقطع الأطراف والقتل ، فدفعته القسوة إلي صلبهن عاريات (العقد الفريد 221/1 و222) . وكان يشتمهن ، عندما يباشر قتلهن ، فكن يجنبه إجابات جارحة .

قال زياد لامرأة من الخوارج، وقد أمر بقتلها: أما والله، لأحصدنكم حصدأ ، ولأفنينكم عذأ ، فقالت له : كلا ، والله ، إن القتل ليزرعنا ، فلما

هم بقتلها، تسترت بثوبها ، فقال لها : أتتسترين وقـد هتك الله سترك ، وأهلك قومك ؟ فقالت : إي والله ، أتستر ، ولكن الله أبدي عورة أمك علي السانك ، أذ أقررت بأن أبا سفيان زني بها ، ثم قتلت (بلاغات النساء 143)

وولي بعـد زياد ، ولده عبيد الله ، فكان مثلا لوالده ، في القسوة والفسولة والبغي ، فقد أخذ عبيد الله بن زياد ، عروة بن أدية ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أمر أن يصـلب علي باب داره ، فصلب ، ثم قطع رأسه ، وبعث به إلي ابنته ، فجاءت الإبنة وجثة أبيها مطر وحة بين يدي ابن زيـاد ، لتأخـذها فتـدفنها ، فقال لها ابن زياد : أنت علي دينه ؟ فقالت : كيف لا أكون علي دينه ، وما رأيت قط خيراً منه ، فأمر بها فقتلت مع أبيها . (انساب الاشراف 88/2/4 و89).

وكان عبيـد الله بن زياد ، يتلـذذ بتعذيب النساء ، وقطع أطرافهن بمحضـر منه ، وقد جيء إليه بأمرأة ، فقطع رجلها ، وقال لها : كيف ترين ؟ فقالت : إن في الفكر في هول المطلع ، لشـغلا عن حديدتكم هذه ، ثم أمر فقطعت رجلها الأخري ، وجذبت ، فوضعت يدها علي فرجها ، فقال : لتسترينه ، فقالت له : لكن سمية أمك ، لم تكن تستره (بلاغات النساء 134).

وقتل عبيد الله بن زياد ، الدلجاء من بني حرام بن يربوع . وكانت من مجتهدات الخوارج ، فلما طلبها ليقتلها ، قيل لها : إن الله قد وسع علي المؤمنين في التقيـة ، فاسـتتري ، فأبت ، فوجه إليها عبيد الله ، فأحضـرها، وقطع يديها ، ورجليها، وطرحها في وسط السوق . (اعلام النساء 119/1).

وفي السنة 72 بعث خالد بن عبد الله بن أسيد، أمير البصرة لعبد الملك بن مروان ، أخاه عبد العزيز لقتال الخوارج ، فالتحم جنده بجند

الخوارج يقودهم صالح بن مخراف ، وانفل جيش البصرة ، وقتل مقاتل بن مسمع ، وسبيت امرأة عبد العزيز إبنة المنذر بن الجارود ، وأقيمت عند الخوارج فيمن يزيد، وكانت جميلة ، فبلغت مائة ألف درهم ، فغار رجل من قومها ، كان من رؤوس الخوارج ، يقال له أبو الحديد الشني ، فصاح بهم : تنحوا هكذا ، ما أري هذه المشركة ، إلا قد فتنتكم ، وضربها بسيفه ، فقطع عنقها ، فقال ابن قيس الرقيات : (الطبري 168/6 – 173).

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم****وتركتهم صرعي بكل سبيل

من بين ذي عطش يجود بنفسه ****وملحب بين الرجال قتيل

هلا صبرت مع الشهيد مقاتل ****إذ رحت منتهك القوي بأصيل

وتركت جيشك لا أمير عليهم**** فارجع بعار في الحياة طويل

ونسيت عرسك أذ تقادسية**** تبكي العيون برنة وعويل

وفي السنة 74 سار حسان بن النعمان ، عامل إفريقية لعبد الملك بن مروان ، فقصد ملكة البربر بجبال أوراس، وتسمي الكاهنة ، فالتقي الجيشان في معركة ضارية ، وكثر القتل حتي ظن الناس إنه الفناء ، ثم انتصر المسلمون ، وأنهزم البربر ، وقتلوا قتلا ذريعا ، وانهزمت الكاهنة ، ثم أدركت فقتلت (ابن الأثير 4/ 372).

وفي السنة 105 نشبت معركة بين مسعود بن أبي زينب العبدي ، وكان قد استولي علي البحرين واليمامة ، وبين سفيان بن عمر العقيلي أمير اليمامة ، فقتل مسعود ، وقتلت أخته زينب في المعركة . (ابن الأثير 119/5).

ولما قتل الإمام زيد بن علي بن الحسين ، بالكوفة ، قتل يوسف بن عمر امرأة زيد بالحيرة . (مروج الذهب 195/2) .

وفي السنة 119 وقعت معركة بين خاقان ملك الترك ، وأسد بن عبد الله القسري عامل خراسان ، في منطقة الجوزجان ، فانكسر خاقان ،

وفر، وأراد الخصي أن يحمل امرأة خاقان ، فأعجلوه عن ذلك ، فطعنها بخنجر ، فوجدها جند المسلمين وهي تتحرك . (الطبري 124/7).

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، شديد القسوة ، غضب علي أحد أقاربه ، وهو عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب ، فقتله ، ثم دعا بامرأة ابن المسور ، وكلمها بشيء ، فراجعته ، فأمر بقتلها ، فقتلت (مقاتل الطالبيين 160).

وكانت عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية، تحت هشام بن عبد الملك ، وأسرها عبدالله بن علي العباسي ، وكان معها من الجوهر ، ما لا يدري ما هو ، ومعها درع من اليواقيت والجوهر منسوج بالذهب ، وهو بدنة عبدة المشهورة التي وصلت إلي زبيدة ، فألبستها بوران في عرس المأمون ، وكان عبدالله بن علي قد أطلقها بعدما أخذ ما معها من الجوهر ، فقال له أصحابه : ما صنعت ؟ أدني ما يكون ، أن يبعث إليها أبو جعفر (أي المنصور)، فتخبره بما أخذت منها ، فيأخذه منك ، اقتلها، فبعث في أثرها ، فلحقها الرسول ، فقالت له : مه ؟ فقال : أمرنا بقتلك ، قالت : هذا أهون علي ، ونزلت فشدت درعها ، من تحت قدميها ، وكميها ، وذبحت (مصارع العشاق 151/2 - 152).

أقول : عبدة ، هذه ، زوجة هشام بن عبد الملك ، قتلها العباسيون ، لما اجتاحوا الشام ، وهي صاحبة بدنة عبدة المشهورة التي أهداها الرشيد لزوجته ابنة عمه زبيدة لما بني بها ، وأهدتها أم جعفر زبيدة ، لبوران ، لما بني بها المأمون ، والبدنة ثوب كالمعطف ، مغطي باللؤلؤ والجواهر ، علي اختلاف اشكالها ، وقد أبصرت عدة منها في طهران في معرض الجواهر ، مطرزة باللؤلؤ ، في قبو البنك المركزي الإيراني ، راجع الديارات 156 وتاريخ بغداد لابن طيفور 114.

وسألت أمينة بنت خضير : ما فعل محمد ؟ (تريد محمد بن عبدالله النفس الزكية) فقيل لها : قتل .

قالت : فما فعل ابن خضير ؟ (تريد أخاها إبراهيم).

فقيل لها ؛ قتل ، فخرت ساجدة .

فقال لها زوجها : أتسجدين، وقد قتل أخوك ؟

قالت : نعم ، أليس لم يفر ، ولم يؤسر (الطبري 605/7).

أقول : إبراهيم بن خضير ، هو إبراهيم بن مصعب بن مصعب بن الزبير ، كان من أقوي انصار محمد بن عبدالله النفس الزكية ، لما خرج علي المنصور ، وكان ابراهيم صاحب شرطة محمد، وكان شجاعا ذا نكاية ، وقتل في المعركة (العيون والحدائق 244/3).

وروي علي بن يقطين ، أن موسي الهادي، كان جالس ذات ليلة ، فجاء خادم فساره بشيء ، فنهض ، ثم جاء وهو يتنفس ، ومعه خادم يحمل طبقأ مغطي بمنديل ، فقال للخادم أرفع المنديل ، وإذا علي الطبق رأسا جاريتين لم ير أحسن منهما وجها وشعرأ فأعظم الحاضرون ذلك ، فقال : بلغني أنهما تحابا ، فوكلت بهما هذا الخادم ليرفع إلي أخبارهما ، فجاءني ، فأخبرني بأنهما قد اجتمعتا فوجدتهما كذلك ، نائمتين في لحاف واحد ، فقتلتهما ، ثم قال : يا غلام ارفع ، ورجع إلي حديثه كأن لم يصنع شيئا . (الطبري : 221/8 – 222 تحفة المجالس 93-94).

وقتل الشاعر ديك الجن ، عبد السلام بن رغبان (161- 235). حبيبته وردة ، لما اتهمها ، فضربها بالسيف ، فقتلها ، ثم علم من بعد ذلك أنه اتهمها ظلمة ، فقض باقي حياته يرثيها ، ومن جملة أقواله لما ندم :

يا طلعة طلع الحمام عليها****وجني لها ثمر الردي بيديها

رويت من دمها الثري ولطالما**** روي الهوي شفتي من شفتيها

قد بات سيفي في مجال وشاحها**** ومدامعي تجري علي خديها

فو حق نعليها ، وما وطيء الحصي**** شيء أعز علي من نعليها

ما كان قتليها لأني لم أكن**** أبكي إذا سقط الذباب عليها

لكن ضنت علي العيون بحسنها ****وأنفت من نظر الحسود اليها

راجع القصة مفصلة في الأغاني 55/14 - 56.

وفي السنة 252 أمر المعتز ، بقتل المستعين ، فقتله سعيد بن صالح ، قيل أنه شد في رجله حجرة ، وألقاه في الماء ، وقيل انهم قتلوه ، وقتلوا دايته معه ، لأنها كانت في رفقته ، فلما علوه بالسيف ، صاحت ، فقتلوها معه (الطبري 363/9 - 364).

ودعا عبد العزيز بن أبي دلف بجارية كان يري الدنيا بعينها ، فضرب عنقها ، فقيل له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : مخافة أن أموت في حبها فتبقي هي بعدي تحت غيري (البصائر والذخائر 109/1).

وفي السنة 269 رمي أحد غلمان إبراهيم الخليجي امرأة بسهم ، فقتلها، فهاج العامة ببغداد ، ووثبوا عليه ونهبوا منزله ودوابه ، وأخذوا غلمانه ، أما هو ففر (الطبري 613/9).

وفي السنة 280 استبد أمية بن عبد الغافر ، بمدينة إشبيلية ، وكان يليها للأمير عبدالله المرواني ، فثار عليه الإشبيليون ، وحاربوه، فاستمات ، وقتل حرمه ، وعقر دوابه ، وأحرق موجوده ، وقاتل حتي قتل (ابن خلدون 381/9)

وفي السنة 283 وثب الجند البربر والمغاربة علي أمير مصر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، وطلبوا منه أن يتنازل عن الإمارة ، لكي يتولي عمه مكانه ، فعمد جيش إلي عمه الذي أرادوا تأميره، فقتله وقتل عما له آخر معه، ورمي برأسيهما اليهم ، فهجم الجند علي جيش وقتلوه وقتلوا أمه ،

وانتهبوا داره ومدينة مصر وأحرقوها، وأمروا عليهم هارون بن خمارويه . (الطبري 45/10 -46).

وقتل إبراهيم بن أحمـد بن الأغلب (ت 289)، كثيرة من أصـحابه ، وكتابه ، وحجابه ، واثنين من أبنائه، وثمانيـة من أخوته، وقتل سائر نسائه، وجميع بناته فعزله المعتضد عن إفريقية، فرحل إلي صقلية، ومات بها. (الإعلام 22/1).

وفي السنة 334 قبض علي امرأة قبضت علي صـبي ، وشـوته في التنور ، وهو حي ، وأكلت بعضه ، وأقرت بـذلك ، وذكرت أن شـدة الجوع حملها علي ذلك ، فحبست، ثم أخرجت ، وضـربت عنقها، ووجدت امرأة اخري قد اخذت صبية فشقتها نصفين وطبخت نصفها سكباجأ ، والنصف الآخر بماء وملح ، فدخل الديلم وذبحوها، ثـم وجدت ثالثة قد شوت صبيا وأكلت بعضه ، فقتلت. (المنتظم 344/6).

وكـان محمـد بن مسـافر ، صاحب قلعـة سـميران ، قبيـح السـيرة ، شـرير ، ظالما ، أوحش حتي أولاده ، ففر منه ولـده وهسودان ، إلي أخيه المرزبان بقلعة الطرم ، وأراد الأب محمد أن يفرق بين الأخوين ، فلم يتمكن ، ولما استولي المرزبان علي أذربيجان استدعي في السنة 339 أباه محمـد بن مسافر ، وأخاه وهسودان ، وصـدرا أباهما، ووقفا بين يـديه ، ثم قصـد المرزبان الري ، وحارب ركن الدولة البويهي ، فانكسـر جيش المرزبان وأسـر ، وعاد فل عسكره إلي محمد بن مسافر ، فعقدوا له الرياسة ، فعاد إلي قبيح سيرته ، فوثب عليه الجند ، فالتجأ إلي ولده وهسودان ، فأخـذ وهسوذان أبـاه ، واعتقله في قلعـة شيسـجان ، وضـيق عليه حتي مات ، ثم تخلص المرزبان من الحبس ، وعاد إلي حكم اذربيجان، ومات في السنة 346 فحكم بعده ولده جستان ، فأخذ وهسودان في التضريب بين أولاد أخيه ، وتفريق كلمتهم ، وفي السنة 349 التجا جستان وناصر ، ومعهما أم جستان،

إلي عمهما وهسودان ، بعد أن توثقوا منه بالأيمان الغليظة والعهود ، فلما حصلوا في قبضته نكث ، وحبسهم، ثم قتلهما ، وقتل أم جستان أيضاً ، كما قتل جميع حاشيتهما ، ومن يقرب منهما ، ففر أخوهما إبراهيم بن المرزبان ، والتجأ الي ركن الدولة الذي بعث معه جيشاً أعاده إلي حكم أذربيجان (تجارب الأمم 31/2 -32- 135- 167- 219- 220 وابن الأثير 531/8).

وقبض الوزير أبو الفضل الشيرازي ، وزير بختيار البويهي ، علي ابي طاهر الحسين بن الحسن ، عامل البصرة ، وسلمه إلي مستخرج كان أبو طاهر قد وتره فنالته منه مكاره عظيمة حتي قتله ، وقتل أخاه، وأقاربه، وزوجته (تجارب الأمم 295/2).

وفي السنة 388 قتل أبو نصر بن بختيار ، صمصام الدولة بن عضد الدولة وقال : هذه سنة سنها أبوك ، يشير إلي أن أباه عضد الدولة قتل أبن عمه بختيار والد أبي نصر .

وسلمت والدة صمصام الدولة إلي قائد ديلمي اسمه لشكرستان كور فقتلها، وبني عليها دكة في داره ، فلما ملك بهاء الدولة فارس ، أخرجها ودفنها في تربة بني بويه . (ابن الأثير 143/9 ذيل تجارب الأمم 315/3).

وفي السنة 406 تحرك علي الأمير باديس بن المنصور بن بلكين، عمه حماد بن بلكين ، فبعث اليه أخا حماد ، واسمه إبراهيم بن بلكين ، لكي يصلح امره ، فاتفق حماد وإبراهيم ، وجاهرا باديس بالخلاف ، وسفكا الدماء ، وقتلا الأطفال، وأحرقا الزروع والمساكن ، وسبيا النساء ، وحدث أن فر إلي باديس جماعة من جند قلعة حماد ، وكان فيها أخوه إبراهيم ، فأخذ إبراهيم أبناءهم ، وذبحهم علي صدور أمهاتهم ، فقيل إنه ذبح منهم بيده ستين طفلا ، فلما فرغ من الأطفال ، ذبح الأمهات (ابن الأثير 254/9).

وفي السنة 407 غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، الهند ، وحصر

ص: 190

قلعة كلجند ، وكلجند من أعيان الهنود وشياطينهم ، فاقتلا ، فانفل جيش كلجند ، وقتل منهم قريبة من خمسين ألفاً ، فعمد كلجند إلي زوجته فقتلها ، ثم قتل نفسه بعدها (ابن الأثير 266/9).

وفي السنة 467 قتل السلطان ملكشاه السلجوقي ، عمته كوهرخاتون ، اتهمها بالتحريض عليه. (اعلام النساء 267/4).

وفي السنة 475 وجدت امرأة مقتولة ملقاة في درب الدواب ، وظهر أن قاتلها رجل أعرج ، أقر بأنه في تلك الليلة جمع بين هذه المرأة وبين رجل، وأنها أخذت من الرجل قراريط ، وأن الأعرج طالبها بأجره ، فقالت : خذ ما تريد ، فوقع عليها ، ثم قتلها ، وأخذ ما معها من الحلي والدنانير ، فحبس ثم قتل . (المنتظم 3/9).

ولما مات السلطان ملكشاه، استفحل أمر الباطنية بأصبهان ، وفتش الناس مواضع بحثا عن أشخاص مفقودين فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير ، فأزالوها، فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا، فقتلوا المرأة ، وأخربوا الدار والمحلة . (المنتظم 120/9 – 121).

وفي السنة 495 قتل غلام امرأة سيده لفرط هواه لها وغيرته عليها ، وأمكنه أن يهرب ، فلم يفعل ، وأخذ يصيح : يا معشر الناس ، أما فيكم من يقتلني ، فحمل إلي باب النوبي، ثم أحضر زوج المرأة معه إلي رحبة الجامع ، وأعطي سيفاً ، فضرب به رأس القاتل، وأبانه أذرعا في ضربة واحدة (المنتظم 132/9).

وفي السنة 500 قتلت أميرة زوجة عيسي بن تغلب ، قتلها ابن أبي هشام ، وسبب ذلك إن قلعة تكريت كانت بيد رافع بن الحسين بن مقن العقيلي ، ولما توفي خلفه ابن أخيه خميس بن مقن، ولما توفي خميس خلفه ولده أبو غشام ، وفي السنة 444 وثب عيسي بن خميس بن مقن ، علي ابن أخيه

أبي غشام ، فحبسه ، وملك القلعة ، وتوفي عيسي ، فخافت زوجته أميرة أن يعود أبو غشام فيملك القلعة ، فقتلته ، واستنابت في القلعة رجلا سلمها إلي رجال السلطان ، وخرجت أميرة الي الموصل ، فقتلها ابن أبي غشام بأبيه (ابن الأثير 419/10 – 420).

وفي السنة 504 في أيام الأمر الفاطمي ، قصد بردويل الإفرنجي ، صاحب القدس ، مصر ، فدخل الفرما وأحرقها، وأحرق جامعها ومساجدها ، وقتل بها رجلا مقعدا ، وذبح ابنته علي صدره ، ثم رحل وهو مريض ، فهلك في طريقه قبل وصوله إلي العريش ، فشق أصحابه بطنه ، ورموا حشوته هناك فهي ترجم الي اليوم (وفيات الأعيان 1/5،3).

وفي السنة 509 قصد جند السلطان محمد السلجوقي مدينة كفر طاب ، وكانت في يد الفرنج ، فلما اشتد الحصار علي الفرنج ، ورأوا الهلاك ، قتلوا أولادهم ونساءهم ، وأحرقوا أموالهم ، ودخل جند السلطان البلد عنوة ، وأسروا صاحبها وقتلوه (ابن الأثير 510/10).

وفي السنة 536 هاجم الخطا من سكان ما وراء النهر السلطان سنجر ، وسبب ذلك إن السلطان سنجر ، كان قد هاجم خوارزم ، وفتحها ، وقتل أحد أولاد خوارزم شاه اتسز بن محمد ، فأراد خوارزم شاه أن ينتقم منه ، فراسل الخطا ، وتزوج منهم ، وأغراهم بقصد مملكة السلطان سنجر ، فقصدوا السلطان ، وحصلت معركة ، فانهزم السلطان سنجر ، وقتل من جيشه مائة ألف قتيل ، منهم أحد عشر ألفا كلهم صاحب عمامة ، وأربعة الآف امرأة . (ابن الأثير 81/11).

وفي السنة 549 قتلت جارية امرأة ، سيدتها ، فأخرجت الجارية إلي الرحبة ، وقتلها زوج المرأة بحضرة الناس ، كما يقتل الرجال (المنتظم 159/10)

وفي السنة 556 أقيمت البينـة علي خواجكي صاحب مدينـة شارسـتان ، أنه قتل زوجته ظلما وعـدواناً وأخـذ مالها ، فقتل بها . (ابن الأثير 278/11).

وفي السنة 556 قتل الملك الصالح طلائع بن رزيك ، وزير العاضد الفاطمي ، تصدي له قوم بالسكاكين في دهليز القصر ، واتهم الصالح ، عمة العاضد ، بأنها المحرضة علي قتله ، فطلبها من العاضد ، فبعث بها إليه ، فقتلها (ابن الأثير 274/11).

وفي السنة 568 توفي خوارزم شاه أرسـلان ، فخلفه ولده سـلطان شاه محمود ، فحاربه أخوه الأكبر علاء الدين تكش ، وانتصر عليه ، فهرب سلطان شاه ، وأخذت أمه ، فقتلها علاء الدين تكش . (ابن الأثير 377/11 -378)

وفي السنة 656 لما فتـح هولاكو بغداد ، وقبض علي الخليفة المسـتعصم وأولاده ، وجميع أفراد السـلالة العباسـية ، قرر هولاكو أن يقرض النسل العباسـي ، فأمر الخليفة أن يفرز من نساء دار الخلافة ، جميع النساء اللواتي باشـرهن هو وبنوه ، وأن يعزلهن عن غيرهن ، ففعل، فكن سبعمائة امرأة ، فأخرجهن ومعه ثلثمائة خادم (خصي)، وقال الدكتور مصطفي جواد رحمه الله تعليقا علي هذا الخبر : المفهوم أن هولاكو أمر بقتل جميع الجواري اللواتي باشـرهن رجال بني العباس من الأسرة المالكة ، لئلا يكن – كلا أو بعضاً – حوامل بأبناء يصلحون للخلافة ، وهو يريد قرضها بالكلية (موسوعة العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ج 2 ص 342) أقول : أنا في شك من صحة عدد النسوة اللواتي قتلن ، وإن كنت علي يقين من وقوع القتل ، وكذلك جري الحال فيما يتعلق بالأمراء العباسـيين ، من أعدام الخليفة وانسبائه ، وكانوا في دارين من دار الخلافة ، دار الصـخر ، ودار الشجرة ، فكان اتباع هولاكو يخرجونهم واحدة واحدة ، فيخرج بأولاده وجواريه ، فيحمل إلي مقبرة الخلال (الشيخ الخلاني) وقتلوا جميعا عن آخرهم (موسوعة

العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ج 2 ص 336).

وفي السنة 666 قتلت ببغداد امرأة تسمي عروس خاتون ، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي ، شحنة بغداد ، اسمه حسين آغا ، وسبب ذلك أنها هويت غلاما أمرد مليحا ، فلما عرف بذلك ، أراد قتله ، فأبي الشحنة ذلك ، وقال : يقتلان جميعا ، أو يستبقيان بعد أخذ الحد منهما ، فأخرج الغلام الي ظاهر السور ، وضرب له وتد في الأرض فأقعد عليه فمات ، ثم قدم المرأة ، وقتلها بيده ، وهو يبكي أسفا عليها (الحوادث الجامعة 361).

ووصف ابن بطوطة في رحلته 223/2 - 224 قسوة السلطان غياث الدين الدامغاني ، سلطان بلاد المعبر ، ووحشيته ، فإنه كان يأمر بالأسري ، فيركزون علي أعواد قائمة ، فتخترق أجسادهم ، ثم يأمر بذبح نسائهم ، وتعلق رؤوسهن علي الأعواد التي تحمل أزواجهن ، ثم يأمر بذبح أولادهن في حجورهن.

وفي السنة 736 توفي السلطان أبو سعيد ، سلطان العراق، عن بضع وثلاثين سنة ، واتهمت زوجته بغداد خاتون بنت الأمير جويان ، بأنها سمته في منديل الجماع ، أي أنها اتهمت بأنها وضعت له سما في المنديل الذي تمسح به بعد الجماع ، فقتلت .

وفي السنة 781 رسم السلطان بضرب اعناق جماعة من النصاري ، رجال ونساء ، لأنهم اسلموا ثم ارتدوا ، فضربت اعناقهم تحت شباك المدرسة الصالحية بالقاهرة ، فانكر الناس ما فعلوه من ضرب اعناق النساء بين الرجال . (بدائع الزهور 250/2/1).

وفي السنة 802 لما فتح تيمورلنك حلب ، لجأ النساء والأطفال إلي الجوامع والمساجد ، فلم يجدهم ذلك ، كما قتل كثير من الأطفال تحت حوافر الخيل ، وفي الطرقات ، ولما استولي علي دمشق، صنع بها أعظم مما صنع بحلب (الضوء اللامع 46/3 -48) .

وفي السنة 803 لما فتح تيمورلنك بغداد ، فرض علي كل واحد من عسكره أن يحضر له رأسين ، فكان الواحد منهم إذا عجز عن احضار رأسين ، يقطع رأس امرأة ، ويزيل شعرها ، ويقدم الرأس (تاريخ الغياثي 125ـ 127).

وفي السنة 814 اتهم السلطان الملك الناصر بن برقوق ، زوجته خوند بنت صرق ، بأن لها علاقة بأحمد بن الطبلاوي ، فقطع عنقها ووضعه تحت طبق مغطي وأحضر ابن الطبلاوي ، وأجلسه ثم كشف له عن الرأس ، وقال له : هل تعرف هذه ؟ ثم قام إليه ، وضرب عنقه بيده ، وأمر أن يدفنا في فبر واحد . (بدائع الزهور 815/2/1).

وفي السنة 861 قتل داروغة يزد ، واسمه قنبر الخزرجي ، من اتباع جهان شاه ، زوجته وابنته وابنه ، بأن قطع رؤوسهم ، وأخذها في مخلاة ، ووضعها أمام جهان شاه ، وقال له : هذا جزاء من يواظب في خدمتك ، وسبب ذلك أن بيربوداق بن جهان شاه ، لما دخل مدينة يزد ، عين فيها محصلا اسمه ساتلمش الشيرجي ، فعسف أهلها ، وكان قنبر داروغة يزد في خدمة جهان شاه والدبيربوداق ، ففسق الشيرجي بزوجة قنبر وبابنه وابنته ، فلما حضر قنبر الي يزد بلغه الخبر ، فعمد إلي امرأته وابنه وابنته ، فقطع رؤوسهم ، ووضعها في مخلاة ، وأخذها إلي جهان شاه ووضع الرؤوس أمامه ، وحدثه بالقصة، فغضب جهان شاه ، وطلب من ولده بيربوداق أن يبعث إليه بساتلمش، فأبي، فكان ذلك من الأسباب التي أدت بجهان شاه إلي أن حصر ولده بير بوداق ببغداد ، ثم قتله (التاريخ الغياثي 290– 291 و 315)

وفي السنة 873 قتل حسن علي بن جهان شاه ، زوجة أبيه، في تبريز ، بأن علقها من ثدييها ، فظلت ثلاثة أيام ، ثم ماتت ، وبلغ ذلك أوزون حسن بك ، وكان يحاصر بغداد ، فترك حصارها ، وقصد حسن علي في تبريز،

وحصـره فيهـا ، وفي اثناء الحصار ، فر قائـدان من قواده ، إلي أوزون حسن بك ، فقبض حسن علي علي أولادهما ونسائهما وقتلهم جميعا ، كما قتل كل من له علاقة بالقائدين المذكورين (التاريخ الغياثي 329-326).

وقتل السـلطان أبو سـعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمورلنك ، الأميرة كوهرشاد بيكم أغا، زوجة شاه رخ وجدة يادكارميرزا (اعلام النساء 268/4)

أقول : وفي السنة 873 أسـر حسن الطويل (أوزون حسن)، السـلطان أبا سـعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمورلنك ، فأسلمه إلي يادگار ميرزا ، فقتله قصاصاً عن جدته كوهر شاد (تاريخ العراق للعزاوي 2333).

وفي السنة 985 مـات الشـاه اسـماعيل الثـاني بن طهمـاسب ، فـاتهمت أخته الأميرة بري جان خانم بأنها دشت له السم ، فقتلت (تراجم الأعيان 59/2)

وفي السنة 1000 (1591 م)، طلب اكبر شاه ، سلطان الهند، من حكومات الدكن ، أن تعترف له بالسيادة ، فرفضوا طلبه ، فسير اليهم جيشا بقيادة ولده مراد وقائده خان الخانات ابن بيرام ، فحاصرا مدينة أحمد ناجور ، وقامت بأمر الدفاع عن المدينة ، الأميرة المسلمة ، شاندي بيبي ، إحدي أميرات بيجابور ، وأبدت شجاعة ومهارة عظيمة، وانتهت الحملة بالمصالحة ، وتنازلت الأميرة عن الحكم ، لأخيها الصغير ، الأمير بهادر نظام شاه ، ثم انتقض الصـلح ، ونشبت في السنة 1006 (1597 م) معركة جديدة ، أسـر فيها الأمير بهادر ، فعادت الأميرة المسلمة شاندي بيبي للدفاع عن أحمد ناجور ، ولكنها اتهمت بالخيانة ، فاعدمت ، وعندئذ لم تثبت المدينة علي الدفاع ، فسقط في أيدي المغول . (الإسلام والدول اللإسلامية في الهند 84-83).

وذكر مندليس ، أحد السياح الأوروبيين ، عن والي أحمد آباد ، إنه كان من القسوة بحيث إنه دعا راقصتين ، لترقصان في حفلة أقامها، فتأخرتا ، فأحضرهما قسرا ، وقطع رأسيهما أمام أضيافه ، وكان هذا الوالي القاسي ، يلي ولاية احمد آباد بالهند ، للشاه جهان ، مدة حكمه 1038-1069 (1628- 1658 م). (الإسلام والدول الإسلامية في الهند 103- 104).

وفي السنة 1168 (1754م) قتل المير مهنا ، أباه الميرناصر ، حاكم بندرريق ، وهي بليدة تقع شمالي مدينة أبو شهر ، لكي يحل محله ، ولما عنفته أمه علي قتل أبيه ، أمر بقتلها ، فقتلت (رحلة نيبور 147/2).

وفي السنة 1201 وقعت بالقاهرة حادثة لشخص من الأجناد اسمه اسماعيل كاشف أبو الشراميط ، وكان هذا الرجل يسيء معاملة مماليكه ، فتآمروا عليه ، وقام اثنان من مماليكه بقتله ، فصرخت زوجته، ونزلت اليهم ، فقتلاها ، وقتلا جاريتها معها ، واجتمع الناس وحضر الوالي ، فأطلقا عليه الرصاص ، ثم فرا ، فتعقبهما الوالي ، وقبض عليهما ، وقتلهما علي رأس العطفة التي تقع فيها الدار التي حصلت فيها الجريمة (الجبرتي 11/2).

وفي السنة 1214 لما استعرت الحرب بين الجيش الأفرنسي ، والمماليك وأهل القاهرة ، كان رجل مغربي يلقب بالجيلاني ، له اتباع مغاربة ، فعل أفعالا قبيحة، إذ كان يكبس البيوت مع جماعة من العوام فيقتلون من يجدون فيها ، وينهبون الدار ، ويسبون النساء ويسلبونهن ما عليهن من الحلي والثياب ، ومنهم من يقطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما علي رأسها وشعرها من الذهب (الجبرتي 327/2) .

الفصل الثالث: قتل المرأة خنقا

اتهم ابن الدمينة (ت 130) امرأته ، فطرح علي وجهها قطيفة ، وجلس عليها حتي قتلها (الاغاني 96/17).

وذكر أبو الأزهر المهلب بن عيسي ، إنه خنق جارية عبد الله بن علي العباسي، عم المنصور ، وكان المنصور قد حبس عمه عند أبي الأزهر هذا ، ثم أمره بقتله ، فدخل عليه ومعه جارية له ، فبدأ بعبد الله فخنقه حتي مات ، ثم مده علي الفراش ، وأخذ الجارية ليخنقها ، فقالت : يا عبد الله ، قتلة غير هذه ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحداً قتلته غيرها ، فصرفت وجهي عنها ، وأمرت بها فخنقت ، ووضعتها معه علي الفراش ، وأدخلت يدها تحت جنبه ، ويده تحت جنبها ، كالمتعانقين ، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما . (مروج الذهب 241/2) .

وفي السنة 493 نشبت معركة ضارية بين السلطان بركياروق ، وأخيه السلطان محمد ، فانكسر وزيره مؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وأحضر عند السلطان بركياروق ، وكان مؤيد الملك ، لما ورد صحبة السلطان محمد إلي الري، وجد فيها زبيدة خاتون ، والدة السلطان بركياروق ، قد تخلفت بعد آبنها فأخذها ، وسجنها ، ورفعها إلي القلعة ، وأمر بها فخنقت ، فلما أسرة السلطان بركياروق ، قتله بيده ، وظل ملقي علي الأرض عدة أيام ،

ص: 199

حتي أذن في دفنه ، فحمل إلي تربة أبيه بأصبهان ، فدفن معه . (ابن الأثير 288/10 و 30) .

وفي السنة 661 أقر زوجـان ، بأنهمـا كانـا يحتالان علي النساء ويخنقانهن ، من أجل حليهن، فخنقت المرأة ، وجعلت في جوالق، وسـمر زوجها في خشبة ، وفي اليوم الثاني خنق بحبل (الذيل علي الروضتين 222)

وفي السنة 801 قصد تيمورلنك بغداد ، فتشوش السـلطان أحمد بن أويس ملك العراق ، فأخذ في قتل أمرائه وقواده ورجاله ، حتي قتل أكثر الخـدم ، والحرم الـذين كانوا عنـده ، قتلهم بيده وألقاهم في دجلة ، وكانت خالته وفا خاتون ، وهي بمثابة أمه ، لأنها هي التي ربته ، فتشوش منهـا أيضـاً وقتلهـا بـأن وضـعها وبعض الحريم في قارب ، بحجـة إرسالهم إلي واسط ، وأغرق القارب في وسط دجلـة ، فغرقوا بأجمعهـم (التاريخ الغياثي 121).

وفي السنة 841 بلغ الأمير أصبهان ، سلطان العراق ، أن ميرزا علي ، ابن أخي قرايوسف ، وزاهد ، وقطلوبك ، قد تآمروا عليه ، فقبض عليهم ، وأمر بقتلهم ، وقتـل ميرزا علي ، وأولاده جميعا ، حتي الأطفال الـذين في المهـد، وكانت بلقيس باشا ، بنت ميرزا علي ، تحت أصـبهان ، فلما قتلوا بكت ، وصاحت ، فأمر بخنقها ، فخنقت (تاريخ العراق للعزاوي 99/3).

وفي السنة 869 بعث جهان شاه ، إلي ولـده بير بوداق صاحب بغـداد ، أن يعني بزوجته ، فاسـتاء من هـذه الوصـية ، ولما تقـدم جهان شاه لحصار بغدد ، أمر بير بوداق بخنق زوجته ، وكانت طول نهارها وليلها مشـغولة بتلاوة القرآن والصلاة ، فخنقت ، ولما قتل بير بوداق زوجته ، قام كل امرائه والمقربين منه ، فقتل كل منهم نساءه تأسيا بسيدهم . (التاريخ الغياثي 319، -320)

وفي السنة 1216 لما رحل الإفرنسيون عن مصر ، وعادت السلطة للعثمانيين، طلبت ابنة الشيخ البكري وكانت ممن تبرج مع الفرنسيس، بمعينين من طرف الوزير ، فحضروا إلي دار أمها بالجودرية بعد المغرب ، وأحضروها ووالدها ، فسألوها عما كانت تفعله ، فقالت : إني تبت من ذلك ، فقالوا الوالدها: ما تقول أنت ؟ فقال : أقول إني بريء منها ، فكسروا رقبتها، وكذلك المرأة التي تسمي «هوي » التي كانت تزوجت نقولا القبطان ، ثم أقامت بالقلعة ، وهربت بمتاعها ، وطلبها الفرنساوية ، وفتش عليها عبد العال، فلما دخل المسلمون (العثمانية) وحضر زوجها مع من حضر، وهو اسماعيل كاشف ، المعروف بالشامي ، أمنها ، وطمنها ، وأقامت معه أياما ، فأستأذن الوزير في قتلها ، فأذن له ، فخنقها في ذلك اليوم أيضا ، ومعها جاريته البيضاء أم ولده ، وقتلوا أيضا أمرأتين من أشباههن (الجبرتي 486/2)

وفي السنة 1235 مات ابن ابراهيم باشا نجل محمد علي باشا ، صاحب الديار المصرية ، وكان الابن في سن السادسة ، ذكروا إنه كان في حجر دادته وهي جارية سوداء ، فشاجرتها جارية بيضاء ، ورفصتها برجلها ، فأصابت الغلام ، فمات ، فقبض ابراهيم باشا علي الجواري بما فيهن الدادة ، وكن ستا ، فخنقهن ، ورمي بهن في البحر (الجبرتي 608/3) .

وفي السنة 1264 قتلت الداعية البهائية الشهيرة ، الملقبة بقرة العين ، وكانت قد ربط شعر رأسها بذنب بغل ، وجيء بها مسحوبة ، ثم خنقت ، وأحرقت . (اعلام النساء 201/4).

ص: 201

الفصل الرابع: قتل المرأة شنقا

وفي السنة 694 لما قبض علي صدر واسط ابن الطراح وأصحابه ، قبض علي امرأة قيل إن أحد أصحاب ابن الطراح أودع عندها وديعة ، فصلبت بادية العورة (الحوادث الجامعة 484 – 487) .

وفي السنة 775 رسم سلطان مصر ، بالقاهرة ، بشنق امرأة يقال لها : الخناقة ، فشنقت هي وزوجها، وكانت تسكن في تربة في الصحراء ، وتأخذ ، هي وزوجها ، أولاد الناس الصغار ، وتخنقهم ، وتأخذ ما عليهم من الثياب ، فلما أخذت ، وجد عندها أثواب الصغار الذين خنقتهم ، وشنقت هي وزوجها بباب النصر ، وكان يوما مشهودة في اجتماع الناس عليهما للفرجة ، لما شنقا (بدائع الزهور 128/2/1).

وفي السنة 1178 صلبت « المرأة الفاحشة » فاطمة ، الشهيرة بعة قاش ، لأمور يطول شرحها (إعلام النبلاء 3/ 345) .

أقول : ليته ذكر السبب بأختصار إذا لم يرد أن يطيل في الشرح .

وفي السنة 1213 أحضر الأغا رج؟ « رمي عنقه » عند باب زويلة ، وأحضر امرأة شنقها علي شباك السبيل تجاه الباب ، وكان الرجل خادماً عند الضابط الفرنسي حاكم خط الخليفة ، والمرأة راقصة خليلة الرجل ، فكانا يغريان الضابط بمصادرة الناس ، وعلم كبير الفرنسيس الذي يقال له شيخ

البلد بذلك أحضر الضابط وحبسه ، أما خادمه وخليلته فتسلمها الأغا وقتلهما (الجبرتي 258/2).

وفي السنة 1216 قبض بالقاهرة علي امرأة سرقت أمتعة من حمام ، فأعدمت شنقا عند باب زويلة (الجبرتي 518/2).

الفصل الخامس: ألوان أخري من القتل

وفي السنة 11 قتلت في المعركة ، أم زمل سلمي بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية ، وكانت قد سبيت في صدر الإسلام ، فأعتقتها عائشة ، فعادت الي قومها ، ودعت إلي الردة عن الإسـلام ، وجعمت حولها جموعة ، وعظمت شوكتها ، فقاتلها خالد بن الوليد مع جيش إسلامي ، ونشـبت معركـة عظيمـة ، وهي علي جمل واقفة ، وقتل حول جملها نحو مائة رجل ، واجتمع علي الجمل ، جماعة ، فعقروه ، وقتلوها . (الاعلام 174/3)

وفي معركة الطف ، في السنة 61 كان من انصار الحسين عليه السلام ، رجل من كلب ، فحمل عليه اثنان من رجال الجند الأموي ، فقتلاه ، فخرجت امرأته تمشـي إلي زوجها، حتي جلست عند رأسه تمسح عنه التراب ، وتقول : هنيئا لك الجنة ، فقال شمر بن ذي الجوشن ، لغلام يسمي رستم : اضرب رأسها بالعمود ، فضربها به ، فماتت (الطبري 438/5)

ولما استعرت الخصومة بين قيس وتغلب في السنة 70 كان المستعلي منهم لا يكتفي بقتل الرجال ، وإنما يبقر بطون النساء، ففي يوم الثرثار الأـول ، وكـان التغلب علي قيس ، بقرت تغلب بطون ثلاـثين آمرأة ، وقـابلهـم القيسـيون في يوم البليـخ ، فبقروا بطون نساء من تغلب ، وفي معركة

الكحيل ، وكانت لقيس علي تغلب ، عاود القيسيون بقربطون النساء ، وهدأت الخصومة حين ، ثم عاود الجحاف بن حكيم السلمي هذا اللون من العذاب بأن أغار مع أصحاب له علي تغلب فقتلهم ، وبقر بطون الحوامل ، وقتل من لم تكن حاملا، وكان سبب ذلك أنه لما قتلت بنو تغلب ، قرب تكريت ، عمير بن الحباب واصحابه ، ثم هدأت الفتن ، وتكافت قيس وتغلب ، وتقاربوا للصلح ، أثار أحد السفهاء وهو الاخطل الشاعر نار الفتنة من جديد إذ أنشد في مجلس عبد الملك بن مروان مخاطبة الجحاف معيراً له ، بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر**** بقتلي أصيبت من تميم وعامر

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعقل من الغضب ، ثم افتعل عهداً من عبد الملك علي صدقات تغلب ، وصحبه من قومه ألف فارس ، وأغاروا علي بني تغلب ليلا فقتلوهم ، وبقروا بطون الحبالي ، ومن كانت غير حامل قتلوها ، ثم لحق بالروم ، ولما سكن غضب عبد الملك كلم فيه فأمنه ، فعاد ، وأحس بمقدار جريمته، فحج فيمن شهد المذبحة معه ، وقد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبروا انوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها البري ، ومشوا إلي مكة ، وتعلق الجحاف بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ، فقال له محمد بن الحنفية : يا عبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك (الاغاني 201/12 - 204).

أقول : لما أوقع الجحاف ببني تغلب ، عاد مؤرث الفتنة الاخطل

الشاعر ، فأنشد عبد الملك قصيدة يستعديه فيه علي الجحاف ، منها :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة**** إلي الله منها المشتكي والمعول

فأن لم تداركها قريش بحزمها**** يكن عن قريش مستراد ومزحل

فغضب عبد الملك لقوله : يكن عن قريش مستراد ومزحل ، وقال له :

إلي أين يا ابن النصرانية ؟ فقال : إلي النار .

لما أوقع الجحاف بن حكيم السـلمي ، بالبشر ، وقعته بتغلب ، وقتل الرجال والنساء والأطفال ، قالت أحداهن له : قوض الله عمادك ، وأطال سهادك ، وأقل رقادك، إن قتلت إلا نساء أسافله دمي، وأعاليهن ثدي، فقال الجحاف لمن حوله : لولا أني أخشي أن تلد مثلها لخليت سبيلها، ثم قتلها، وبلغ ذلك الحسن البصري ، فقال : أما الجحاف فجذوة من نار جهنم . (الحيوان 24/1 والمحاسن والاضداد 29) .

وفي السنة 130 كتب مروان بن محمـد ، إلي عبد الملك بن محمد بن عطية ، قائد جيشه في اليمن ، أن يبارحها ليحج بالناس ، فسار قاصداً الحجاز في اثني عشـر رجلا ، ونزل الجرف ، فأتاه آبنا جهانة المراديان في جمع كثير ، وقالوا له وأصحابه : أنتم لصوص ، فأراهم عهده ، علي الحـج ، فقالوا : هـذا باطل ، فقاتلوه ، وقتلوه ، وخلفه ابن اخيه الوليـد بن عروة بن محمـد بن عطيـة ، فهاجم الـذين قتلوه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقربطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرق بالنار من قدر عليهم منهم (ابن الأثير 391/5 ، 392، 402) .

وذكر السيوطي ، في كتابه نزهة المجالس (ص 122 و 123) إن الأمين أمر بجارية من جواريه ، فطرحت للسـباع ، ففضلت عضوا عضوا ، وخلاصة القصة أن ابراهيم بن المهدي اشتري جارية بارعة الحسن ، كاملة الصـفات ، بعشرة آلاف دينار ، وحملها إلي زبيدة ، فعوضته عنها ثلاثين ألف دينار ، وبلغ الأمين خبرها ، فأمر بإحضارها ، واختبرها ، فأعجب بها ، وبسـطها ، فانبسطت ، وكايدت بحري الخادم ، وكان أثيراً عند الأمين ، وعبثت به ، حتي بكي ، فغضب الأمين عليها ، وأمر بأن تطرح للسباع ، فطرحت للسبع ، ففضلها عضوا عضواً .

أقول : أنا في شك من صحة هذه القصة ، وأحسبها من القصص التي سبكت بعد قتل الأمين ، وإلا فإن الأمين لم يكن مضيعة بالدرجة التي وصفه بها بعض المؤرخين ، ولكن الناس من يلق خير قالوا له ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل .

وفي السنة 269 رمي أحد غلمان ابراهيم الخليجي امرأة بسهم فقتلها ، واستعدي عليه السلطان ، فامتنع من تسليم الغلام ، ورمي غلمانه الناس ، فقتلوا جماعة ، منهم اثنين من أعوان السلطان ، فهاج العامة ، ونهبوا منزله ، ودوابه ، وأخذوا غلمانه ، أما هو ففر (الطبري 613/9)

وأغرق أحد الملاحين ببغداد ، امرأة نزلت في سفينته ، لينقلها من

مشرعة إلي أخري ، فطمع فيما عليها من حلي وثياب ، فأغرقها ، وأعترف بما صنع ، فأمر به المعتضد ، فأغرق ، راجع القصة مفضلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ح 4 ص 125 رقم القصة 59 .

وفي السنة 333 فتح أبو يزيد الخارجي بافريقية مدينة سوسة فأحرقها أصحابه ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء ، وشقوا فروج النساء ، وبقروا البطون (ابن الأثير 426/8) .

وقبض الابزاعي ، صاحب الشرطة ببغداد ، في عهد معز الدولة البويهي ، ملاحة أقر بأنه راود أمرأة نزلت في سميريته ، لينقلها من مشرعة إلي أخري ، عن نفسها ، فلما امتنعت عليه ، أغرق آبتين لها ، كانتا معها ، ثم استسلمت له ، فلما قضي حاجته منها ، أغرقها، راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، تحقيق المؤلف ، ج 3 ص 214 - 220 رقم القصة 142 وقد بسط التنوخي في القصة إقرار المجرم بجريمته ، والعقاب الذي عاقبه به صاحب الشرطة ، وكيفية التحقيق الذي كان يجريه صاحب الشرطة في استجواب المتهمين .

وفي السنة 458 نشبت معركة بين محمد بن خزرون ، من ملوك الطوائف بالأندلس ، والمعتضد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فاستمات بن خزرون وأمر أحد غلمانه بقتل زوجته ، وأمر آخر بقتل أخته ، فقتلتا ، ثم استقتل ، وتقدم فقاتل حتي قتل . (الاعلام 346/6) .

وفي السنة 536 انهزم السلطان سنجر ، من الترك الكفار ، وسبب ذلك أن سنجر كان قد حارب خوارزم شاه ، وأسر أحد أولاده ، فقتله ، فراسل خوارزم شاه الخطا ، وهم بما وراء النهر ، وحثهم علي قصد مملكة السلطان سنجر ، فالتقوا بما وراء النهر ، واقتتلوا أشد قتال ، وانهزم سنجر ، وقتل من أتباعه مائة ألف قتيل ، منهم أحد عشر ألف كلهم صاحب عمامة ، وأربعة آلاف امرأة ، وأسرت زوجة السلطان سنجر . (ابن الأثير 81/11).

وفي السنة 555 لما توفي المقتفي ، وخلف ولده المستنجد، اتهم المستنجد أخاه أبا علي وأمه ، بالسعي في قتله ، وإنهما استعانا بالجواري ، فأمر بالجواري ، فقتل بعضهن، وغرق البعض الآخر . (ابن الأثير 257/11)

وكان قتل النساء وسبيه ، من الأمور المتعارفة الإعتيادية في القرن السادس ، بحيث إن الأمر إذا جري علي ما يخالف ذلك ، كان يسجل ، فإن الأمير المؤيد أي أبه ، لما فتح مدينة شارستان في السنة 556 ، ذكر ابن الأثير (ج 11 ص 278) أن عسكره نهب المدينة ، إلا أنهم لم يقتلوا أمرأة ولا سبوها » ، ونزل أمراء المدينة بالأمان ، ولكن أحدهم واسمه خواجكي ، حوكم بتهمة قتله زوجته ظلمة ، وأخذ مالها ، فثبتت عليه التهمة ، وقتل .

وفي السنة 568 توقي خوارزم شاه ارسلان بن أنسز، وخلفه ولده سلطان شاه محمود ، فأنف أخوه الأكبر علاء الدين تكش ، من سلطنة أخيه الأصغر ، واستعان بملك الخطا ، ونشبت بين الأخوين معركة ، كان النصر فيها

التكش ، وفر سلطان شاه ، وظفر تكش بأم سلطان شاه فقتلها . (ابن الأثير 377/11 و 378).

وفي السنة 633 اختلف أهل إصبهان ، الشافعية والحنفية ، وجرت بينهم حروب متصلة ، فخرج قوم من الشافعية ، إلي التتار ، وطلبوا منهم أن يقصدوا إصبهان لتسلمها منهم ، علي أن يعينوهم في قتل الحنفية ، فقصدوا البلد، وفتح الشافعية لهم أبوابها ، فلما دخلوها بدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلا ذريعة ، ثم ثنوا بالحنفية ، وثلوا بسائر الناس ، وسبوا النساء ، وشقوا بطون الحبالي ، ونهبوا الأموال ، ثم أضرموا النار في إصبهان ، فأصبحت تلالا من الرماد (شرح نهج البلاغة 237/8 و 238).

وفي السنة 654 هلك أتدخان ، أحد ملوك التتار ، فاتهمت امرأته بأنها سحرته ، وقتلت (مجلة لغة العرب البغدادية ج 10 سنة 7).

وفي السنة 655 قتلت ملكة مصر، عصمة الدين ، ملكة المسلمين ، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين ، شجرة الدر ، بالقاهرة ، ضربا بالقباقيب ، لأنها اتهمت بأنها قتلت زوجها عز الدين ايبك خنقا في الحمام . (الاعلام 3/ 231).

أقول : شجرة الدر أم خليل ، جارية الملك الصالح ، جارية تركية ، ذات شهامة ، وإقدام ، وجرأة ، وذكاء ، وعقل ، ودهاء ، بارعة الحسن ، وكان الملك الصالح مغرما بها ، فلما مات في أشد الأوقات حراجة ، وجيشه مقابل جيش الإفرنج في مصر ، أخفت شجرة الدر خبر موته ، وأخذت تعلم بخطها مثل علامته ، ونالت من السعادة أعلي الرتب ، بحيث أنها خطب لها علي المنابر ، وملكوها عليهم أياما ، ثم بلغها اعتراض الخلافة ببغداد علي تمليك امرأة ، فاختارت عز الدين أيبك ، وسلطنته ، وتزوج بها ، وكان الأمر إليها ، ثم بلغها إنه خطب ابنة صاحب الموصل ، فعظم ذلك عليها ، وعزمت

علي الفتك به ، وجاء أيبك تعبان من ملعب الكرة ، ودخل الحمام، فأمرت خدمها ، فاقتحموا عليه الحمام وقتلوه خنقاً وهو عريان، وتسلطن ولده علي من بعده وهو ابن 15 سنة ، وكان أول ما صنعه أن أمر خدمه بقتل شجرة الدر ، فقتلت ، وألقيت مسلوبة تحت قلعة مصر ، دفنت في تربتها (شذرات الذهب 267/5 -268).

وفي السنة 658 حصر هولاكو قلعة حارم ، وطلب تسليمها إليه ، ولهم الأمان ، فلم يطمئن أهلها إلي أمانه ، وطلبوا رجلا مسلم" يحلف لهم بالطلاق والمصحف علي أن لا يدنو لأحد منهم بسوء ، واختاروا فخر الدين الوالي بقلعة حلب ، فأحضره ، وحلف لهم علي ما أرادوا ، ففتحوا الأبواب واستسلموا ، وعندئ أمر هولاكو بقتل الوالي فخر الدين ، ثم قتل جميع من في القلعة من الرجال والنساء حتي الأطفال الذين في المهد (اعلام النبلاء 287/2)

وفي السنة 661 استولي علي حكم فارس سلجوق شاه بن سلفرشاه بن سعد بن زنكي ، فقتل تركان خاتون أم عمه السلطان محمد بن سعد وزوجة جده السلطان سعد بن زنكي (معجم انساب الأسر الحاكمة 350) .

أقول : لم يمتد حكم سلجوق هذا ، إذ قتله المغول في السنة 663 .

وفي السنة 730 وقعت فتنة بين أمير مكة الشريف عطيفة وبين آيدمور أمير جدار الناصري ، أمير الحاج المصري ، وسبب ذلك إ تجارة من اليمن سرقت منهم أموال ، فشكوا ذلك إلي الأمير آيدمور ، فقال آيدمور لمبارك بن الأمير عطيفة : أحضر لي هؤلاء السراق ، فقال له : لا أعرفهم ، فكيف أتي بهم ، ثم إن أهل اليمن تحت حكمنا ، ولا حكم لك عليهم ، فإن سرق لأهل الشام ومصر شيء فاطلبني به ، فشتمه آيدمور ، وضربه علي صدره ، فسقطت عمامته عن رأسه ، وغضب له عبيده، فقتلوا آيدمور وقتلوا معه ولده ، واشتبك

رجال أمير مكة ، مع الجند المصريين ، وقتلت ام أة بالنشاب، قالوا إنها كانت تحرض أهل مكة علي القتال (مهذب رحلة ابن بطوطة 185/1).

ولما توقي السلطان أبو سعيد في السنة 737 اتهمت زوجته بغداد خاتون، بأنها دشت له السم في منديل ، فهجم عليها الخواجة لؤلؤ الرومي ، وهي في الحمام ، فضربها بدبوسه وقتلها، وطرحت مستورة العورة بقطعة تليس (تاريخ العراق للعزاوي 493/1).

وفي السنة 845 هلك الأشرف اسماعيل بن الأفضل يحيي ملك اليمن ، وكان ظالما قتل إخوته وأقاربه ، وقتل عمته أخت أبيه ، وقتل بيده امرأة أخري لاتهامه إياها بمصاحبتها ، وقطع يد امرأة أخري تضرب بالرمل ، كل ذلك لتخوفه أنهم يسعون في تمليك غيره (الضوء اللامع 308/2).

وفي السنة 873 كان حسن بيك يحاصر بغداد ، فكتبت إليه امرأة جهان شاه بيكم خاتون ، من قلعة النجق ، تحثه علي المجيء إلي تبريز لتسلمه القلعة والخزائن ، فرحل عن بغداد ، قاصد، تبريز ، وقبل وصوله ، قصد حسن علي بن جهان شاه قلعة النجق ، وحصر زوجة أبيه ، وقال للموكلين بالقلعة : أنا حسن علي بن جهان شاه ، جلست علي التخت ، وملكت الدنيا وما فيها ، وأنتم تعصون علي لأجل امرأة ، فخافوا منه ، وفتحوا له أبواب القلعة ، فاستولي عليها ، وأخذ زوجة أبيه (أم بيربوداق) إلي تبريز ، وصلبها من ثدييها حتي ماتت ، وقصد حسن بيك ، حسن علي بن جهان شاه ، واشتبك معه في معركة حامية ، فانفل عسكر حسن علي ، وفر هو إلي باكو ، ثم إلي جبال الوند بهمذان، حيث اعتقله هناك ثلاثة من أتباع حسن بيك ، وكان حسن علي يدرك ما له عند حسن بيك، فأزمع أن ينتحر ، وطلب منهم موسي ليحلق عانته ، فذبح بالموسي نفسه ، وعنئين قطعوا رأسه ، وقطعوا ذكره وحطوه في فمه ، وجاءوا برأسه إلي حسن بيك ، وقطعوا جسده أربع قطع ،

وعلقوها علي أبواب همذان علي كل باب قطعة (تاريخ الغياثي 380ـ 381)

وفي السنة 895 مات بالسم السـلطان يعقوب بن السلطان حسن الطويل ، وأخوه أبو يوسف ، وأمهما سلجوق بيكم (تاريخ العراق للعزاوي 275/3)

وفي السنة 902 قتل القاضي شمس الدين بن المزلق ، قتلته سريتاه بتحريض من الدوادار وأمير آخور ، واستادار الحاجب تمر بغأ ، فأمسكوا الجميع وخوزقوا، خلا الجارية الصغري ، فإنها غرقت ، لأنها كانت حبلي (قضاة دمشق 182).

وفي السنة 925 اتهمت صبية مصـرية ، بأنها كانت مع نصراني ، فأمر بها ملك الأمراء بمصر ، نائب السلطان العثماني ، فعريت من أثوابها، وكتفت ، وربطت من رجليها إلي ذنب إكديش ، وسحبت علي وجهها ، فماتت في الطريق . (بدائع الزهور 290/5).

وفي السنة 1098 كان والي حماة ، إذا غضب علي رجل أمر به فأعـدم بإقعاده علي الخازوق ، وإذا غضب علي امرأة، وضـعها في كيس مع شيء من الكلس ، وألقاها في نهر العاصي (خطط الشام 277/2).

ومما يؤثر عن جان بولاد، أمير لواء أكراد حلب ، إنه غضب علي زوجته، أم ولده حسين باشا فقتلها (اعلام النبلاء 88/6).

وفي السنة 1216 أي بعد خروج الإفرنسـيين من مصـر ، أحضـرت إبنة الشـيخ البكري ، وكانت قد خالطت الإفرنسيين ، فكسرت رقبتها. (الجبرتي 486/2)

وممن حاز قصب السـبق في هذا المورد الذميم ، مخلوق اسـمه المير مهنا ، حاكم بندر ريق ، وهي بليدة تقع شـمالي مدينة بوشـهر ، علي الساحل

الشرقي لخليج البصرة ، فإن هذا المير مهنا ، بدأ جرائمه في السنة 1168 (1754 م) باعتقال أبيه المير ناصر ، حاكم البليدة، وأمر به فقتل بمحضر منه ، ثم قتل من بعد ذلك أخاه وستة عشر شخصا من أفراد عائلته ، ولما عنفته أمه علي جرائمه ، أمر بها ، فقتلت ، وأغرق أختين له ، لأن أمير من جيرانه خطب إحداهن للزواج بها، وكان يئد (يدفن بالحياة) كافة البنات اللاتي يولدن له ، أما ما كان يمارسه في رعيته من أساليب العذاب بجدع الأنوف وصلم الآذان ، فلا يحصي لكثرته (رحلة نيبور 146/2 -149).

وفي السنة 1201 نودي بالقاهرة علي النساء بمنع خروجهن إلي الأسواق ، وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر ، منها إنهم وجدوا في بيت يوسف بك سكن حمامجي اوغلي نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة بالإصطبلات (الجبرتي 20/2).

ولما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية في السنة 4 120 (1789 م) وأقيمت المقصلات ، ونشطت حركة الإعدام كان الجلاد يلقي بجثث الضحايا في أوضاع يثير بها ضحك المتفرجين ، وكان (كاريه) يحمل ضحاياه علي أن يحفروا قبورهم بأيديهم ، ليدفنهم فيها أحياء ، أما النساء والأطفال ، فكان يأمر بإغراقهم (قصة الأضطهاد الديني 26– 27).

وفي السنة 1213 قبض الإفرنسيون علي خمسة أنفار من اليهود وامرأتين، فألقوا الجميع في بحر النيل (الجبرتي246/2).

وفي السنة 1217 مر أربعة أنفار من العسكر ، وأخذوا غلاما لرجل حلاق بخط بين السورين عند القنطرة الجديدة بالقاهرة ، فعارضهم الأسطي الحلاق في أخذ الغلام ، فضربوا الحلاق وقتلوه ، ثم ذهبوا بالغلام إلي دارهم بالخطة ، فقامت في الناس كرشة وضجة ، وحضر أغات التبديل ، فطلبهم ، فكرنكوا بالدار ، وضربوا عليه بالبنادق من الطيقان ، وقتلوا من أتباعه ثمانية

أنفـار ، ولم يزالوا علي ذلك إلي ثاني يوم ، فركب الباشا في التبـديل ، ومر من هناك ، وأمر بالقبض عليهم ، فنقضوا عليهم من خلف الـدار ، وقبضوا عليهم بعـدما قتلوا وجرحوا آخرين ، فشـنقوهم ، ووجـدوا بالـدار مكانـة خربـا أخرجوا منه زيـادة عن ستين امرأة مقتولـة وفيهن من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها (الجبرتي 2/ 555).

وفي السنة 1219 عند الاحتفال في القاهرة بكسـر الخليج ، حضـر الباشا (الوالي) والقاضي ، ومحمد علي باشا وجميع العسكر ، وضرب الجميع بنادقهم ، ومات في ذلك اليوم عدة اشـخاص نساء ورجالاً ، أصـيبوا من البنادق، ومما وقع إن احدهم نظر إلي أعلي بيوت الخليج ، فرأي امرأة جالسة في الطاقة ، فضربها برصاصة أصابتها في دماغها ، وماتت من ساعتها (الجبرتي 27/3).

وفي السنة 1223 أحس الإنكشاريـة بأن السـلطان محمود العثماني ، يرغب في الحـد من سـلطانهم يعاونه في ذلك وزيره مصـطفي باشـا البيرقدار ، فحصروا مصطفي باشا في قصره ، وأحرقوه هو وزوجته، وجميع من في القصر (أعيان القرن الثالث عشر 102).

وفي السنة 1225 قتل شـخص من الأجناد الألفية، قطعوا رأسه بباب الخرق ، بسـبب أنه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها (الجبرتي 3/ 314).

ص: 215

للخوارج الذين خرجوا بالعراق، تاريخ مظلم في الإعتداء علي النساء والأطفال ، فبقروا بطون النساء ، وقتلوهن بالسيوف ، وألقوا الأطفال في القدور وهي تفور .

وكان أول ما ظهر منهم ، أنهم لاقوا عبدالله بن خباب ، صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، ومعه امرأته وهي حبلي قد أركبها علي حمار ، وهو يسوقه ، فلما عرفوه ، سألوه عن الخلفاء الراشدين فأثني عليهم جميعا ، فأضجعوه وذبحوه ، ثم أخذوا أمرأته فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية، فلما بلغ الإمام علي ذلك ، سار إليهم ، وبعث إليهم برسول يطلب منهم تسليم القتلة لكي يعاقبهم علي جرائمهم فقالوا : كلنا قتلتهم ، وكلنا نستحل دماءكم ودماءهم ، (الطبري 72/5 –92)

وفي أيام عبيدالله بن زياد ، خرج رجل وامرأة اسمها جزعة ، ومعهما سيفان فحكما في مسجد البصرة ، وأخذ الرجل نحوا رحبة بني تميم ، وأخذت المرأة نحو بني سليم ، فلما رآها قد بعدت عنه ، ناداها : يا جزعة أقربي مني ، فقالت : إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقتلا. (أنساب الأشراف 93/2/4).

وقاتـل مع عبـدالله بن الزبير ، لمـا عـاذ بالكعبـة ، أربعون امرأة ، فقتلت منهن امرأة يقال لها الشـعثاء ، فقال رجل من أهل الشام : (أنساب الاشراف 189/5)

كانت لشعثا في القتال بصيرة**** بل كان بغية أهلها بالأردن

ومن جملة النساء الخوارج ، امرأة اسمها سلمي ، كانت تقاتل مع ابن الزبير ، قال فيها أحد الشاميين : (أنساب الأشراف 50/2/4).

إني لم أنس إلا ريث أذكره**** أيام تطردنا سلمي وتنضينا

ولما اسـتولي أبو حمزة الخارجي ، المختار بن عوف ، علي مكة والمدينة ، حشد له الأمويون، وقاتلوه ، فقتل في معركة بأسـفل مكة ، وقتلت معه امرأته، وهي تقول :

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعلم ****من سال عن إسمي فإسمي مريم

بعت سواري بسيف مخذم

وفي السنة 68 بارح الأزارقة ، وعليهم الزبير بن الماحوز ، فارس، إلي العراق ، ودخلوا المدائن، فقتلوا أم ولد لربيعة بن ماجد ، وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي ، وكانت من أجمل الناس ، قرأت القرآن ، فلما غشوها بالسـيوف ، قالت : ويحكم ، هل سمعتم أن الرجال كانوا يقتلون النساء ؟ ويحكم تقتلون من لا يبسط إليكم يدأ، ولا يريد بكم ضرا ، أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ فقتلوها، فصاحت ريطـة بنت يزيـد : سـبحان الله ، تقتلون النساء والصبيان ومن لم يـذنب إليكم ذنب؟ ثم انصـرفت وهي تحمل طفلـة في يـدها ، فهجموا عليها وضربوها والطفلة بالسيف . (الطبري 121/6).

وفي السنة 68 لما دخل الأزارقـة المـدائن ، أخـذوا رجلا اسـمه سـماك بن يزيـد واخذوا معه ابنته ، وقدموها ليقتلوها، فصاحت بهم : أهل الإسلام ، إن

أبي مصاب فلا تقتلوه ، وإنما أنا جاريـة ، والله ما أتيت فاحشة قط ولا اذيت جارة لي ، ولا تشـرفت، ولا تطلعت، فلما قدمت لتقتل، أخذت تصيح : ما ذنبي ، ما ذنبي ، فقطعوها بأسيافهم . (الطبري 6/ 124).

وسـبق لنا أن أوردنا في الفصل الثاني من هـذا الباب ، تحت عنوان ، قتل المرأة بالسـيف » ما صـنعه أحد الخوارج من عبد القيس ، وهو أبو الحديد الشني العبدي ، لما ظفر الأزارقة ، بجيش البصرة ، في معركة بدار بجرد وسبوا أم حفص بنت المنذر بن الجارود العبدي ، زوجة عبد العزيز بن عبدالله ، قائد جيش البصـرة ، فإن الأزارقة أقاموا أم حفص ، في السوق ، حاسـرة ، بادية المحاسن ، وكانت من اكمل الناس حسـنا وكما ، فتزايد فيها الناس حتي بلغت تسعين ألفا (علي قول صاحب العقد الفريد ، ومائة ألف علي قول الطبري وابن الأثير) فأقبل ابو الحديد أحد رؤساء الخوارج من خلفها بالسـيف ، وضـرب عنقها ، فرفعوه إلي رأسهم قطري بن الفجاءة ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسـعين الفـا من بيت المـال ، وقتل أمـة من إماء المؤمنين ، فقال له : ما تقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتهم تنازعوا عليها، حتي ارتفعت الأصوات ، واحمرت الحدق ، ولم يبق إلا الخبط بالسـيوف ، فرأيت أن تسعين ألفا هينة في جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين ، فقال قطري : خلوا عنه ، عين من عيون الله أصابتها ، قالوا : فاقد منها ، قال : لا أقيد من وزعة الله ، ثم قدم هذا العبدي بعد ذلك البصرة ، واتي آل المنـذر ، فقالوا له : والله ، مانـدري انحمـدك أم نذمك ، فقال : ما فعلته إلا غيرة وحمية ، وذكر صاحب العقد الفريد إنهم وصـلوه (الطبري 169/6) والعقد الفريد 3/ 414 -415).

وخرج شبيب الخارجي ، بالموصل ، فبعث إليه الحجاج خمسة قواد ، فقتلهم واحدا بعد واحد، ثم خرج من الموصل بريد الكوفة ، وتحصن الحجاج منه في دار الإمارة بالكوفة ، ودخل إليها شبيب ، ومعه أمه جهيزة ،

وزوجته غزالة ، وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية ، بالموضع العظيم ، وكانت تقاتل في الحروب بنفسها، وكان الحجاج، هرب في بعض الوقائع من غزالة ، فقال فيه الشاعر :

أسد علي وفي الحروب نعامة**** فتخاء تفزع من صفير الصافر

هلا برزت إلي غزالة في الوغي**** بل كان قلبك في جناحي طائر

وكانت جهيزة أم شبيب شجاعة ، أيضا تشهد الحروب ، واستعان الحجاج بجنود الشام ، وفي إحدي المعارك قتلت غزالة ، وقتلت جهيزة ، ونجا شبيب في فوارس من أصحابه إلي الأهواز ، فغرق هناك سنة 77 (وفيات الأعيان 455/2).

وذكر الطبري في أخبار السنة 77، أن غزالة زوجة شبيب ، قتلت في المعركة ، قتلها فروة بن الدفان الكلبي ، ومر برأسها إلي الحجاج ، فرآه شبيب ، فأمر علوان ، فشد علي فروة فقتله ، وجاء بالرأس، فأمر به شبيب ، فغسل، ودفن (الطبري 271/6).

أقول : كانت غزالة امرأة شبيب ، قد نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتي البقرة وآل عمران ، فأخذها زوجها شبيب إلي الكوفة ، وكان الحجاج فيها ، فلما سمع الحجاج بقدومه ، تحصن في القصر ، وأغلق عليه الباب ، فجاء شبيب فوقف علي باب القصر ، وضرب الباب بعمود في يده ، وصاح بالحجاج : أخرج الينا يا ابن أبي رغال ، وذهبت غزالة إلي المسجد حيث وفت بنذرها .

وقول شبيب للحجاج : يا ابن أبي رغال . كلمة شتيمة ، لأن أبا رغال الثقفي جد الحجاج ، كان دليل الحبشة لما غزو الكعبة ، وهلك فيمن هلك منهم ، فدفن بين مكة والطائف ، ومر النبي صلوات الله عليه بقبره ، فأمر

برجمه ، فرجم ، وأصبح رجمه سنة (الأغاني 303/4 - 116/18 واليعقوبي 4 / 274 والطبري 271/6 - 275).

وفي السنة 77 توجه قطري الخارجي ، يريد طبرستان ، فوجه له الحجاج جيشاً بقيادة سفيان بن الأبرد ، فلحقوا بقطري في طبرستان، وقتلوه ، وذكر معاوية بن محصن الكندي إنه وجد في عسكر قطري خمس عشرة امرأة عربية ، علي جانب عظيم من الجمال وحسن الهيئة ، ومعهن عجوز ، فلما دنا منهن انتحت له العجوز بسيف مسلول، فضربته به علي عنقه ، فقطعت المغفر ، وقطعت جلدة من حلقه ، فسل سيفه وضربها به فأطار قحف رأسها ، وأخذ الفتيات إلي سفيان بن الأبرد ، فقال له سفيان : ما أردت إلي قتل العجوز أخزاها الله ، فاعتذر إليه بأنها أرادت أن تقتله، فاضطر لقتلها (الطبري 309/6).

وفي إحدي المعارك بين المهلب والخوارج ، قرب اصطخر ، حمل يزيد بن المهلب علي الخوارج ، وتصدي له منهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الخشني ، وهو من كماة اصحابه : من لهذين ؟ قال : أنا ، وحمل عليهم ، فطعن أولهما فصرعه ، وحمل عليه الآخر ، فتعانقا، وسقطا جميعا إلي الأرض ، فصاح قيس الخشني : اقتلونا جميعا، فحملت خيل هؤلاء ، وخيل هؤلاء، فحجزوا بينهما ، فإذا معانق قيس امرأة ، فقام قيس مستحيي ، فقال له يزيد : يا أبا بشر ، إنك بارزتها علي أنها رجل ، فقال : أرأيت لو قتلت ، أما كان يقال : قتلته امرأة (شرح نهج البلاغة 200/4).

ومن النساء المحاربات ، من نساء الخوارج ، أم حكيم ، كانت من أشجع الناس ، وأجملهم وجها ، وكانت تحارب مع قطري بن الفجاءة (ت 78)، وكانت تدخل المعارك وهي ترتجز :

أحمل رأس قد سئمت حمله****وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتي يحمل عني ثقله

وخطبها جماعة من أشراف الخوارج ، فردتهم، وقالت : (الأغاني 150/6 وشرح مقامات الحريري 91/1-92).

ألا أن وجهأحسن الله خلقه****لأجدر أن يلفي به الحسن جامعة

وأكرم هذا الجرم عن أن يناله**** تورك فحل همه أن يجامعا

أقول : لم تكن الفروسية مقصورة علي نساء الخوارج ، وإنما هي فيهن أظهر ، وقد كان في نساء الصليبيين محاربات ، وذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل 39/12 أنه في السنة 585 وقعت معركة عظيمة بين صلاح الدين الأيوبي والصليبيين علي عكار، فانتصر صلاح الدين ، وقتل من الصليبيين نحو عشرة آلاف ، أكثرهم من فرسان الإفرنج ، وكان من جملة الأسري ثلاث نسوة إفرنجيات ، كن يقاتلن فارسات علي الخيل ، فلما أسرن ، وألقي عنهن السلاح ، تبين أنهن نساء ، وذكر أيضا أن السلطان صلاح الدين حصر قلعة برزية ، ونصب حولها المجانيق ، ونصب أهل القلعة منجنيقة أبطل مجانيق المسلمين ، وذكر ابن الأثير (15/12) إنه كان حاضرا الحصار ، وإنه أبصر بعينه امرأة من الإفرنج ترمي بمنجنيق القلعة، وهي التي أبطلت مجانيق المسلمين .

وأحضرت أمام الحجاج ، أمرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك ، وأنت لا تنظرين إليه ، قالت : أني الأستحي أن أنظر إلي من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها ، فقتلت . (العقد الفريد 26/4)

وأتي عتاب بن ورقاء (ت 77) بخوارج فيهم امرأة ، فقال لها : أي عدوة الله ، ما دعاك إلي الخروج ؟ أما سمعت قول الله عز وجل :

كتب القتل والقتال علينا****وعلي الغانيات جر الذيول

فقالت : يا عدو الله ، إنما أخرجني حسن معرفتك بكتاب الله تعالي (البصائر والذخائر 144/1).

وخرج في أيام هشام ، خوارج بناحية البصرة ، فقتلوا ، وأسرت معهم امرأة ، فأحضرت أمام عامل البصرة ، فقالت له : يا حسن الوجه أني خدعت ، فبعث بها العامل إلي يوسف بن عمر الثقفي، فقتلها . (العيون والحدائق 109/3).

وفي امرة الوليد بن رفاعة ، علي مصر ، لهشام بن عبد الملك ، خرج بمصر في السنة 117 وهيب اليحصبي شارية ، فأخذ، وقتل ، فكانت امرأته تطوف بالليل علي منازل القراء تحرضهم علي الطلب بدم زوجها، وكانت امرأة جزلة محلوقة الرأس . (الولاة للكندي 77 و 78) .

وكان نساء الخوارج يحاربن مع الرجال في المعارك ، ولما دخل الضحاك بن قيس الكوفة في السنة 127 ، وحاربه أميرها في أهل الشام ، أصابوا من جند الضحاك أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة . (الطبري 318/7)

وفي السنة 127 وقعت معركة بين منصور بن جمهور ، أحد قواد الشام ، بالكوفة ، وبين جماعة الضحاك بن قيس الخارج بالكوفة ، فأقبلت امرأة من الخوارج ، شادة ، حتي أخذت بلجام منصور بن جمهور ، فقالت : يا فاسق ، أجب أمير المؤمنين – تريد به الضحاك – فضرب عنان دابته بالسيف فقطعه في يدها، ونجا ، ثم إن منصور الحق بالضحاك وبايعه ، وقال : من الفارس الذي أخذ بعناني يوم الزاب ؟ فنادوا : يا أم العنبر ، فخرجت إليهم ، فإذا هي أجمل الناس ، فقالت له : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبح الله سيفك ، أين ما تذكر منه ، فوالله ، ما صنع شيئا ولا ترك ، تعني أنه لم يقتلها يوم أخذت بعنانه فدخلت الجنة ، فقال

منصور للضحاك : يا أمير المؤمنين ، زوجنيها ، فقال : إن لها زوجاً ، وكانت تحت عبيدة بن سوار العنبري . (الطبري 322/7 و 323) .

ولما خرج الوليد بن طريف الشيباني ، بالموصل، بعث إليه الرشيد جيشاً أميره يزيد بن مزيد الشيباني ، فقاتله ، فقتله يزيد ، فلبست الفارعة ، أخت الوليد ، عدة الحرب ، وحملت علي جيش يزيد ، فقال يزيد : لا يعرض لها أحد، ثم خرج إليها ، فضـرب بالرمح فرسها ، وصاح بها ، أغربي ، غرب الله عينك ، فقد فضـحت العشيرة ، فاستحيت وآنصرفت ، راجع تفصيل القصة في ترجمة الوليد بن طريف في وفيات الأعيان 31/6 – 34 وراجع فيها رثاء الفارعة لأخيها ، مقطوعة من عيون الشعر ، مطلعها :

بتل نهاكي رسم قبر كأنه ****علي جبل فوق الجبال منيف

تضمن مجدأ عدملياً وسؤددة**** وهمة مقدام ورأي حصيف

فيا شجر الخابور مالك مورقاً**** كأنك لم تجزع علي ابن طريف

ص: 224

الفصل السابع: تعذيب المرأة بالنار

في السنة 405 منع الحاكم الفاطمي النساء من الخروج من دورهن ، فاتفق أن القاضي بمصر ، مر علي دار امرأة ، فبكت أمامه وذكرت له أن لها أخا في السياق ، وأنها تريد أن تراه قبل موته ، فأمر بعض رجالته أن يمضي معها إلي دار أخيها، ثم تبين أن تلك المرأة إنما ذهبت إلي دار عشيقها ، وجاء الزوج إلي القاضي ، فقال له :ما أعرف زوجتي إلا منك ، فركب القاضي إلي الحاكم ، وقص عليه القصة ، وبكي أمامه ، فأمر الحاكم بإحضار المرأة والرجل ، فمضـي الأعوان إليهما بغتـة ، فوجـدوهما نائمين متعانقين لا يعقلان من السـكر ، فحملوهما إلي الحاكم فأمر بالمرأة فلفت في بارية ، وأحرقت ، وضرب الرجل بالسياط ضربا مبرحا . (أخبار القضاة 606 و 607).

وفي السنة 530 قبض علي ابن كسبرة اليهودي ، وكبس بيته ، ووكل به ، وأخرج ليلا وقت ضرب الطبل (وقت الصلاة) ونصب له خشبة في الرحبـة (رحبـة جامع القصـر)، وأخـذت معه امرأة مسـلمة كان يتهم بها، وكانت مستحسـنة ، فجيء بحلة من قصب ، وجعلت المرأة فيها وضـربها التفاط بالنار ، فاحترقت الحلة ، وخرجت المرأة هاربة عريانة فعفي عنها، وقد نالها بعض الحريق، وقدم هو ليقتل، فأسـلم، فأمنوه . (المنتظم 58/10) .

ص: 225

وفي السنة 543 قصـد سوري بن الحسـين ، مـك الغور ، مدينـة غزنـة ، فملكهـا ، وطرد ملكهـا بهرام شـاه عنهـا ، ثم كر عليها بهرام شاه ، فاستعادها، وأسر سوري ، فأشهره راكبا علي بقرة ، وقد سود وجهه ، ثم صلبه .

وبلغ علاء الـدين الغوري ، ما تم علي أخيه ، فهاجم غزنة في السـنة 550 وملكها، ونهبها ، وأخـذ من أعان علي أخيه ، فألقاهم من رؤوس الجبال ، وأخذ نساء كن تغنين بشعر فيه هجو لأخيه ، فأدخلهن حمامة ، وسده عليهن ، حتي متن فيه . (ابن الأثير 11/135 – 165).

وفي السنة 605 هلك سنجر شاه ، صاحب جزيرة بن عمر ، علي يد ولده غازي ، وكان سنجر شاه هذا ، مخلوقة شريرة ، يؤذي الجميع حتي أولاده ، وكان قد حبس ولده غازي في دار ووكل به فيها ، فاحتال حتي تسـتل منها إلي دار أبيه ، وأختفي عند بعض سـراريه ، ثم قتله ، فخلفه ولـده محمود ، فقتـل أخاه غازي ، ثم أخـذ جواري أبيه ، فأحرق وجوههن ، ثم غرقهن ، قال ابن الأثير 12/ 280 حدثني صديق لنا إنه رأي بدجلـة في مقـدار غلوة سـهم ، سـبع جوار مغرقات ، منهن ثلاث قد أحرقت وجوههن بالنار ، فلم أعلم سـبب ذلك ، حتي حدثتني جارية اشتريتها بالموصل من جواريه ، إن محمود كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها في النار ، فإذا أحترقت ألقاها في دجلة .

وفي السنة 641 أنهي للخليفـة ببغـداد ، أن أحـد زعماء إربل ، كوي امرأة في فرجها، فتقـدم باعتماد الشـرع في ذلك ، فسـطرت فتيا، وأفتي الفقهاء بأن تقدر علي أنها أمة في حالة الصحة ، وتقوم بعد حصول العيب ، فقدر العيب بقدر الثلث ، فأخذ من الزعيم ، وأمر الخليفة بحبسه (الحوادث الجامعة 185).

وفي السنة 683 انتصر السلطان أرغون التاري ، علي عمه السلطان

أحمد تكدار ، وقتله ، وأرسل إلي والدة السلطان أحمد ، وأسمها قتوخاتون ، فأحرق قصرها وهي فيه (سيرة الملك المنصور 63) .

وفي السنة 832 جهز الملك الاشرف برسباي ، سلطان مصر والشام ، عسكرأ من القاهرة لاستعادة مدينة الرها من عثمان قرايلك ، فلما وصل عسكر القاهرة إلي حلب انضم إليهم نواب السلطان في الشام ، ومضوا بأجمعهم إلي الرها فحصروها ، وكان عثمان قرايلك قد غادرها بعد أن حصنها وترك فيها ولده هابيل ، فحارب هابيل حربا ضارية ، وقتل جماعة من جنود السلطان ، وعلق رؤوسهم علي قلعة الرها، ثم إن عسكر السلطان استولي علي الرها ، وافتتحها عنوة ، فما ترك العسكر قبيحة إلا أتوه ، ولا أمر مستبشعة إلا فعلوه ، وحاصروا القلعة ، فطلب من فيها الأمان ، فأنهم نائب الشام ونائب حلب ، فركنوا إلي أمانهم ، ونزل إليهم الأمير هابيل بن عثمان قرايلوك ومعه تسعة من أعيان دولته ، فغدر الأمراء بهم واعتقلوهم ، وهجم مماليك السلطان علي من في القلعة ، ونهبوا جميع ما كان فيها، وقتلوا الرجال ، وأسروا النساء والصبيان ، وألقوا فيها النار ، فأحرقوها بأجمعها ، ثم عادوا إلي المدينة ، وألقوا فيها النار ، وقتلوا من وجدوه فيها ، حتي جاوزوا الحد ، ثم أخذ المماليك النساء ، وفجروا به ، فكانت الواحدة منهن ، إذا قامت من تحت الواحد منهم ، مضت هي وطفلها إلي موضع كان فيه تبن ، فتختبيء فيه ، فأجتمع بذلك الموضع نحو الثمانين امرأة مع أطفالهن ، وقد زنوا بهن جميعا ، فأضرم المماليك النار عليهن ، فاشتعل التبن ، وأحترقن جميعا ، وأخذوا النساء الباقيات إلي حلب ، فمات في الطريق جماعات منهن عطشاً ، وبيعت منهن بجلب وغيرها عدة ، وكانت هذه الكائنة من مصيبات الدهر (حوليات دمشقية 145 - 147).

وحج أحمد باشا الجزار ، أمير عكا ، في إحدي السنين ، فلما عاد بلغه أن بعض مماليكه قد اتهموا بنساء من حرمه ، فأمر بنار فأججت ، وأمر

الخصيان ، فأحضروا نساءه ، فكان يقبض علي الواحدة منهن ، ويطرحها في النار علي وجهها ، ويدوس علي ظهرها، ويضغط علي رأسها ، حتي يتم شيها في النار وتهلك ، فيحضر غيرها ، وهكذا قتل سبعة وثلاثين امرأة ، ولم تنج غير فتاة في الثامنة من عمرها (خطط الشام 21/3).

وفي السنة 1247 عذب الملا علي الخصي ، ومحمد الليلاني ببغداد ، زوجة رضوان اغا ، بكيها بالسيخ المحمي (تاريخ العراق للعزاوي 13/7)

ص: 228

الفصل الثامن: تعذيب المرأة بقطع الأطراف والتعرض للجوارح

ويشتمل هذا الفصل علي ما يتعلق بتعذيب المرأة ، بقطع أطرافها ، وسمل عينيها وقطع لسانها وجدع أنفها .

في السنة 12 في معركة اليمامة ، التي قتل فيها مسيلمة ، في حرب الردة ، قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عوف الأنصارية ، قتال الأبطال ، فقطعت يدها ، وجرحت ، وكانت يوم أحد قد خاضت المعمعة ، وأبلت بلاء حسنا ، وجرحت اثني عشر جرحا ، بين طعنة رمح ، وضربة سيف ، وثبتت مع رسول الله صلوات الله عليه حين تراجع الناس، وقاتلت أشد قتال ، وكان رسول الله صلوات الله عليه إذا تحدث عن يوم أحد ، يقول : ما التفت يمينا ولا شمالا ، إلا رأيت أم عمارة تقاتل دوني . (الاعلام 334/8).

ولما خلع توزون المتقي وسمله ، بايع المستكفي ، في السنة 333 ، وكان المتوسط في ذلك امرأة آسمها : حسن الشيرازية ، فلما استخلف المستكفي ، غيرت حسن إسمها ، وسمت نفسها : علم ، وأصبحت قهرمانة المستكفي ، واستولت علي أمره كله ، وأنبسطت يدها فصارت تكبس منازل الناس وتستولي علي أموالهم ، فلما خلع المستكفي من السنة 334 ، أخذت علم القهرمانة ، وسملت عيناها ، ثم قطع لسانها . (تجارب الأمم 73/2 - 75 و 86 و100).

وفي السنة 391 كبس العيارون دار أبي الحسن علي بن طاهر الكاتب ،

ص: 229

بدرب المقير من سويقة غالب ، وعلوه بالسيوف ليقتلوه ، فقامت جارية من دونه ، للمدافعة عنه ، وضربوا يدها ضربة أبانتها ، ثم ضربوه عدة ضربات ، فاضت منها نفسه ، وأخذوا ماله ورحله . (تاريخ الصابي 398/8).

وفي السنة 598 صلب مملوك تركي من مماليك الخليفة علي رأس درب الباهقي ، وسبب ذلك إنه اجتمع مع مملوك آخر ، في دار يشربان خمرة ، فسكر أحدهما وعندهما مغنية ، فراودها عن نفسها ، فغار منه الآخر ، فضربه بسكين فقتله ، فتقدم بصلب القاتل، وجدع أنف المغنية . (الجامع المختصر 82).

وفي السنة 683 وجد في رمضان ، عند كاتب نصراني بالقاهرة ، امرأة مسلمة ، وجماعة وهم يشربون الخمر ، فأمر نائب السلطنة بالنصراني فأحرق ، أما المرأة فجدع بعض أنفها (تاريخ ابن الفرات 7/8).

وفي السنة 747 حدث في حلب أن بنت بكرأ من آل التيزيني ، كرهت أن تزف إلي زوج عقد قرانه عليها ، يقال له : ابن المقصوص ، فلقنت كلمة الكفر ، لينفسخ نكاحها قبل الدخول ، فقالتها وهي لا تعلم معناها ، فأحضرها نائب حلب بيدمر البدري ، بدار العدل بحلب ، وأمر بها فقطعت أذناها وشعرها وعلي ذلك في عنقها، وشق أنفها، وطيف بها علي دابة بحلب وتيزين ، وهي من أجمل البنات ، فشق ذلك علي الناس ، وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية بحلب، حتي نساء اليهود ، وأنكرت القلوب قبح ذلك ، وما أفلح البدري بعدها فإن السلطان عزله بعد شهرين من أجل ما صنعه « في حق البنت ، وسافر الي مصر معزولا (تاريخ ابي الفدا 146/4 و147) ولما وصل الي غزة ، قتل هناك (اعلام النبلاء 419/2 – 422) .

وفي السنة 1226 لما قام محمد علي باشا ، بقتل المماليك بالديار المصرية ، هجم العسكر علي بيوت الأمراء المماليك ، ونهبوا ما فيها ، وسلبوا النساء والأطفال ، حتي إن بعضهم قبض علي يد امرأة ليأخذ منها السوار ، ولم يتمكن من نزعه بسرعة ، فقطع يد المرأة (الجبرتي 322/2) .

الفصل التاسع: ألوان أخري من العذاب

لمـا ولي سـليمان بن عبـد الملك الخلافـة ، طلب آل أبي عقيل رهط الحجاج ، فأخـذهم رجالا ونساء ، وأسـلمهم إلي يزيـد بن المهلب ، فعذبهم ، وبعث ابن المهلب إلي البلقاء ، وبها خزائن الحجاج وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتي به ، أخت لزوجة يزيد بن عبد الملك ، وهي أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، فعذبها معهم ، فجاء إليه يزيد بن عبد الملك ، فشـفع فيها ، فلم يشـفعه ، فقال له : الـذي قررتم عليها من المال أنا أحمله ، فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلب : أما والله ، لئن وليت من الأمر شـيئا ، لأقطعن منك طابقا ، فقال له يزيد : لئن كان ذلك ، لأرمينك - والله - بمائة ألف سيف ، وحمل يزيد ما ألزمت تلك المرأة بأدائه ، ومقداره مائة ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك (ابن الأثير 57/4 و58).

وروي صاحب عـذاب أبي جعفر المنصور ، إنه أحضـر جاريـة صـفراء ، ودعا لها بأنواع العـذاب ، وكان يسـتنطقها عن أحوال النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن ، فأنكرت معرفتها بمكانه ، فدعا بالدهن ، وأمر به فوضع عليها ، فلما كادت نفسها أن تتلف ، أمر فأمسكوا عنها ، وتولي بنفسه صب الماء البارد علي وجهها حتي أفاقت (المحاسن والمساويء 114/1).

وفي السنة 310 زوجت أم موسـي الهاشـمية، قهرمانة المقتدر ، إبنتها من أحد أحفاد المتوكل ، وأسـرفت في الإحتفال بهذا الزواج ، فسعي عليها

أعـداؤها بأنها قد صاهرت هذا الأمير لكي ترشـحه للخلافة ، فقبض المقتدر عليها وعلي أختها وأخيها ، وأسـلموا ألي ثمل القهرمانة ، وكان قاسـية القلب ، مسرفة في إنزال العذاب بمن يقع في يدها، فاستخرجت ثمل من أم موسي وأختها وأخيها أموالا عظيمة بلغت نحو ألف ألف دينار ، حتي اضـطر الوزير علي بن عيسـي إلي إنشاء ديوان خاص سـماه : ديوان المقبوضات عن أم موسي وأسبابها . (تجارب الأمم 83/1 و84).

ولما اسـتخلف القاهر ، عذب امرأة أبيه ، السـيدة أم المقتدر ، وضـربها بيده مائة مقرعة ، وعلقها بثدييها ، ثم علقها وهي منكسة ، فكان بولها يجري علي وجهها ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي في القصة المرقمة 33/2) .

وفي السنة 360 ملك أبو طاهر الحسـين بن الحسن ، عامل البصـرة البختبار البويهي ، حيث عذب هو وزوجته وأخوه وأقاربه ونالتهم مكاره عظيمة ، كانت عاقبتها أن تلفوا بالعذاب ، بما فيهم الزوجة (تجارب الأمم 295 - 293/2)

وفي السنة 679 غرقت أمرأة ببغـداد ، نسب إليهـا إنهـا قتلت زوجهـا ، وكـان محبا لها ، محسـنا إليها ، وقـد أوصـي إليها في ماله وأولاده ، فأحضرت من قتله ، فلما قررت أعترفت بذلك ، فغرقت ، وأخذ القاتل وسمر (الحوادث الجامعة 413) .

وفي السنة 740 قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، علي ناظر الخاص النشو ، وهو شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله ، وعلي أمه وأفراد عائلته ، وعرضوا علي العـذاب ، فماتت أمه في العـذاب ، وكـذلك مات أخوه المخلص ، ومات النشو كذلك (الدرر الكامنة 33/3 و 34).

وفي السنة 753 قبض الأمير صرغتمس بالقاهرة علي الوزير علم الدين ابن

زنبور ، وصادره ، ونهب أمواله ، وأخذ ابنه الصغير ، وضربه بمرأي من أمه ، فأسمعته الأم كلاما جافية ، فأمر بها فعريت وعصرت (النجوم الزاهرة 284/10 وخطط المقريزي 61/2 و62).

ولما اعتقل الوزير الصاحب شمس الدين موسي (ت 771) ، وعذب عذبت معه زوجته وكانت ضعيفة حاملا ، فولدت وهي تعصر بالمعصرة ، وعاش ولدها حتي كبر . (النجوم الزاهرة 110/11 - 112).

وفي السنة 781 قبض علي سر النديم ، دادة السلطان بالقاهرة ، وعذبت حتي أظهرت أشياء كثيرة من التحف ، منها قبع السلطان الذي كان قد صنعه له والده السلطان شعبان المقتول ، عند ختانه . (بدائع الزهور 249/2/1)

وفي السنة 789 أرسل الملك الظاهر برقوق ، صاحب مصر والشام ، الأمير جمال الدين محمود ، شاد الدواوين ، إلي الشام ، حيث أوقع الحوطة علي الأمير بيدمر ملك الأمراء بدمشق ، وعلي أهله وأصحابه وحاشيته ، فقام بذلك ، واحتاط علي موجود الأمير بيدمر ، وعصر ، وعصر جواريه ، وأصحابه وحاشيته (تاريخ ابن الفرات 3/9).

ولما عاد الأمير جمال الدين محمود ، إلي القاهرة ، استقبل استقبال الأبطال ، ثم لاقي في السنة 799 أسوأ مصير ، إذ قبض عليه الملك الظاهر ، وصادره ، واستأصله ، وأسرف في عذابه حتي مات في السجن (نزهة النفوس 454)

وفي السنة 792 توجه والي القاهرة حسين بن الكوراني ، إلي قاعة البيسرية بالقاهرة ، وكان إخوة الملك الظاهر برقوق مقيمين بها ، فقبض علي بيبرس ابن أخت الملك الظاهر ، وصار ابن الكوراني يفحش من الذم علي الظاهر ، « ويوشي » علي حاشيته حتي أن النساء صرن يتخضعن له فلم يلتفت

الفعله ، وأخرجهن حاسرات ، وهن مسحوبات في قوارع الطرقات (نزهة النفوس 282).

أقول : كانت عاقبة هذا الفعل من الكوراني ، أنه لما عاد الظاهر إلي السلطنة ، اعتقله ، وقيده ، وضربه وسحبه، وعصره، ثم خنقه (نزهة النفوس 293، 330، 339).

وفي السنة 800 عزل الأمير علاء الدين بن الطبلاوي الحاجب ، وأخوه ناصر الدين محمد متولي القاهرة ، ونقلا إلي بيت الأمير يلبغا ظهر النهار ، راكبين علي الحمير ، في الباشات والجنازير ، وسلمالمتولي القاهرة الجديد ، ثم توجهوا بابن الطبلاوي إلي بيته ، وعاقبوا أم إبنه وجواريه والخطيب ابن عمه ، وأخذوا من الذهب تسعة عشر ألف دينار (نزهة النفوس 465)

وفي السنة 812 لما قبض السلطان الناصر علي الأمير جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن احمد الاستادار ، قبض علي امرأته سارة، وهي ابنة الأمير بجاس ، وعذبت وكانت حاملا ، فوضعت علي دست نار ، فاسقطت، ورأت من الذل ما لا يوصف ، وماتت بعد ذلك قهرا (الضوء اللامع 297/10)

وفي السنة 824 أمر السلطان المؤيد، سلطان مصر ، فقبض علي الأمير الأستادار الحسن بن عبدالله ، البدر الطرابلسي ، فعصر، وعذب ، وعوقب أتباعه ، حتي إن زوجته الشريفة ، عذبت معه أيضأ ر (الضوء اللامع 102/3)

ولما قتل جهان شاه ، في السنة 872، حكم بعده ولده حسن علي ميرزا ، فحاصر زوجة أبيه ، في قلعة النجا، وقبض عليها ، وصلبها معلقة بثدييها ، فظلت معلقة ثلاثة أيام ، حتي ماتت ، ولما دخل تبريز أمر بالقبض

علي أخويها قاسم وحمزة ، وسائر اقاربها ، فقتلهم جميعا ، بعد أن عذبهم ، وصلبهم . (تاريخ العراق للعزاوي 185/3- 187- 189).

وفي السنة 1222 (1807 م) بعد مقتل مصطفي باشا ، أمير الجزائر ، اتفق خلفه أحمد باشا ، وبقية الوزراء ، علي القائد عبدالله، باي قسنطينة ، طمعا في أمواله ، وقتلوه ، واعتقلوا امرأته الدايخة بنت كانة ، بنت شيخ العرب بقسنطينة ، وكانت من أحسن نساء زمانها، ولها شجاعة عظيمة ، فطالبوها بأن تظهر لهم أموال زوجها ، وعذبوها ، حتي ماتت تحت العذاب (مذكرات الزهار 87).

وفي السنة 1335 (1917 م) هاجم الضابط التركي عاكف ، مدينة الحلة ، وقبض علي مائة وستة وعشرين رجلا من رؤسائها، فقتلهم شنقا ، وهدم مساكنهم ، وأمر بنسائهم وأطفالهم ، فنفاهم إلي بلاد الأناضول (الشبيبي الكبير 38) .

ص: 235

الفصل العاشر: تعذيب المرأة بالتعرض للعورة

أول ما بلغنا من الأخبار عن هذا العذاب ، ما صنعه أبو جهل بسمية بنت خباط ، والدة عمار بن ياسر ، أول شهيدة في الإسلام ، إذ كان مشركو قريش ، يخرجون عمارة ، وأباه ياسر ، وأمه سمية ، إلي الأبطح ، إذا احميت الرمضاء ، يعذبونهم بحر الرمضاء ، فمات ياسر في العذاب ، أما سمية أم عمار فإن أبا جهل طعنها في قبلها بحربة ، فماتت. (ابن الأثير 67/2).

وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد البربري ، الثائر ، بإفريقية ، والمقتول في السنة 336 ، إذا فتح مدينة بإفريقية ، يقتل الرجال ، ويشق فروج النساء ، ويبقر بطونهن ، ويحرق البلد (ابن الأثير 422- 441)

وفي السنة 641 كوي أحد زعماء إربل امرأة في فرجها (الحوادث الجامعة 185)

وفي السنة 802 لما اقترب تيمورلنك من حلب ، أرسل قصاد إلي نائب حلب ، فأمر نائب حلب بضرب اعناق رسل تيمورلنك ، فلما بلغ تيمورلنك الخبر بقتل قصاده ، احاط بمدينة حلب ، واقتحمها بجنده ، وأسرف في القتل والسبي ، واحتمي النساء والأطفال بالمساجد، فاقتحمها التتار عليهم ، وأخذوا يفتضون الأبكار في المساجد، وصاروا يأخذون المرأة وهي تحمل ولدها الصغير ، فيلقونه من يدها ، ويفترشونها، والتجأ كثير من النساء إلي الجوامع، ولطخن وجوههن بالطين ، حتي لا تري بشرتهن ، فكان

التتار يأخذون المرأة فيغسلون وجهها ، ويفترشونها في الجامع (خطط الشام 173/2-174)

وفي السنة 832 حصـرت جيوش سلطان مصر ونواب الشام ، مدينة الرها ، فنزل من في القلعة علي أمانهم، فغدروا بهم ، واعتقلوهم ، وقتلوا الرجـال ، ونهبوا الأموال ، واحرقوا المدينـة والقلعـة، وفجروا بالنساء ، فكانت الواحـدة منهن ، تقوم من تحت الواحـد منهم ، وتأخـذ طفلها فتختبيء في تبن هناك ، فلما أتموا فجورهم ، أشعلوا النار في التبن فاحترق النسوة وأطفالهن ، راجع القصة مفصلة في الفصل السابع من هذا الباب .

وفي السنة 838 حصـر اسكندر بن قرايوسف ، مدينة شماخي ، حاضرة بلاد شروان ، وقاتل صاحبها خليل بن إبراهيم شيخ الدربندي ، فلما كان في أحد الأيام، توجه اسـكندر من معسـكره يتصـيد ، فهجم خليل في غيبته علي معسكر اسكندر ، وقتل ، وأسر ابنة اسكندر وزوجته ، فوضـعهما في إحدي الخرابات ، وأمر عسـكره فارتكبوا معها الفاحشة ، فلما رجع اسكندر من الصيد ، وبلغه ما حصل ، الح في القتال حتي اسـتولي علي شـماخي ، ودكها دكة ، ونهب أموال أهلها، وأفحش في قتلهم وسبيهم ، وظفر في شـماخي بابنة خليل وامرأته ، فأمر بأن يزني بهما في كل يوم خمسون رجلا « نكاية في خليل » (حوليات دمشقية 127).

وكان الملك الناصـر ، محمد بن قايتباي (قتل سنة 904) مجنونة ، وكان يعذب النساء ، بأن يقطع حاشـية « أعضائهن »، وينظمها في خيط أعده لذلك ، وسلخ مرة جلد جارية من جواريه ليظهر أستاذيته في السلخ (شذرات الذهب 23/8).

وفي السنة 902 قتل القاضـي شـمس الدين بن المزلق ، قتلته سـرتاه ، بتحريض من آخرين ، فأمسك الجميع ، ومنهم السـريتين، فخوزقوا ، خلا الجارية الصغري ، فإنها غرقت ، لأنها كانت حبلي (قضاة دمشق 182).

وكان أحمد باشا الجزار (1133- 1219) (1804-1809 م)، والي ايالتي صيدا والشام وعكا، عظيم القسوة ، وكان يعذب النساء ، بوضع السنانير في سراويلاتهن . (مجلة العرفان م 26 ج 10 ص 1997 ك1/ 194)

وفي السنة 1230 (1819 م) ثار الإغريق (اليونان) علي السلطان محمود العثماني ، في الجزر وبلاد المورة ، وقتلوا المسلمين ، ومثلوا بهم ، وسبوا النساء والذراري ، فلم يبق من المسلمين إلا القليل ، وقيل إنهم كانوا يدخلون الخنجر ، في فرج المرأة ، ويقطعونها حتي صدرها ، وهي حية تنظر (مذكرات الزهار 147).

وجاءت امرأة ، إلي أبي العطوف القاضي ، برجل ، وقالت : هذا افتض ابنتي ، فقال للرجل : أفعلت ؟ قال : نعم ، قال : لم ؟ قال : لاعبتني آمرة مطاعة ، فقمرتني ، فأدخلت في استي مدقة الهاون ، ولاعبتها، فقمرتها ، فافتضتها، فقال أبو العطوف : يا هذه ، إن الذي ادخلت ابنتك في است هذا ، أشد مما أدخل هذا في حر ابنتك (البصائر والذخائر 233/4).

ص: 239

الفصل الحادي عشر: تعذيب المرأة بالاسترقاق

في السنة 65 قتل عبيدالله بن بشير بن الماحوز ، أحد رؤساء الخوارج ، فوجه المهلب برأسه إلي البصرة ، فلما صار الرسول بكربج ، لقيه أخوة عبيد الله ، وهم حبيب وعبد الملك وعلي بنو بشير ، فقالوا له : ما الخبر ؟ فقال : قتل الله ابن الماحوز المارق وهذا رأسه معي ، وأراهم الرأس ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ودفنوا رأس أخيهم ، فلما ولي الحجاج بن يوسف الثقفي ، دخل عليه علي بن بشير ، وكان وسيما جسيمة ، فقال : من هذا ؟ فأخبروه ، فقتله، ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الرسول الأزدي المقتول ، وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة ، فوهبوهما لها (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 158/4 - 159).

وفي السنة 102 لما خرج يزيد بن المهلب ، ومعه آل المهلب، علي يزيد بن عبد الملك ، وقتل في معركة العقر ، جمع نساء آل المهلب وصبيانهم بالحيرة ، فأعلن مسلمة بن عبد الملك إنه يريد أن يبيعهم، فقال له الجراح بن عبدالله : أنا أشتريهم منك لأبر يمينك ، واشتراهم منه بمائة ألف درهم ، فقال له مسلمة : هاتها ، فقال له : إذا شئت فخذها، فلم يأخذ منه شيئا ، وخلي سبيلهم إلا تسعة فتية أحداث من آل المهلب، بعث بهم إلي يزيد بن عبد الملك ، فضرب رقابهم (الطبري 602/6).

وفي السنة 251 خرج بالكوفة علوي اسمه الحسين بن محمد الطالبي ،

وبعث إليه المستعين جندة قائدهم مزاحم بن خاقان أرطوج ، فانكسر جيش العلوي، وأسر ، ودخل مزاحم الكوفة ، فأحرق الف دار ، وحبس جميع من بالكوفة من العلويين ، وحبس ابناء هاشم كافة ، وأخذ جوار للعلوي ، وفيهم امرأة حرة مضمومة ، فأقامها علي باب المسجد ونادي عليها (الطبري 329/9)

وفي السنة 297 فارق محمد بن الحارث العلمي ، أحد قواد صاحب الزنج ، صاحبه والتجأ إلي الموفق ، فاعتقل صاحب الزنج زوجة محمد، وهي ابنة عمه ، ثم أخرجها ، وباعها في السوق . (الطبري 592/9-593)

وكان صندل الزنجي ، أحد قواد صاحب الزنج ، يكشف وجوه الحرائر المسلمات الأسيرات ورؤوسهن ، ويقلبهن تقليب الإماء ، فإن امتنعت منهن امرأة، لطم وجهها ، ودفعها إلي بعض علوج الزنج يواقعها ، ثم أخرجها إلي سوق الرقيق ، فباعها بأوكس الأثمان ، وفي إحدي الوقائع، وقع صندل الزنجي أسيرا في يدي أبي أحمد الموفق ، فأمر فشد كتافا ، ورمي بالسهام حتي هلك (شرح نهج البلاغة 187/8).

وفي السنة 302 خرج أعراب علي المنصرفين من مكة ، فأخذوا ما معهم ، واسترقوا مائتين وثمانين امرأة من الحرائر ، سوي من أخذوا من المماليك والأماء (الطبري 151/10).

وفي السنة 832 حصرت جيوش سلطان مصر ونواب الشام مدينة الرها ، فنزل من في القلعة علي أمانهم ، فغدروا بهم ، واعتقلوهم ، وقتلوا الرجال ، ونهبوا الأموال ، وأحرقوا المدينة والقلعة ، وفجروا بالنساء ، ثم أحرقوا قسما منهن بأن أشعلوا التبن الذي كن قد لجأن اليه ، وأخذوا النساء الباقيات الي حلب ماشيات ، فمات جماعات منهن في الطريق عطشة ،

وبيعت منهن بحلب وغيرها عدة ، راجع التفصيل في الفصل السابع من هذا الباب .

وفي السنة 1016 اشـتبك الجيش العثماني بقيادة مراد باشا ، مع جيش الأمير علي جانبولاد ، وكان والياً علي حلب ، وعصـي علي الدولة ، فانكسـر الأمير علي ، واسـتولي مراد باشا علي حلب ، وسـحب عيال الأمير علي ، وباع نساءه بيد الدلال ، وبيعت والدة الأمير علي بثلاثين قرشا (خطط الشام ما 254/2)

وفي السنة 1201 اعتدي الأعراب علي قافلة الحاج المصـري ، وقتلوا الرجال ونهبوا الأحمال وسـبوا النساء واسترقوهن ، فاستغاث الحجاج بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامي ، فتكلم مع العرب في أمر النساء ، فأحضـروهن عرايا ليس عليهن الا القمصان ، وأجلسوهن عرايا في مكان ، وخرج الناس أفواجا ، فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو ابنته ، اشتراها ممن هي في أسره ، وكذلك حصل في السنة 1202 حيث اعتدي الأعراب علي قافلة الحاج ونهبوها ، وسـلبوا الحجاج حتي ملابسهم التي علي أبدانهم ، وسبوا النساء ، وأخذوا ما عليهن، ثم باعوهن لأصحابهن عرايا (الجبرتي 12/2 55).

ص: 243

الفصل الثاني عشر: تعذيب المرأة بالضرب

ضرب الزبير بن العوام، زوجته أسماء بنت أبي بكر ، ضربا مبرحا ، حتي خلصها ابنه عبدالله بن الزبير ، من يده (المحاسن والأضواء 118).

وفي السنة 25 ضـرب يزيد بن نعيم الشيباني ، جاريته جهيزة ، علي أن تسلم ، فأبت ، ثم أسلمت من بعد ذلك ، وتفصيل القصة إن يزيد بن نعيم ، وهو والد شبيب زعيم الخوارج ، حضـر مبيعا لسبي الروم ، فعرضت جارية حمراء طويلة جميلة ، تأخذها العين ، فاشتراها ، وسماها جهيزة ، ولما أدخلها الكوفة ، طالبها بأن تسلم ، فأبت ، فضربها، فازدادت عصياناً ، فأبقاها علي دينها ، وحملت منه بشبيب ، وأحبت مولاها حبا شديدا ، وقالت له : إن شـئت أجبتك إلي ما سألتني من الإسـلام ، فقال لها : قد شـئت، فأسـلمت ، وولدت شبيبة وهي مسـلمة ، ولما خرج شبيب علي ظلم الأمويين ، كانت أمه جهيزة، وامرأته غزالة ، معه في معسكره ، وكانتا معروفتين بالشجاعة، وفي إحدي معارك شبيب ، مع جنود الشام الذين أحضـرهم الحجاج ، قتلت جهيزة ، وقتلت غزالة ، وانحاز شبيب إلي الأهواز ، حيث مات غرقا في السنة 77 (الطبري 282/6 ووفيات الأعيان 455/2).

أقول : أبو الضـحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشـيباني ، أحد دهاة العالم ، كان بطلا من الأبطال ، عاش ومات ثائرة علي بني أمية ، وكان كما قال الجاحظ يصبح في جنبات الجيش إذا واجهه ، فلا يلوي أحد علي

أحـد، ووجه إليه الحجاج خمسـة قواد ، علي خمسة جيوش ، فقتلهم واحد بعد واحد ، ومرق جمعهم ، وبايعه الخوارج بالخلافة ، وخاطبوه بإمرة المؤمنين ، ومات غرقا بالأهواز ، كان يعبر الجسـر ، فنفر به فرسه ، وعليه الحديـد الثقيل من درع ومغفر ، فسـقط في الماء ، فغاص، ثم ظهر وكان أخر ما قاله : ذلك تقدير العزيز العليم ، ثم غاص فغرق (الاعلام 3/ 229).

وفي السنة 557 دخل ابن فضـلان الفقيه ، علي أخت له كان لها زوج فمات ، فتزوجت قبل انقضاء عدتها ، فدخل إليها ابن فضلان فضربها ، فتقـدمت امرأة في الـدار لتخلصـها منه ، فرفسـها برجله ، ولكمهـا بيـده ، فمـاتت المرأة ، وشـكاه أهـل المرأة ، فأنكر، وحلف . (التنظيم 203/10).

وفي السنة 599 توفي السـلطان غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغوري ، صاحب غزنة وخراسان والهند، فخلفه أخوه شـهاب الدين أبو المظفر محمـد بن سام الغوري ، فلم يحسن الخلافة علي أفراد عائلة أخيه ، وكانت لغياث الدين زوجة كانت مغنية ، فهويها وتزوجها ، فلما مات غياث الدين ، قبض شهاب الدين عليها وضربها ضربا مبرحا ، وضرب ولدها بن غياث الدين ، وزوج أختها ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وسيرهم إلي بلاد الهند ، فكانوا في أقبح صورة ، وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها أباها وأمها وأخاها ، فهدم المدرسة ، ونبش قبور الموتي ، ورمي بعظامهم منها . (ابن الأثير 181/12).

وفي السنة 607 اتهم شـخص اسـمه علي بن السـلار ، ويعرف بابن الدخينة ، بحادث سرقة أموال ، فاعتقل ، وزوجته وابنه ، وبناته ، وعذبوا، فماتت زوجته تحت الضرب. (الذيل علي الروضتين 76).

وضـرب الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي (ت 736) جارية السـلطان ، امرأة بكتمر الحاجب ، سـتمائة عصا ، وسبب ذلك لأنها اختلفت مع ضرتها وهي ابنة أقوش ، من أجل الميراث (الوافي بالوفيات 339/9).

وكان أبو جعفر محمد بن أبي العباس السفاح ، يلي البصرة ، ثم استعفي منها ، وقدم بغداد فمات بها ، فصرخت امرأته البغوم بنت علي بن الربيع : واقتيلاه، فضربها رجل من الحرس بجلويز علي عجيزتها ، فتعاوره خدم لمحمد ، فقتلوه ، فطل دمه . (الطبري 25/8).

وكانت لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر ، تحت الهادي ، فكلمته يوما

بإدلال ، فوثب عليها وضربها ضربة موجعة . (المحاسن والأضداد 118)

وفي السنة 196 لما وثب الحسين بن علي بن عيسي بن ماهان بالأمين وحبسه في قصر أبي جعفر بالمدينة (مدينة المنصور) وثب العباس بن موسي بن عيسي بأم جعفر (زبيدة أم الأمين)، وأمرها بالخروج من قصرها إلي مدينة أبي جعفر فأبت ، فدعا لها بكرسي ، وأمرها بالجلوس فيه ، وقنعها بالسوط ، فجلست فيه ، وأمر بها فأدخلت المدينة ، وضمت إلي ولدها الأمين . (الطبري 429/8).

ودخل أحدهم علي عنان ، وقد تناولها سيدها بضرب شديد ، وهي تبكي ، فقال : (المحاسن والأضداد 97).

إن عنان أرسلت دمعها****كالدر إذ ينسل من سمطه

فقالت عنان :

فليت من يضربها ظالما****تجف يمناه علي سوطه

وهربت عريب المأمونية ، من صاحبها عبدالله بن إسماعيل المراكبي ، فبت عليها العيون ، حتي إذا أمسك بها ، ضربها مائة مقرعة . (الاغاني 63/21)

وكانت شارية جارية إبراهيم بن المهدي ، إذا أضطربت في صوت ، عاقبها بأن أقامها علي رجليها عندما تغنيه ، فإن لم تبلغ الذي يريد ، ضربت جاريته الثانية ريق . (الأغاني 10/16).

وثمة قصة بالغة الطرافة ، جلدت فيها اميرة عباسية ، الحد، وهي أم أبيها بنت هارون الرشيد ، جلدها أخوها أبو إسحاق (المعتصم) بأمر من أخيها (المأمون) لأنها قذفت أخاها أبا علي بن الرشيد ، وقالت : إنه لم يلده الرشيد ، وإنما هو ابن فلان الفراش ، وتفصيل القصة أن الرشيد اشتري في يوم واحد جاريتين هما : شكل، وشذر ، فولدت شذر أم أبيها ، وولدت شكل، أبا علي ، وتحاسدت شكل وشذر ، وبلغت بهما العداوة أمرا عظيمة ، وماتتا ، واستمرت العداوة بين أم أبيها ، وأبي علي ، وأراد المأمون أن يصلح بينهما ، فجلس يوما وعمه إبراهيم وابنه العباس وأخوه أبو إسحاق (المعتصم) ، ووجه فاحضر أم أبيها ، وعاتبها علي عداوتها لأبي علي ، وهي مطرقة لا ترد جواب ، ولما دخل أبو علي إلي المجلس ، تنقبت أم أبيها ، فقال لها المأمون : كنت مسفرة، فلما حضر أخوك تنقبت ؟ ، فقالت : والله يا أمير المؤمنين ما هو لي بأخ ، ولا للرشيد بابن ، وما هو إلا ابن فلان الفراش ، فأمر المأمون، أخاه أبا إسحاق، فجلدها حداً، فقالت : سوءة يا أمير المؤمنين ، أن تحد أختك لابن الفراش ، وسننت علي بنات الخلفاء الحد ، ونهضت فقال المأمون : قاتلها الله ، لو كانت رجلا ، لكانت أقعد بالخلافة من كثير من الخلفاء . (الديارات 35– 37).

وكانت فريدة حظية الواثق العباسي ، فلما استخلف المتوكل ، وكان عدوا لأخيه ، أحضر فريدة ، وأمرها أن تغني ، فأبت ، وفاء للواثق ، فأقام علي رأسها خادماً، وأمره أن يضرب رأسها أبداً ، أو تغني (الأغاني 115/4)

وفي السنة 227 خرج ابو حرب المبرقع بفلسطين ، وكان سبب خروجه أنه كان غائبا ، وأراد أحد الجند أن ينزل في داره ، فمانعته إحدي محارمه في ذلك، فضربها بسوط كان معه ، فاتقته بذراعها ، فأثر فيه ، فلما رجع أبو حرب ، وعلم بما حصل ، أخذ سيفه ، وذهب الي الجندي ، فقتله ، وخرج

علي السلطان ، وجمع مائة الف محارب . (الطبري 116/9 -118).

وكان لابنـة من بنات محمـد بن راشـد الخناق ، لحية وافرة ، فدخلت مع نساء متنقبات إلي بعض الأعراس ، لتري العرس، وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة ، فصاحت : رجل ، والله ، فأقبل الخدم والنساء عليها بالضـرب ، فلم تكن لها حيلة ، إلا الكشف عن فرجها ، فنزعن عنها ، وقداكادت تموت . (الحيوان للجاحظ 115/1).

أقول : كان محمد بن راشد الخناق صديقاً لإسـحاق بن إبراهيم المصعبي ، أمير بغداد ، خصيصا به ، أثيرا عنده ، راجع بشأنه كتاب الديارات للشابشتي 41-42.

وذكر الجاحظ، أن إسـماعيل بن غزوان البصـري ، شد جارية له ، علي سـلم ، وضربها مائة سوط ، فقال له أبو إسحاق إبراهيم النظام : أشهد بالله ، إنك لضبع، راجع تفصيل القصة في كتاب الحيوان للجاحظ 117/5 -118).

ولما عزل الوزير الفرات عن الوزارة ، وقبض علي ولده المحسن ، قبض علي دنانير ورهبان جاريتي زوجة المحسن ، وضـربهما ابن بعد شـر ضربا مبرحا ، فأقرتا علي فرش وثياب صحاح ومقطوعة، كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش (الوزراء للصابي 69).

وكان أبو العباس الخصيبي في السنة 312 لما قبض علي الوزير ابن الفرات علي ديوان ضـياع السيدة أم المقتدر (تجارب الأمم 143/1)، وكـان قـد وقف علي مكـان زوجـة المحسن ، وهي بنت جعفر بن الفرات ، وأمها حنزابـة ، فسأل أن يولي النظر في أمرها واسـتخراج مالها ، فاسـتخرج منها سـبعمائة ألف دينار ، فتمهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ، ورشح للوزارة (تجارب الأمم 141/1)، فلما وقف أمر الخاقاني الوزير، أشارت السيدة والخالة (خالة المقتدر) باستيزار أبي العباس الخصيبي فوزر (تجارب

الأمم 143/1)، ثم وقف أمره ، فقبض عليه في السنة 314 وتقلد الوزارة علي بن عبسي (تجارب الأمم 149/1) ، وظهر أن الخصيبي ضرب النساء والحرم بالمقارع ، وأسلم زوجة المحسن إلي أفلح ، وهو شاب جميل الوجه فتزوج بها وهي في الحبس ، وأنه ضرب دولة أم ولد الوزير أبي الحسن بن الفرات بحضرته، كما ضرب ولدها الحسن بن أبي الحسن بن الفرات ، وقد عاب عليه علي بن عيسي هذه التصرفات وقال له : كيف أستجزت في الدين والمروءة ضرب حرم المصادرين؟، فلم يحر جوابا (تجارب الأمم 155/1 وابن الأثير 165/8).

وفي السنة 317 خلع المقتدر من الخلافة ، وبويع أخوه القاهر، وبعد يومين أعيد المقتدر إلي الخلافة ، وأحضر القاهر أمامه يبكي ويتوسل إليه أن يحفظ حياته ، فقال له المقتدر : لا يصل أحد إلي مكروهك وأنا حي ، ثم أسلمه إلي والدته ، فأحسنت إليه ، وأكرمته ووسعت عليه في النفقة ، واشترت له السراري والجواري ، وبالغت في إكرامة والإحسان إليه (ابن الأثير 207/8) ،فلما قتل المقتدر في السنة 320 واستخلف القاهر ، أحضر والدة المقتدر ، وكانت مريضة ، قد أنهكها الحزن لفقد ولدها وسألها عن مالها ، فأعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب ، فضربها أشد ما يكون من الضرب ، وعلقها برجلها وضرب المواضع الغامضة من بدنها (ابن الأثير 245/8) ثم أخذها علي بن يلبق ، وهي شديدة القلة لحزنها وللضرب الذي نالها من يد القاهر ، فأكرمها علي ، وبقيت عند والدته مكرمة مرفهة ، أياما وماتت (ابن الأثير 251/8).

وفي السنة 378 ضرب شكر الخادم ، جاريته الحبشية ، فغضبت وأخبرت السلطات بمكانه ، وتفصيل ذلك إن شكر الخادم ، كان أخص الناس بعضد الدولة البويهي ، وأقربهم إليه ، وكان يرجع إليه في قوله ، ويعول عليه ، وكان شكر منحرفا عن شرف الدولة في حياة أبيه ، فلما توفي عضد

الدولة ، قام شكر بأمر صمصام الدولة ، فازداد شرف الدولة حقد عليه ، ولما انحل أمر صمصام الدولة ، اختفي شكر عند رجل بزاز في رحبة خاقان ببغداد ، فلما مضت مدة أحضر شكر جارية له حبشية ، كان يثق بها ، وطلب منها أن تتولي خدمته ، وكانت هذه الجارية ، قد علق قلبها بهوي ، فكانت تغيب عن شكر في اكثر الأوقات الي حيث هواها ، وضجر شكر منها ، ومنعها من الخروج فلم تمتنع ، فضربها ، فأصاب وجهها، فخرجت من الدار غضبي ، ومضت إلي باب شرف الدولة ، وصاحت : نصيحة ، وأخبرتهم بموضع شكر الخادم ، فهجموا عليه وأخذوه ، وحمل الي شرف الدولة ، فاستوهبه نحرير الخادم ، وأخذه إلي داره ، وأحسن اليه ، وخرج إلي الحجاز للحج ، ثم عدل إلي مصر ، واستقر عند صاحبها ، لزيادة التفصيل راجع ذيل تجارب الأمم 145 - 147 وابن الأثير 57/9 وكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ج 4 ص 97 رقم القصة 4/ 45.

وفي السنة 382 قبض صمصام الدولة البويهي علي وزيره أبي القاسم العلاء بن الحسن ، وعلي كتابه ، وحواشيه ، وعلي ابنته زوجة العلوي الرازي ، وطولبوا أشد مطالبة ، وعوقبوا أشد معاقبة ، حتي تلفت أبنته ، وجماعة من أصحابه تحت الضرب (ذيل تجارب الأمم 247).

أقول : ابو القاسم العلاء بن الحسن ، من كبار الموظفين في دولة بني بويه ، واستوزره شرف الدولة في السنة 374 ، فلم يعن العناية المطلوبة بارضاء الحاشية ، فأفسدوا رأي شرف الدولة فيه ، فاعتقله وأخاه ، ثم أطلقهما بعد أشهر . وفي السنة 375 وافي مع شرف الدولة الأهواز ، ثم امتد إلي البصرة حيث وطد أمورها لشرف الدولة ، ثم عاد إلي شيراز ، ولما اعتقل شرف الدولة أخاه صمصام الدولة ، حبسه في إحدي القلاع تحت إمرة العلاء ، ولما مرض شرف الدولة ، أنفذ من يسمل عين صمصام الدولة ، فلما بلغ الرسول القلعة ، كان شرف الدولة قد مات ، فتوقف الموكل بالقلعة عن

تمكين الرسول من تنفيذ الأمر ، إلي أن أمره العلاء بن الحسن بإنفاذ الأمر ، فكان صـمصام الدولة يقول : ما سملني إلا العلاء ، لأنه أنفذ في أمر ملك قـد مات ، ولما مات شرف الدولـة تحير العلاء ، فكاتب صـمصام الدولة ، وكاتب أبا علي بن شـرف الدولة ، علي أن يبذل الطاعة لمن يصل أولا ، ووصل أبو علي ، ووقعت فتنة بين جنده الأتراك والديلم ، فانصـرف عن شـيراز ، ووافي صـمصام الدولة ، ولكن القائد فولاذ غلب علي أمره ، فانحـاز العلاء إلي الري ، وأخـذ كل من العلاء وفولاذ يـدس لصاحبه ، حتي تغلب العلاء ، وقر فولاذ ، فتبسط العلاء في الأمور ، وغلب علي أمر صمصام الدولة ووالدته ، فبالغ في إرضاء الحاشية ، ولكن فساد أمور الدولة أدي إلي نقص الأموال ، فلم يتمكن من إرضاء جميع أفراد الحاشـية ، فأئتمروا به ، وأغروا به صمصام الدولة ، فقبض عليه ، وعلي كتابه ، وحواشيه ، وعلي أهله ، وابنته زوجة العلوي الرازي ، وطالبوا أشـد مطالبـة ، وعوقبوا أشـد معاقبـة ، حتي تلفت ابنته وجماعة من أصـحابه تحت الضـرب ، وبقي العلاء معتقلا في بعض المطامير لا يعرف له خبر ، إلي قبض صـمصام الدولة علي من حل محله ، فعاد إليه ، وأمر به فأخرج من سـجنه ، وقد ضـعف بصره ، وصار إلي دار السـيدة أم صـمصام الدولة ، فعولج ، ثم خلع عليه ، ورد إلي الوزارة ، ولكن نيته لـم تخلص لصمصام الدولة ، بعد ما لحق به وبابنته وأهله ، فإنه أهلك الدولة بإقطاعات وزيادات وتمزيق للأموال وتسليم للأعمال ، ومات العلاء في السنة 387 بالأهواز ، للتفصيل راجع ذيل تجارب الأمم 101، 123، 150 ، 160 ، 163 ، 173 ، 190 ، 200، 246 و 247، 249 .

وفي السنة 386 أمر الوزير عيسـي بن نسـطورس (ت 387) بضـرب امرأة ثكلي ، فضـربت حتي سـقطت علي الأرض ، وسبب ذلك ، إن بعض سفن الأسطول بمصر ، احترقت ، فاتهم العامة الروم النصاري باحراقها ، وثاروا بهم ، فقتلوا منهم مائة وسبعة رجال ، ونهبوا أموالهم ، فأعلن الوزير

ص: 252

عيسـى بن نسـطورس أنه يجب رد ما نهب ، وتوعـد من تقاعس عن ذلك بالعقوبـة الشديـدة ، ثم جمع من إتهم بالإشتراك في النهب ، ونثر عليهم رفاعة ، في بعضـها الضـرب ، وفي بعضها القتل ، وأمضي في كل واحد منهم ، العقوبة المدونة في الرقعة ، ولما أخذ الوزير في السنة 387 ليقتل حسب ما أمر به الحاكم الفاطمي ، قال : إن الله لا يظلم أحـدا ، والله إني الأذكر ، وقـد ألقيت في السـنة 386 أوراقاً علي بعض المتهمين بالنهب ، وكان في بعضـها القتل ، وفي بعضها الضرب ، فأخذ شاب ممن كان فيهم رقعة كان فيها القتل ، فأمرت بقتله ، فصاحت أمه ولطمت وجههـا ، وحلفت إنهـا وابنهـا مـا كانا ليلـة النهب في شـيء من أعمال مصـر ، وإنما وردا إلي مصـر بعـد النهب بثلاثـة أيام ، وناشدتني الله تعالي أن أجعله ممن يضـرب بالسوط ، وأن يعفي من القتل ، فلم ألتفت إليها ، وأمرت بضـرب عنقه ، فقالت أمه : إن كنت لا بـد قاتله ، فأجعله آخر من يقتل ، لأتمتع به ساعـة ، فأمرت به ، فجعل أول من ضـرب عنقه ، فلطخت بدمه وجهها ، وسـبقتني إلي القصـر ، وهي منبوشـة الشـعر ، ذاهلة العقل ، فلما وافيت ، قالت لي : قتلته ، كذلك يقتلك الله ، فأمرت بها فضـربت حتي سـقطت إلي الأرض، ثم ترون الآن ماترون، راجع خبر مقتله في هذا الكتاب في الباب الحادي عشر (القتل) في الفصل الأول (القتل بالسيف) ، في القسم الأول (القتل فتكاً) . (خطط المقريزي 196/2).

وفي السنة 415 قبض علي الشـيخ العميـد محسن بن بـدوس ، وهو في ديوانه بالقـاهرة فاعتقل، وأخرج بالعشـي إلي مجاز القصـر الكبير ، فضـربت عنقه ، وهو يصيح ويستغيث ويقول : والله ، ما خنت ، ولا سرقت ، ولا غششت (اخبار مصر للمسجي 59) ثم اشتدت المعاقبة علي جواريه ، وطولبن بأمواله ، وضربن ضربا شديدا (اخبار مصر للمسجي 70).

وفي السنة 781 ظهرت في القاهرة أعجوبة ، خلاصتها أن حائطاً تكلم

في دار أحد الشهود واسمه أحمد الفيشي ، فقال له : اتق الله وعاشر زوجتك بالمعروف ، واشتهرت القصة عند أهالي القاهرة ، فقصدوا الدار ، وكـان الحائـط يكلمهم ، فأفتتن به الناس ، وكادوا أن يعبـدوه، فأحضـر المحتسب المرأة وزوجها ، وهـذه المرأة بالضـرب ، فأعترفت له أن الكلام من صـنعها ، وأنها اضـطرت لذلك ، لأن زوجها كان يسـيء معاملتها ، وكان معها شـخص من الفقراء اسـمه عمر بن الركن ، فرسم الاتابكي برقوق ، بضـرب الرجلين بالمقارع، وضـرب المرأة بالعصـي نحو سـتمائة ضـربة ، وأمر بهم فسـمروا الثلاثة علي جمال ، وشـهروا بالقـاهرة فبكي النـاس علي المرأة ، لأنها أركبت علي جمل ، ويـداها مسـتمرة علي الخشب ، وهي بازارها ونقابها ، ولـم يعهـد قط أن امرأة سمرت علي جمل . (بدائع الزهور 247/28).

وكـان الملك المنصور حاجي (ت 800) من الظالمين القساة ، وكان إذا ضـرب إحدي جواريه ، يتجاوز ضـربه لها الخمسـمائة عصا، وكان السـلطان برقوق إذا سـمع صـياح الجارية ، بعث يتشـفع لها ، فيضـطر المنصور أن يتركها، ولجأ أخيرة إلي حيلة ، وهي أنه إذا باشـر بضـرب إحـدي الجواري ، أمر فرقـة الموسـيقي عنـده ، فعزفت ، فلا يسـمع صـباح الجاريـة ، وعلم الملك الظاهر بـذلك ، فصار كلما سـمع عزف الموسيقي ، أرسل يتشفع في الجارية المضروبة . (النجوم الزاهرة 11/ 380 و 381) .

وفي السنة 836 توقي الأمير منكلي بغا الصالحي، وكان قد ولي حسـبة القاهرة ، في أيام المؤيد ، فشدد علي النساء ، والظاهر إنه كان يعذب النساء بالضرب حتي قيل : (الضوء اللامع 173/10).

لا تمسك طرفي****منكلي خلفي

علقتو مائتين**** قبل ما يعفي

وفي السنة 1013 لما حصل الإختلاف بين نصوح باشا ، والي حلب ، وبين حسين باشا جانبولاد الذي عين خلفا له ، أخذ نصوح باشا بنت الحسين

باشا ، وضـربها، فلما حصل الصـلح بينهما ، ألزموا نصوح باشا ، بأن يبدأ بزيارة حسين باشا ، باعتباره المعتدي لأنه ضرب إبنة حسين باشا ، فذهب إليه وصالحه (اعلام النبلاء 228/3 و 229) .

وممن عوقب بالضرب والحبس ، من النساء ، الأميرة الهندية جهان بيكم ، إبنة الأميرة سكندر بيكم أميرة بهوبال في الهند، فإن الأميرة جهان بيكم قـابلت في بيت أحـد أقاربهـا أميرة من أمراء البيت المالـك في دهلي ، أراد الإقتران بها ، وبلغ ذلك أنها الأميرة سـكندر بيكم ، فأمرت بابنتها ، فضربت ضربا مبرحا وحبستها في غرفتها أشهرا (أعلام النساء 201/2).

أقول : إن الأميرة جهان بيكم ، خلفت والـدتها سـكندر بيكم في حكم إمارة بهوبال ، علي أثر وفاة الوالـدة في السـنة 1285 هـ- 1868 م ، وكانت أمها سـكندر بيكم قد حجت ، ودونت ما جري لها في حجها ، في كتاب الفته بالانكليزية سـمته : الحج إلي مكة Piligrimage to Macca ، ولم يطبع الكتاب في حياتها ، وإنما طبعته ابنتها بعد وفاتها ، وقدمت للكتاب مقدمة أهدت الكتاب بموجبها إلي الملكة فكتوريا ، ملكة بريطانيه ، وعندي ، في مكتبتي ببغداد نسخة من هذا الكتاب ، وهو كتاب ممتع جدا .

وفي السنة 1235 سافر إبراهيم باشا بن محمـد علي باشا ، إلي القليوبية والمنوفية والغربية ، يطالب ببقايا الخراج ، فإذا في المطالبون ، قبض إبراهيم باشا علي من وجده من النسوة ، وضربهن ، وحبسهن (الجبرتي 611/3).

وفي السنة 1247 لما عزل داود باشا، وأسر ، وحل محله ببغداد ، الوزير علي رضا باشا اللاز ، واليا علي العراق ، انتصب لظلم الناس إثنان ، الملا علي الخصـي ، ومحمـد الليلاني ، وكانا من أشد الناس قسوة ، وقد عذبا حتي النساء ، ومن جملة من عذباه ، زوجة رضوان اغا ، ممن قتل من أنصار داود باشا ، إذ ضربوها بالفلقة ، وكووا بدنها بالسيخ المحمي (تاريخ العراق للعزاوي 13/7) .

ص: 255

الفصل الثالث عشر: تعذيب المرأة بالحبس

كان معاوية بن أبي سـفيان ، أول من مارس في الاسـلام ، تعذيب النساء البريئات بالحبس ، إنتقاما من أزواجهن ، وقد أسـلفنا إنه لما صالح الحسن ، اشترط علي نفسه أن لا يؤاخـذ أحـدا من أصـحاب علي ، بما كان منه قبل المصالحة ، فلما تمكن ، تتبع من كان من أنصار علي ، فقر منه عمرو بن الحمق الخزاعي ، فاعتقل امرأته ، وحبسها في سجنه بدمشق (بلاغات انساء 64 والديارات 179 و 180).

ولما حبس عبد الله بن الزبير ، محمد بن الحنفية ، في سجن عارم ، بعث المختار الثقفي جندة من العراق ، فكسروا باب السجن ، وأطلقوه ، فلما آستولي ابن الزبير علي العراق ، أمر أخاه المصعب ، أن يعتقل نسوة أولئك الجنود ، وأن ينفيهن عن بلده (الاغاني 150/15).

ولما بلغ المختار ، أمير الكوفة ، أن عبيد الله بن الحر الجعفي ، قد أغار علي الأنبار ، بعث إلي داره فهدمها ، وإلي امرأته أم سـلمة بنت عبدة بن الحليق الجعفية ، فحبسـها في السجن ، فجاء ابن الحر في مائة وثلاثين من أتباعه ، فدخل الكوفة ، وأخرج امرأته من السجن ، وأطلق كل من كان فيه (انساب الأشراف 293/5 و 294).

وفي السنة 126 في عهد هشام بن عبد الملك ، حصلت حرائق بالشام ، فاتهم أميرها ، آل خالد القسري ، فأمره هشام أن يعتقل آل خالد ،

ومواليهم ، حتي النساء ، فقدم بأولاد خالد بالجوامع (جمع جامعة ، وهو القيد الذي يجمع اليدين إلي العنق) ، ومن كان معهم من مواليهم ، وحبس أم جرير بنت خالد ، والرائقة ، وجميع النساء والصبيان ، ثم ظهر إن الحرائق من صنع آخرين ، فأخلي سبيل آل خالد . (الطبري 255/7 و 256).

ولما خالف الحارث بن سيرج ، أمراء خراسان ، اعتقلوا أهل بيته وحبسوهم ، فلما عاد إلي مرو في السنة 127 ، أطلق له نصر من كان معتقلا من أهله ، ومنهم ولده محمد ، وبنتيه الألوف ، وأم بكر (الطبري 309/7)

وفي السنة 187 قتل الرشيد جعفر البرمكي ، وحول الفضل أخوه ليلا فحبس في ناحية من منازل الرشيد، أما أبوهما يحيي فحبس في منزله ، ثم حبس الفضل ويحي ومحمد في دير القائم ، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين ، وصير معهم زبيدة بنت منير أم الفضل ، ودنانير جارية يحيي (الطبري 296/8 و297) .

وفي السنة 203 علم ابراهيم بن المهدي ، وكان قد بويع ببغداد ، بأن قائده عيسي بن محمد بن أبي خالد يفاوض قائد جيش المأمون في الإنحياز إليه ، فقبض عليه وضربه وحبسه ، وبعث إلي منزله فأخذ أم ولده وصبيانا له صغارا فحبسهم (الطبري 569/8 و571).

وكانت عريب المأمونية ، تتعشق محمد بن حامد ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، فلما وقف المأمون علي خبرها مع محمد بن حامد ، أمر بالباسها جبة صوف ، وختم زيقها ، وحبسها في كنيف مظلم شهرة لا تري الضوء ، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم ، ثم ذكرها ، فرق لها ، وأمر باخراجها ، وظلت علي محبة محمد بن حامد ، فزوجه المأمون بها (الاغاني 68/21 – 69).

وفي السنة 235 أطلقت من حبس سامراء ، خالة لإبن البعيث ، فلما أطلقت ، وخرجت من السجن ، ماتت فرحا من يومها (الطبري 171/9).

أقول : كان البعيث بن حلبس ، صعلوكا من صعاليك الوجناء بن الرواد ، صاحب قلعة شاهين ، من كورة أذربيجان ، ولما نشأ ولده محمد تغلب علي قلعة شاهي ، وهي حصينة في وسط بحيرة أورمية ، وعلي قلعة يكدر ، وهي خارج البحيرة، والقلعتان من نواحي أذربيجان ، وكان محمد بن البعيث مسالمة لبابك في أول حركته ، ثم أنحاز إلي جانب الجيش العباسي ، فلما ظفر الجيش العباسي ببابك وتمزقت جموعه ، حمل ابن البعيث إلي سامراء ، فحبس بها ، في حبس اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، ثم أطلق بعد أن قدم ثلاثين كفيلا، وأقام بسامراء ، ثم هرب إلي مرند ، وجمع أتباعا يزيدون عن الألف ، وحضن مرند ، فبعث إليه المتوكل جيوشأ، فقلها جميعها ، فشير إليه بغا التركي علي رأس أربعة الاف ، وطال الحصار علي ابن البعيث ، فأستسلم جل أصحابه ، ونزلوا بالأمان ، واقتحم الجيش مدينته ، وأسره، وحصل في يد السلطان من حرمه ثلاث عشرة امرأة ، وقدم بغا بابن البعيث وبقية الاسري الي سامراء ، وأمر المتوكل بقتل ابن البعيث ، ثم استبقاه وحبسه ، وصير في عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوبا علي وجهه ، حتي مات بعد شهر ، فتكلم بغا في ختن ابن البعيث ، واسمه أبو الأغر ، فأطلق ، وأطلقت خالة لابن البعيث ، فلما خرجت من السجن ، ماتت فرحة من يومها (الطبري 164/9 ، 165 ، 170 ، 171).

وفي السنة 252 أوقع مفلح بعبد العزيز بن أبي دلف ، خارج همدان ، ودخل مفلح الكرج ، فأخذ جماعة من آل أبي دلف أسراء ، وأخذ نساء من نسائهم يقال أنه كان فيهم أم عبد العزيز ، فأوثقهم . (الطبري 373/9) .

وفي السنة 255 لما ظهر صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني بالبصرة ، في أول أمره ، ودعا لنفسه ، طلبه الجند ، ففر منهم ، فأخذ جماعة

من أصـحابه فحبسوا ، وكان ممن حبس ، ابن صاحب الزنـج ، وزوجته أم ولـده ، ومعها ابنة له ، وجارية له حامل ، وظلوا محبوسـين ، حتي ظهرت فتنـة البلاليـة والسـعدية ، ففتحوا السـجون وأطلقوا من فيها ، فتخلص أفراد عائلـة صاحب الزنـج وأصـحابه فيمن تخلصوا ، فعاد إلي البصرة (الطبري 412/9)

في السنة 255 لما ظهر صاحب الزنـج ، وجد سـميرية ، فأخذ الملاحين ، فأخبروه بأن عقيل الأبلي ، حملهم علي أتباعه قسـرة ، بأن حبس نساءهم حتي اضطروا لأتباعه ، وأنه فعل ذلك بجميع من تبعه من الملاحين (الطبري 423/9)

وفي إحـدي المعارك بين الجيش العباسـي وصاحب الزنـج ، دخل الجيش العباسـي قصـر صاحب الزنـج ، وأخـذوا حرمه وأولاده الذكور والاناث ، وأحرقوا داره ، وحمل أولاده ونساؤه ألي الموفقية في التوكيل (أي الاعتقال) (شرح نهج البلاغة 206/8).

وفي السنة 300 قبض علي دسـتنبويه أم ولـد المعتضـد ، ولم يكن في دار الخليفـة أجل منها ولا أكرم نفسا ولا انصف في معاملـة ، تعطي التجـار الأربـاح الواسـعة ، وكـان لهـا عنـد المقتـدر محل عظيم ، وكانت تنكـد علي أم المقتـدر ، وتـدل بمحلها ومنزلتها التي كانت عند المعتضد، ففسد أمرها عند أم المقتدر ، وتم القبض عليها . (العيون والحدائق ج 4 ص 1 ص 249).

وفي السنة 306 لمـا قبض المقتـدر علي الوزير ابن الفرات وعلي أولاده وكتابه ، قبض علي دولـة أم ولـد ابن الفرات وعلي الحسن ابنها منه واعتقلوا . (الوزراء للصابي 39).

ومما عيب علي أبي العباس الخصيبي أنه حبس بنت جعفر بن الفرات ، أرملة المحسن ، وعين علي الحبس شاب اسمه افلح ، فتزوج بها في حبسه . (تجارب الأمم 155/1).

وفي السنة 319 نفر مؤنس من الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله وزير المقتدر ، وخرج وجنده إلي باب الشماسية (الصليخ)، وبعث بخادمه بشري برسالة إلي المقتدر ، فلما حصل في دار السلطان، قال له الوزير : هات الرقعة التي معك ، فقال له : ليس معي رقعة ، وإنما معي رسالة ، قال : فاذكرها ، قال : قد أمرت ألا أذكرها إلا للخليفة ، فوجه المقتدر إلي بشري ، يأمره أن يؤدي الرسالة الي الوزير ، فقال بشري : حتي أمضي إلي صاحبي وأستأذنه في ذلك وأعود ، فشتمه الوزير ، وشتم صاحبه ، وأمر به ، فضرب بالمقارع ، وحبسه ، ووجه إلي داره ، وقبض علي امرأته ، وصادرها ، وحمل ما في الدار . (تجارب الأمم 222/1) .

ولما قبض القاهر علي مؤنس وبقية القواد ، وقتلهم ، سأل عمن يصلح للوزارة فدل علي أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيدالله، فاستوزره مدة قصيرة ثم قبض عليه وعلي أولاده وعلي حرمه وعلي أخيه ، فمات في حبسه . (ابن الأثير 262/8).

وفي السنة 321 قبض القاهر علي مؤنس ، ويلبق ، وولده علي ، وابن مقلة وآخرين ، ووكل بحرمهم ، وأمر بنهب دورهم . (ابن الأثير 256/8).

وكان المتقي الله قد أصعد إلي بني حمدان في الموصل ، ثم عاد إلي بغداد ، في السنة 333 فتلقاه توزون ، وأنزله في خيمته ، وقبض علي أمه ، وحاشيته ، ثم سملت عينه بحضرة « علم » قهرمانة خلفه المستكفي . (تجارب الأمم 2/ 72).

وفي السنة 336 كان محمد بن عبد الرزاق عاملا علي طوس وأعمالها ، فخالف علي الأمير نوح الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، فأمر نوح قائده منصور بن قراتكين ، بأن يسير إلي محمد بن عبد الرزاق ، وأن يطرده عما بيده من الأعمال ، فسار إلي نيسابور ، ثم إلي اسقوا ، وطرد

محمـدا منها ، ثـم قصد طوس وكان بها رافع بن عبد الزراق ، ففر رافع منها ، واحتمي بقلعة درك ، فحصـره منصور ، فهرب منها ، ولما احتل منصور قلعة درك ، وجد بها عيال محمد بن عبد الرزاق ووالدته ، فانفذهم الي بخاري ، فاعتقلوا بها (ابن الأثير 470/8 - و471).

وفي السنة 352 لما توفي الوزير المهلبي ، وزير معز الدولـة البويهي ، قام أبو الفضل العباس بن الحسـين الشـيرازي ، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، باعتقال السيدة تجني ، زوجة الوزير المهلبي ، وطالباها بيان ما خلفه زوجها من أموال ومدخرات ، من أجل مصادرته ، فتلت في إخبارهما ، فأمرا بضـرب ولـدها أبي الغنائم ابن الوزير المهلبي ، بين يـديها ، فبكي من عرفها مما يتم عليها ، وقالت : إن مولاي المهلبي فعل بي هذا، حتي استدعي الات العقوبة لزوجة أبي علي الطبري ، لما قبض عليها بعد وفاته ، ثم أذعنت ، واستدعت أبا العلاء بن أبرونا ، الطبيب النصـراني ، وكان كاتب سـر المهلبي ، وكان قد ضـرب وعذب ، وطالبوه بأن يدلهـم علي مخلفات المهلبي ، فلم يقر بشيء، فأحضر أبو العلاء ، محمو" في سبنية (شبلية) بين أربع فراشين ، لا يستطيع الحركة ، لما ناله من شدة الضرب ، فجعلت السيدة تسأله ، وهو يجيبها ، ويخبرها بمكان المخبات ، فقال له من حضـر : ويحك ، ألست من الآدميين، تقتل هذا القتل ، ويفضـي حالك الي التلف ، وأنت لاـ تقر ؟ فقـال : يـا سـبحان الله ، أكون ابن أبرونـا الطبيب الفصاد علي الطريق بـدانق ونصف ، يأخـذني الوزير أبو محمـد ، ويصـطنعني ، ويجعلني كـاتب سه ، ثم أطلع النـاس علي ذخيرة ذخرهـا لولـده ؟ مـا كنت الأفعـل هـذا ولو هلكت ، راجع القصـة في نشوار المحاضـرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج 4 ص 123- 124 رقم القصة 58.

أقول : أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، الذي اعتقل السيدة

تجني ، هو صنيعة الوزير المهلبي ، وزوج ابنته زينة وأمها السيدة تجني ، فأفت وتف .

وفي السنة 360 عزل عز الدولة بختيار البويهي ، وزيره أبا الفرج محمد بن العباس بن فسانجس ، وقبض علي حرمه وأسبابه ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج 2 ص 219 رقم القصة 113.

وفي السنة 431 أتهم باديس صاحب غرناطة ، أبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني بالتآمر ضده ، ففر منه ، فقبض باديس علي زوجة أبي الفتوح ، وعلي ولديه الطفلين ، وحبسهم عند صاحب عذابه ، فاضطر أبو الفتوح إلي العودة مستسلمين إلي باديس ، ثم قتله (الأحاطة) .

وفي السنة 440 توقي الملك أبو كاليجار ، وخلفه ولده الملك الرحيم ، واستولي أخوه أبو منصور علي شيراز ، فسير اليه الملك الرحيم جيشا ، فاستولي علي شيراز، واعتقل الأمير أبو منصور ووالدته . (ابن الأثير 547/9 ـ 548)

وفي السنة 451 انحدر البساسيري إلي واسط ، ومعه في أسره والذة الخليفة ووالدة الأمير أبي القاسم عدة الدين ، ووصال قهرمانة الخليفة، فلما قتل البساسيري، أنفذ السلطان من أحضرهن من واسط . (المنتظم 211/8)

وفي السنة 459 حجت الحرة الصيلحية ، أسماء بنت شهاب اليمانية ، مع زوجها علي بن محمد الصليحي ، ملك اليمن ، فقتل زوجها في أم الدهيم ، وأسرها سعيد الأحول ، قاتل زوجها ، فأركبها في هودجها ، وجعل أمام الهودج رأس زوجها، ورأس أخ لزوجها قتل معه ، وأقامت في الأسر

ص: 263

ثمانيـة أشـهر ، ورأس زوجها ، ورأس أخيه ، معلقان أمام طاقـة دارها ، ثم علم ابنها بخبرها ، فأقبل في جيش ، وظفر بقتلة أبيه ، وأنقذ أمه من الأعتقال (الاعلام 299/1) .

وفي السنة 493 وقعت معركـة بين كمشـتكين بن الدانشـمند، صاحب ملطيـة وسـيواس ، وبين بيمند الأفرنجي ، من مقدمي الإفرنج، وهو صاحب أنطاكية ، فانهزم بيمند، وأسـر ، وفي السنة 495 أطلق الدانشـمند سراح بيمند ، وأخذ منه مائة ألف دينار ، وشرط عليه إطلاق سراح ابنة باغي سيان الذي كان صاحب انطاكية ، وكانت في أسره (ابن الأثير 435/10).

وفي السنة 493 وقعت حرب بين الإخوة بركياروق من جهة ، وسـنجر ومحمد من جهة اخري ، وهـم أولاد السـلطان ملكشاه السـلجوقي ، فأسـر أصـحاب بركياروق أم أخويه سـنجر ومحمد ، فأكرمها ، وقال لها : إنما ارتبطتك ليطلق أخي من عنده من الأساري ، فانفذ سنجر من كان عنده من الأساري ، فأطلقها . (المنتظم 113/9).

وفي السنة 496 توفيت بنت الخليفة القائم (توفي القائم سـنة 467) وهي التي كان قد تزوجها السـلطان طغرلبك ، وكان الخليفة المستظهر (470 – 487 – 512) قد ألزمها بيتها، لأنه أبلغ عنها أنها تسعي في إزالة دولته . (ابن الأثير 366/12).

وفي السنة 555 توفي المقتفي ، وخلفه ولده المستنجد، فأمر بأخيه أبي علي ، فحبس ، وحبست معه أمه ، أتهمهما بأنهما حاولا اغتياله ، لما أشرف أبوه علي الوفاة . (ابن الأثير 257/11).

وفي السنة 557 قبض علي ابن الشمحل، وحبس عند أستاذ الدار ، ونقل ما في داره ، وقبض علي زوجته بنت صاحب المخزن ابن طلحة. (المنتظم 203/10).

ص: 264

ولما ثار الأمير هلاجون ، بمدينة لاهور ، علي السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، وحاربه الوزير خواجه جهان، ودخل مدينة لاهور ، أخذ من نساء المخالفين نحو ثلثمائة امرأة ، وسجنه في حصن كاليور. (مهذب رحلة ابن بطوطة 102/2).

وفي السنة 795 هاجم تيمورلنك بغداد ، ففر منها السلطان أحمد بن أويس وحريمه وحاشيته ، فأرسل تيمور وراءهم من يتبعهم ، ففاتهم السلطان أحمد، ووقع أسيرة في يد تيمور الأمير علاء الدولة ابن السلطان أحمد ، ونساء السلطان أحمد ، فاعتقلهم تيمور ، ونقلهم إلي سمرقند (التاريخ الغياثي 187- 188).

وفي السنة 893 جهز السلطان يعقوب بن السلطان حسن الطويل جيشا لمحاربة الشيخ حيدر الصفوي ، فقتله ، وحبس أولاده علي وإبراهيم وإسماعيل ، وأمهم حليمة بيكم في شيراز . (تاريخ العراق للعزاوي 271 -270/3)

وكان الشيخ حيدر ابن عمة السلطان يعقوب ، لأن أم حيدر هي شقيقة السلطان حسن الطويل (تاريخ العراق للعزاوي 272/3).

وغضبت الأميرة سكندربيكم ، أميرة بهوبال، بالهند (ت 1285ه- 1868 م) علي ابنتها الأميرة جهان بيكم ، لأنها قابلت في بيت أحد أقاربها ، أميرة من أمراء البيت المالك في دهلي ، جاء ليخطبها ، فحبستها في غرفتها عدة أشهر ، بعد أن ضربتها ضربا مبرحا . (أعلام النساء 201/2).

وفي السنة 1327 اعتقل السلطان عبد الحفيظ، صاحب المغرب ، الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وحبسه وحبس معه جميع أفراد عائلته حتي النساء ، وكان سبب ذلك أن الفقيه لما بايعه اشترط عليه أن يتقيد بالشوري ، فحقدها السلطان عليه ، فعزم الفقيه علي مبارحة المغرب ،

ورحـل بـأهله جميعهم ، فأعاده السـلطان بالأمان ، ثم غـدر به فحبسه ، وحبس معه جميع أفراد عائلته حتي النساء ، ثم جلـده، وحمل الي فاس الجديدة فمات فيها (الأعلام 83/7).

وأدركت البغـداديين ، وهم إذا تحـدثوا عن امرأة أودعت السـجن ، قالوا عنها : أخـذوها لبيت كراوي ، وكان كراوي هـذا مقيمـة في الجانب الغربي من بغـداد ، أي الكرخ ، وكانت الحكومـة العثمانية في ذلك الحين ، تودع النساء المعتقلات في بيته ، وتؤدي له عن كل رأس ، عددا من القروش ، من أجل حفظ السجينة واطعامها . (طرائف 946).

ص: 266

الفصل الرابع عشر: اشهار النساء

كان الإشهار أحد الوان العذاب التي تفرض علي النساء الماجنات ، ويكاد يكون مقصورة عليهن .

ولعل أول امرأة أشهرت في الإسلام ، علي ما ذكروا ، كانت أم أشعب الطماع ، إذ شهد عليها بالزنا ، فحلقت ، وأشهرت علي جمل، وأمرت أن تنادي علي نفسـها ، فكانت تنادي : من رآني فلا يزنين ، فصاحت بها امرأة : يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عن هذا ، فعصيناه ، فهل نطيعك أنت ، وأنت مجلودة ، محلوقة ، يطاف بك علي جمل ؟ (الأغاني 135/19 – 137).

في السنة 467 تقدم ببغداد ، فخر الدولة، إلي المحتسب بالحريم (حريم دار الخلافة)، بنفي المفسدات ، وبيع دورهن، فشهر جماعة منهن علي الحمير ، مناديات علي أنفسهن، وأبعدهن إلي الجانب الغربي (المنتظم 294/8)

وفي السنة531 أشهر في أسواق بغداد أربع نسوة ، علي بقر السفائين ، مسودات الوجوه ، لأنهن شربن المسكر في الشط مع رجال (المنتظم 69/10).

وفي السنة 559 شهرت امرأة ، تزوجت بزوجين ، ومعها أحدهما . (المنتظم 208/10).

وفي السنة 781 رسم الأتابكي برقوق بالقاهرة ، فاشـهرت امرأة ، أوهمت الناس بوجود أعجوبة في بيتها ، خلاصتها أن كلاماً يصدر من وراء أحد حيطانه ، فأركبت علي جمل ، ويداها مسـتمرة علي الخشب ، وهي بازارها ونقابها ، ولم يعهد قط أن امرأة سمرت علي جمل . (بدائع الزهور 247/2/1)

وفي السنة 782 ظهر علي امرأة بالقـاهرة ، أنها تروجت برجلين في وقت واحـد، فشـهرت علي جمل، وطيف بها في القاهرة ، وعلي رأسـها طرطور احمر ، ونودي عليها : هذا جزاء من تتزوج رجلين في الإسلام . (بدائع الزهور 254/2/1).

وأخـذت امرأة أخري، في زنـا ، وطيف بهـا مشـهرة علي جمـل ، ورآها بعض المجان ، فقال لها : كيف خلفت الحاج ؟ قالت : بخير ، وقد كانت أمك معنا ، فخرجت في النفر الأول. (الملح والنوادر للحصري 93).

وفي السنة 923 بعـد مبارحـة السـلطان سـليم القاهرة ، أشـهروا أربع نسوة علي حمير ، ووجوههن ملطخـة بالسواد، قيل أنهن كن يجمعن عندهن جماعة من التراكمة في رمضان ، ويعرصن ، عليهم مع النساء الأجانب . (بدائع الزهور 211/5).

ص: 268

الفصل الخامس عشر: انتحار المرأة

الانتحار عند العرب ، من الأمور النادرة ، وهو ما بين النساء أندر .

وأول ما ورد إلينا من أخبار انتحار المرأة ، ما تناقله الرواة عن انتحار الباء ، ملكة تدمر والجزيرة ، وقد وليت تدمر بعد مقتل أبيها ، فهزمت الرومان ، وقتلت جذيمة الأبرش ، فأحتال ابن أخته عمرو بن عدي ، حتي اقتحم عليها قصرها ، وهم بقتلها ، فامتصت سما ، فماتت ، وقالت الكلمة التي ذهبت مثلا : بيدي ، لا بيد عمرو (الاعلام 71/3).

وفي السنة 89 فتح محمد بن القاسم الثقفي السند، وقتل ملكها داهر ، وكان في إحدي مدن السند امرأة لداهر ، فلما حصرها محمد ، خافت أن تؤخذ، فأحرقت نفسها، وجواريها، وجميع مالها (ابن الأثير 538/4)

ونثبت في هذا البحث ، بإعجاب واحترام ، مصير فتاتين عربيتين عاشتا عيشة كريمة ، وماتتا ميتة نبيلة ، هما جميلة إبنة ناصر الدولة الحمداني ، وزينة ابنة الوزير أبي محمد المهلبي .

في السنة 371 انتحرت جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني ، بأن ألقت نفسها من جسر بغداد إلي دجلة ، فغرقت نفسها ، وكانت مثلا من أمثلة الكرم والترفع وإسباغ المعروف ، وكانت شريكة أخيها أبي تغلب في الأمر والنهي ،

وحجت في السنة 266 فصارت حجتها تاريخاً، لأنها أقامت فيها من المروءة ، وفرقت من الأموال ، وأظهرت من المحاسن ، ونشرت من المكارم ، ما لا يوصف ، وذكر أنها وصلت إلي الحجاز ، ومعها أربعمائة عمارية لا يدري في أيتها كانت ، وأعدت معها خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحاج ، وأستصحبت البقول مزروعة في مراكن الخزف ، فضلا عما سواها ، وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد والثلج ، ونثرت علي الكعبة لما شاهدتها عشرة آلاف دينار، وأعتقت ثلثمائة عبد ، ومائتي جارية ، وخلعت علي الناس خمسين ألف ثوب ، وأغنت المجاورين بالصلات الجزيلة ، وكان عضد الدولة ، قد خطبها ، فترفعت عليه ، وأبت أن تتزوجه ، وضرب الدهر ضرباته ، واستولي عضد الدولة علي بلادها في الموصل ، فأفضت بها الحال إلي كل قلة وذلة ، وتكشفت عن فقر مدقع ، فلما وقعت في يد عضد الدولة ، تشفي منها ، وبالغ في إيذائها ، وطالبها بأموال ، وألزمها بأن تختلف إلي دار القحاب لتتكسب فيها ما تؤديه في مال مصادرتها ، فلما أبلغت بذلك ، انتهزت غفلة الموكلين بها ، وهم يعبرون بها الجسر ، وألقت نفسها في دجلة ، رحمها الله . (لطائف المعارف 83).

وكانت زينة المهلبية ، قد انتقلت من عز إلي عز، من عز أبيها أبي محمد المهلبي ، وزير صاحب العراق ، إلي عز زوجها أبي الفضل العباس بن الحسين ، الذي وزر لصاحب العراق بعد أبيها المهلبي ، وكانت قد بلغ بها الحال ، أن اتخذت الجواري الأتراك حجابا لها في زي الرجال ، علي ما جري به رسم السلطان ، وكان لها كتاب من النساء ، مثل سلمي النوبختية ، وعائشة بنت نصر القشوري الذي كان حاجب المقتدر، وغيرهما من القهارمة ، ومن يتصرف في الأعمال تصرف الرجال ، وكان لها كرم وجود بالأموال ، فلما قبض علي زوجها أبي الفضل ، في وزارته الثانية لبختيار البويهي بن معير الدولة ، ووزر ابن بقية ، اختفت زينة ، وسائر أسبابها،

فجعلت عليها العيون في كل مكان ، وحمل زوجها الوزير إلي الكوفة ، فأقام يسيرا ومات ، ولم يزل بختيار يطلب زينة وأسبابها ، وكان سبب اختفائها منه إنه راسلها لما قبض علي زوجها ، يطلب منها أن تترك زوجها ، وأن تتزوج به ، فردت عليه أقبح رد ، وأنكرت ذلك ، فكان ذلك سببا لاختفائها ، وكان لها من الذخائر والودائع في أيدي جماعة ، مما كان يغني كثيرا من الناس ، فلما بلغ بها الأمر هذا المبلغ ، طمع كل واحد بما في يده ، وغدروا بها ، وبعد اليأس من العثور عليها ، طهر بظاهر الخلد ، بقرب محلة تعرف بالتسترين ، فرد محمل مغطي ، فيه امرأة في أخلاق ، وعند رأسها رقعة مكتوب عليها : زينة بنت الحسن بن محمد المهلبي الوزير ، فوافي القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الهاشمي المعروف بالزينبي ، وكانت أختاها تحت ولديه أبي الحسن وأبي القاسم ، فحملها إلي داره ، وتوتي من أمرها ما يجب المثلها ، ودفنها في مقابر قريش (الكاظمية) (الملح والنوادر 279).

وفي السنة 479 حصر السلطان ملكشاه السلجوقي ، قلعة جعبر، وكان قد تحصن بها سابق بن جعبر ، ففتحها، وقتل عامة أهلها، وقبض علي سابق وأراد قتله ، فوقعت عليه زوجته ، وقالت : لا أفارقه ، أو تقتلوني معه ، فألقوه من أعلي السور ، فتكسر ، وقطع بالسيف إلي نصفين ، فألقت زوجته نفسها وراءه ، فسلمت ، فقال لها السلطان : ما حملك علي هذا ؟ فقالت : إنا قوم لم يتحدث عنا بالخنا ، فخفت أن يخلو بي الترك في القلعة ، فيقول الناس ما شاءوا ، فاستحسن ذلك منها . (المنتظم 28/9).

وفي السنة 486 كان ابراهيم بن قريش بن بدران ، يملك الموصل، فحاربه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فظفر تتش، وأسر ابراهيم وجماعة من أمراء العرب ، فقتلوا صبر ، وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن ، خوفا من الفضيحة (ابن الأثير 221/10) .

وفي السنة 500 حصـر السـلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، قلعة شاه دز ، بالقرب من أصبهان ، وكان صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، رأس الباطنية ، ثم فتحها ، وأخذ ابن عطاش أسيراً ، فشهره ، وسلخ جلده ، وحشاه تبنأ ، وقتل ولده ، أما زوجته فإنها ألقت نفسها من رأس القلعة ، فماتت منتحرة (ابن الأثير 430/10 – 434).

ولما توفي السـلطان خليل، الـذي خلف جده تيمورلنك ، بالري ، عمدت زوجته شاد ملك ، إلي خنجر فنحرت به قفاها ، فماتت ، ودفنا في قبر و احد . (تاريخ العراق للعزاوي 283/2)

وروي لنا الفارس أسامة بن مرشد الكناني (488 – 584) ، قصة انتحار فتاة كردية اسمها رفول ، قال : كان في جند الجسر ، رجل كردي ، يقال له أبو الجيش ، له بنت اسـمها رفول ، سباها الإفرنج ، وهو قد توسوس عليها، يقول لكل من لقيه : سبيت رفول ، فخرجنا من الغد ، نسير علي النهر ، فرأينا في جانب الماء سواد ، فقلنا لبعض الغلمان : اسبح ، أبصر ما هذا السواد ، فمضي إليه ، فإذا ذلك السواد رفول ، عليها ثوب أزرق ، وقد رمت نفسـها من علي فرس الافرنجي الذي أخذها فغرقت ، وعلق ثوبها في شـجرة صفصاف ، فسكنت لوعة أبيها أبي الجيش . (الاعتبار 149 و150).

وفي السنة 618 لما تصادم جيش التتار ، مع جيش خوارزم شاه ، علي نهر السند ، انكسر خوارزم شاه جلال الدين ، وولي منهزمة ، وأسر له ولـد طفل ، ابن سـبع أو ثمان سـنين ، فقتل بين يـدي جنكيز خان صبرة ، وأبصـر جلال الـدين ، أمه ، وأم ولـده ، وجماعة من حرمه ، علي شاطيء نهر السند ، فصرخن فيه : بالله عليك ، أقتلنا، أو خلصنا من الأسر ، فأمر بهن فغرقن في النهر ، وهو ينظر ، وهذه من عجائب البلايا ، ونوادر المصائب والرزايا (المختصر في تاريخ البشر 150/3) .

وفي السنة 684 انتحرت امرأة في بغداد غرقاً ، بأن ألقت نفسـها من الجسر إلي دجلة ، وسبب ذلك إن الأسعار غلت في بغداد فبلغ الكرمن الحنطة 180 دينارة وكر الشعير 100 دينار وبيع الخبز 3 أرطال بدرهم ، وباع القوم الضعفاء أولادهم ، وألقت امرأة نفسها إلي دجلة وكانت علي الجسر تطلب ، فلم يعطها أحد ، فآثرت إتلاف نفسها (الحوادث الجامعة 446) .

ومما يـدخل في بحثنا هذا ، ما كانت تصـنعه النساء الهنديات ، من الانتحار باحراق أنفسـهن بالنار ، إما مع أزواجهن ، وإما إذا ترملن ، وقد قص علينا ابن بطوطة في رحلته 9/2 و97 قصة هنديات انتحرن مع أزواجهن ، وفي رحلته 20/2 – 22 قصة هنديات ترملن فانتحرن باحراق أنفسهن بالنار .

فالقصة الأولي : إن أميرة مسـلمة ، من اقرباء السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، فر منه ، والتجأ إلي ملك هندوسي ، فطلبه السلطان منه فأبي أن يسلمه ، فحاربه ، فانكسر الهندوسي ، فحرص قبل كل شيء أن يوصل الأمير الذي التجأ إليه إلي مأمنه ، ثم انتحر هو ورجال حاشيته ، ونساؤهم ، بأن أججـ نارة ، وكانت المرأة منهن تغتسل ، وتـدهن بالصـندل ، وتقبل الأرض بين يـدي الملك ، ثم ترمي بنفسـها في النار ، حتي هلكن جميعا. وأما الملك ورجاله ، فإنهم اغتسـلوا ، ولبسوا سـلاحهم واشـتبكوا مع جيش السـلطان في معركة ضارية اسـتقتلوا فيها ، فقتلوا جميعا .

والقصة الثانية ، تتعلق بالأرملة ، تحرق نفسـها بعد وفاة زوجها ، وهم إذا كانوا ببلد سلطان الهند المسلم ، استأذنوه في إحراقها ، فيأذن لهم ، فيحرقونها ، ويقول ابن بطوطـة ، إن المرأة ، لا تكره علي إحراق نفسـها ، بعد موت زوجها ، ولكنها إذا قامت بذلك أحرز أهلها شـرفا بذلك ، ونسبوا إلي الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ، ممتهنة ، لأنها تتهم بعدم الوفاء .

وروي قصة ثلاث نسوة ، تعاهدن علي أن يحرقن أنفسهن ، لما توفي أزواجهن ، فأقمن قبل ذلك ثلاثة أيام ، في غناء ، وطرب ، وأكل وشرب ، كأنهن يودعن الدنيا ، وتأتي النساء إليهن من كل جهة ، وفي صبيحة اليوم الرابع ، أركبوا كل واحدة منهن فرساً ، وهي متزينة ، متعطرة ، وفي يمناها جوزة نار جيل تلعب بها، وفي يسراها مرآة تنظر فيها إلي وجهها، والبراهمة ، يجفون بها ، وأقاربها معها، وبين يديها الأطبال ، والأبواق ، والأنقار ، وكل إنسان من الكفار يقول لها : أبلغي السلام أبي ، أو أخي، أو أمي ، أو صاحبي ، وهي تقول : نعم ، وتضحك لهم .

قال : وركبت مع أصحابي ، لأري كيفية صنعهن في الإحتراق ، فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال ، وانتهينا إلي موضع مظلم كثير المياه والأشجار ، متكاثف الظلال ، وبين أشجاره أربع قباب ، في كل قبة صنم من الحجارة ، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال ، وتزاحمت الأشجار ، فلا تتخللها الشمس ، ولما وصلن إلي القباب ، نزلن الي الصهريج ، وانغمسن فيه ، وجردن مما عليهن من ثياب وحلي ، فتصدقن به ، وجيء لكل منهن بثوب قطن خشن ، غير مخيط ، فربط بعضه علي وسطها ، وبعضه علي رأسها وكتفيها ، والنيران قد أضرمت علي قرب من ذلك الصهريج ، في موضع منخفض ، وصب عليها زيت الجلجلان ، فزادها أشتعالا ، وهناك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار ، وأهل الأطبال ، والأبواق ، وقوف ينتظرون مجيء المرأة ، وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم ، لئلا يدهشها النظر إليها ، فرأيت إحداهن ، لما وصلت إلي تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف ، وقالت لهم ، وهي تضحك : أبالنار تخوفونني ؟ أنا أعلم أنها نار محرقة ، ثم جمعت يديها علي رأسها خدمة للنار ، وألقت بنفسها فيها ، وعند ذلك ضربت الأطبال والأنقار والأبواق ، ورمي الرجال ما بأيديهم من

الحطب عليها، وجعل الآخرون ، تلك الخشبات من فوقها لئلا تتحرك ، وارتفعت الأصوات ، وكثر الضجيج .

وكان جزونت سنك ، من اكبر الشخصيات الحاكمة ، في عهد السلطان أورنك زيب ، سلطان الهند (1119-1098)، وكان يقيم بكابل، ومات بقرب حصن أتوك ، فصممت زوجته أن تحرق نفسها يوم وفاته عملا بعوائد الهندوس ، فمنعت من ذلك ، لأنها كانت حاملا بسبعة أشهر ، وتقدمت زوجته الأخري ، وسبع من جواريه ، وأحرقن أنفسهن ، ولما ولدت زوجته الأولي غلاما ، لم ترد أن تبقي بعد زوجها، رغما عن وجود رضيع لديها ، فأحرقت نفسها . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 148).

ولهذه السيدة التي أصرت علي إحراق نفسها ، موقف عجيب من مواقف البطولة ، فإن زوجها جزونت سنك ، كان قائد جيش دارا ، أخي السلطان أورنك زيب، ونشبت بين الجيشين معركة، فانكسر جيش دارا، وآنفل جمعه ولما عاد القائد جزونت سنك إلي داره ، رفضت زوجته قبوله ، ورفضت أن تصدق أنه بذل كل ما في وسعه ، وقالت له : أن الراجبوتي ، وخصوصا من كان من عائلة مثل عائلتك ، يجب أن ينتصر ، أو يموت ، ورتبت جنازة ، ودارت بها في شوارع المدينة، معتبرة أن زوجها قد مات ، وبعد مرور مدة طويلة ، رضيت أن تغفر له زلته . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 108)

ولما تسلطن ، في الهند، السلطان جلال الدين أبو الفتح محمد أكبر شاه ، (حكمه 963-1014) كان من جملة إصلاحاته أن منع إحراق الأرملة إذا توفي زوجها الهندوسي (الاسلام والدول الاسلامية في الهند 65).

وفي السنة 1390 (1970 م) نشرت الجرائد خبر انتحار أم ، انتحرت

بإلقاء نفسها من الطابق الأعلي ، في أحد مستشفيات روما ، بايطاليا ، وسبب ذلك أنها كانت قد أحضرت ولدها الشاب الذي فقد بصره ، إلي المستشفي ، لإجراء عملية ترقيع القرنية ، لإعادة بصره إليه ، فأخبرها الأطباء ، أن إجراء العملية غير متيسر ، إذ لا توجد في المستشفي قرنية جاهزة ، فطلبت منهم أن يقتطعوا قرئية إحدي عينيها لترقيع عين ولدها، فامتنعوا ، واعتذروا لها بأنه لا يجوز لهم إتلاف بصر إنسان ، لا صلاح بصر آخر غيره ، وأن علي ولدها الشاب أن ينتظر ، حتي تتيسر للمستشفي قرنية من شخص متوفي ، فما كان من الأم ، إلا أن صعدت إلي الطابق الأعلي في المستشفي ، وألقت بنفسها إلي الأرض ، فماتت منتحرة ، لكي يتيسر لولدها الحصول علي قرية عينها ، فضربت بعملها هذا مثلا من أرقي الأمثلة في التضحية والفداء .

وتذكرني هذه الواقعة ، والشيء بالشيء يذكر، بواقعة معاكسة لها، وقعت ببغداد في الأربعينات ، خلاصتها أن شخصا معدودة من بين المثقفين ، أقدم أحد أولاده ، علي الإنتحار بفصد عروق يديه ، ونقل الي المستشفي ، وهو لما به ، واحتاج الشاب إلي نقل دم ، فطلب الطبيب مدير المستشفي من أبيه أن يتبرع له بشيء من دمه ، فامتنع ، وأصر علي الامتناع ، فاشتد غيظ الطبيب منه ، وأسعفه ، بأن نقل إليه كمية من دمه ، أي دم الطبيب ، ونجا الشاب .

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المــركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹